[redacted]

علي ، خطاب عطية .

[redacted]
370.962
A39
[redacted]

-3 Dec 65

1 [redacted] Jun 67

370.962
A398tRA

التعليم في مصر

في العصر الفاطمي الأول

(٣٥٨ - ٤٦٥ هـ = ٩٦٨ - ١٠٧٢ م)

تأليف

خطاب عطية علي

مدرس التربية بمعهد المعلمين بالزيتون

ماجستير في الآداب (M. A.) من جامعة فؤاد الأول

ودبلوم معهد التربية للمعلمين بالقاهرة

68107

الناشر

دار الفكر العربي

مطبعة الاعتماد بمصر

تصـــدير

بقلم

الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الإسلامى ، ورئيس قسم التاريخ
والعميد السابق لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عنى الناس من قديم الزمان بالتعليم والتعلم ، فقد كان للتربية عند قدماء المصريين مقام رفيع ومنزلة عالية ، وكانت ترمى إلى تخريج المتعلمين فى الفنون والصناعات كالهندسة والبناء والنقش والتصوير والطب والموسيقى وغيرها مما كان يضمن للانسان فى ذلك العهد عيشة راضية ويكسبه رضا الآلهة ومحبتهم فى الدار الآخرة . أما فى بلاد اليونان فقد كان للمناخ وطبيعة الأرض أثر عظيم فى توجيه التربية والتعليم ، ولا تزال آراء أفلاطون وأرسطو وغيرهما من فلاسفة اليونان آراء قيمة يرجع اليها المربون فى مختلف عصور التربية . ولما جاء الاسلام اهتم العرب بالتعليم اهتماما بالغا ، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التربية والتعليم ضروريان لنشر الدين الأسلامى ، فحث عليهما واهتم بالعلماء وبين منزلتهم فى كثير من الآيات القرآنيـــة والأحاديث . وقد كان لهذا أثر عظيم فى العصور الأسلامية التى قامت بعد الرسول فى مختلف البلاد الأسلامية . وعندما افتتح الفاطميون مصر فى القرن الرابع

الهجرى كان لهم أكبر الأثر فى قيام نهضة تعليمية زاهرة فى الدولة المصرية .

ولقد كان لثقافة الأستاذ خطاب عطية فى الجامعة وفى معهد التربية فضل فى توجيهه توجيها سليما كان له أثره فى معالجة هذا البحث ، فقد أتيح له بما حصله من معلومات فى التربية والتعليم ، ومن تجاربه فى التدريس ، أن يلقى ضوءا ساطعا على كثير من مسائل التعليم فى العصر الفاطمى الأول ، الذى يعد بحق من أزهى العصور الأسلامية . ولا غرو فقد نجح الفاطميون فى تأسيس أمبراطورية مترامية الأطراف ، وحضارة باهرة لم يعرفها الشرق من قبل الا نادرا ، وكان لتلك الحضارة أثر كبير فى تشجيع العلم والتعليم فى ذلك العصر . وإن الجامع الأزهر ، الذى لا يزال يفد اليه الطلبة من كافة أرجاء العالم ، ليس الا أثرا من آثار هذه النهضة العلمية المباركة .

وعالج الأستاذ خطاب عطية نظم التعليم فى العصر الفاطمى فى الكتاتيب والمساجد ، وفى قصور الخلفاء ، وفى دار العلم التى أنشأها الخليفة الحاكم ، فتكلم على مناهج الدراسة وأساليبها ، وأغراض التعليم ، وحياة المعلم والمتعلم ، وما كان للعقائد الشيعية التى دان بها الفاطميون من أثر فى توجيه التعليم وجهة خاصة ، ترمى الى تنشئة جيل جديد يخلص للخليفة الفاطمى والدولة الفاطمية .

وقد عنى الفاطميون بنشر عقائد مذهبهم عناية بالغة ، حتى إن بعض الوزراء والقضاة ألفوا الكتب والقوا المحاضرات فى عقائد هذا المذهب ، وحتموا على الاساتذة أن يعتمدوا على هذه الكتب فى التدريس ، وعلى الطلبة أن يرجعوا اليها فى دراساتهم . ومن ثم اتخذ الفاطميون التعليم أداة

لتحقيق اغراضهم السياسية ، ونشر عقائد مذهبهم فى البلاد الاسلامية والعمل على أعتراف المسلمين بسيادتهم السياسية والروحية معا ، وقد أدر الفاطميون الأرزاق على الاساتذة والطلبة ، وساعدوا بذلك على ازدهار الحركة الفكرية ، فنبغ فى ذلك العصر عدد كبير من العلماء من أمثال بنى النعمان ، والمسبحى ، وابن الهيثم ، والقضاعى وغيرهم .

وكان لهذه السياسة التعليمية أثر كبير فى حياة المصريين فى عهد الفاطميين ، فقد أسرف خلفاؤهم فى بناء المساجد التى اتخذوا منها دورا للتعليم ووقفوا عليها الأوقاف وزودوها بالكتب ، وأسسوا فى القصر الفاطمى بالقاهرة مكتبة حوت مئات الألوف من الكتب فى مختلف العلوم والفنون .

على أنه يجب أن لا ننسى الصعوبة التى يصادفها كل من يتصدى لبحث مسائل التعليم العامة فى العصور الاسلامية . فالغزالى فى « فاتحة العلوم » و « إحياء علوم الدين » ، والزرنوجى فى « تعليم المتعلم طريق العلم » ، وابن خلدون فى « مقدمته » ، وحاجى خليفة فى « كشف الظنون » ، لم يتناولوا التعليم فى عصر معين أو من ناحية معينة ، وإنما تناولوه بصفة عامة ، ومن هنا وقف الأستاذ خطاب عطية أمام صعوبة مادية ، ولم يكن بد إذاً من أن يرجع إلى المصادر التاريخية والأدبية الأصلية التى خلفها كتاب يعتمد عليهم ويعتد بآرائهم من أمثال الكندى ، ويحيى بن سعيد الانطاكى ، والمقدسى ، وياقوت ، وابن القفطى ، وابن أبى أصيبعة ، والقلقشندى ، والمقريزى ، وأبى المحاسن ، والسيوطى .

أما المراجع الحديثة فينبغى ألا نقلل من أهمية ما كتبه جولتسيهر ، وآدم

متز، وطوطح ، وسليمان رصد ، ومحب الدين الخطيب، وابراهيم سلامة، وغيرهم.

ويمتاز كتاب الأستاذ خطاب عطية بسهولة العبارة ووضوحها وحسن الترتيب ، وبسط الحقائق التاريخية وتحليلها وتناولها بالنقد والتعليق عليها بآراء متزنة ، وبذلك استطاع أن يمدنا ببحث علمى مبتكر ، يلقى ضوءا ساطعا ، يهتدى به الباحثون فى تاريخ التعليم عند المسلمين بوجه عام ، وفى العصر الفاطمى الأول بوجه خاص .

والأستاذ خطاب عطية يستحق لهذا كله ، كل ثناء وتقدير وتهنئة ، على ما بذل من جهد ، وما نال من توفيق فى سبيل إخراج هذا البحث المبتكر ، الذى نرجو أن ينال تقدير الأساتذة والطلبة وسائر القراء .

القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ حسن ابراهيم حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

أما بعد فقد أدركت كثير من الأمم الغربية فضل تاريخ التربية والتعليم منذ زمن بعيد، وعرفت ما له من عظيم النفع وكبير الأثر فى تهذيب النشء وتقديم صناعة التعليم، فتنافس علماؤها فى جمع فرائده، ووضعوا فيه الكثير من الكتب الجليلة التى كان من شأنها أن ساعدت العلماء والطلاب على البحث والتنقيب، ورجال التربية على تعرف أقوم السبل وأوضح المناهج فى تربية الأحداث وتقويم الناشئين.

وقد دفعتنى حاجة مصر إلى دراسة موضوعات التربية والتعليم فى عصورها التاريخية الغابرة الى الكتابة فى تاريخ التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول (٣٥٨ – ٤٦٥ هـ = ٩٦٨ – ١٠٧٢ م)، فتقدمت بهذه الرسالة إلى جامعة فؤاد الأول واستطعت فيها ان أضع صورة واضحة لنظم التعليم وأساليبه وتاريخه فى مصر فى ذلك العصر المذكور، الذى يعتبر بحق عصراً ذهبياً فى تاريخ مصر الإسلامية. ولا يفوتنى فى هذا المقام ان أذكر بالتقدير والشكر فضل أستاذى الدكتور حسن ابراهيم حسن، أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، فقد أنار لى الطريق وأمدنى بفيض من إرشاداته،

وهدانى إلى كثير من المراجع مما كان له أكبر الأثر فى إعداد هذا البحث وإخراجه .

ولقد اشتمل هذا الكتاب على خمسة أبواب وخاتمة ، عالجت فى الباب الأول منها التعليم فى مصر قبيل العصر الفاطمى ، وقدمت فيه شيئاً عن التعليم فى البلاد الإسلامية وما كان للقرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم من أثر كبير فى قيام كثير من المعاهد ، ثم شرحت فى الباب الثانى نظام التعليم بالكتاب وعناية الفاطميين بتعليم الأطفال من ابناء الخلفاء والأمراء وسائر أفراد الشعب . أما الباب الثالث فقد تناولت فيه الكلام على مناهج التعليم ونظمه فى المساجد التى كانت بمثابة مدارس للتعليم الثانوى والعالى فى مصر فى العصر الفاطمى . ثم أتيح لى ان أقدم فى الباب الرابع جامعة عظمى ومعهداً كبيرا من معاهد مصر الفاطمية هو « دار العلم » التى أسسها الحاكم بأمر الله للدرس ونشر المذهب الشيعى ، والتى استطاعت بفضل عناية الفاطميين لها أن تبذ كثيرا من المعاهد الشرقية والغربية . ولما كان الفاطميون يتخذون من القصر كذلك مدرسة للتعليم ، فقد أفردت له الباب الخامس وذكرت فيه الكثير عن ديوان الانشاء وخزائن الكتب الفاطمية ومراتب الدعوة الشيعية ، مما كان له صلة وثيقة بالعلم والتعليم والطلبة والمعلمين .

* * *

واعتمدت فى كتابة هذا البحث على مراجع كثيرة ضمنها ثبت المصادر فى آخر هذا الكتاب ، وكان بعضها معاصرا للدولة الفاطمية وبعضها غير

معاصرلها ، ويمكن أن تنقسم هذه المراجع باعتبار موضوعها الى أقسام خمسة ، وسأشير فى هذه المقدمة الى أهمها .

أولا : المراجع التاريخية التى تبحث فى التاريخ السياسى للدولة الفاطمية. ومن هذه الكتب « تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى » ، وهو مؤرخ وطبيب نصرانى معاصر للدولة الفاطمية ، وكتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » لتقى الدين المقريزى . وهو يعد فى الواقع من أهم المصادر التى اعتمدت عليها فى هذا البحث إن لم يكن أهمها جميعا ، وكتاب « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطى ، وقد انتفعت به فيما كتبته عن كثير من علماء الدولة الأخشيدية والدولة الفاطمية .

ثانيا : مراجع أدبية تبحث فى الأدب العربى وصناعة الأدباء . ومن هذه المصادر كتاب « قانون ديوان الرسائل » لعلى بن منجب الصيرفى ، وكتاب « صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء » للقلقشندى ، وهو سفر جليل القدر عظيم النفع كبير الفائدة .

ثالثا : مراجع عرض فيها مؤلفوها لتراجم الأدباء والعلماء والأطباء والوزراء الذين عاشوا فى كنف الدولة الفاطمية . ومن هذه المصادر كتاب « الولاة والقضاة » لأبى عمر الكندى ، وكتاب « الأشارة الى من نال الوزارة » لعلى بن منجب الصيرفى ، وكتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، وكتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لابن القفطى ، وكتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ، وكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وكتاب « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » لجلال الدين السيوطى .

وقد استطعت أن استنبط من دراسة هذه الكتب الشيء الكثير عن نظم التعليم فى الدولة الفاطمية .

رابعا : مراجع مذهبية دينية أعانتنى على دراسة الدعوة الفاطمية . وهى كتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادى، وكتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم ، وكتاب «الملل والنحل» للشهرستانى .

خامسا : مراجع تربوية خالصة تبحث فى نظم التعليم فى العصور الاسلامية . ومن هذه المراجع كتاب «فاتحة العلوم» للغزالى ، وكتاب «تعليم المتعلم طريق التعلم» للزرنوجى ، و «المقدمة» لابن خلدون . وهى على قلة عددها كانت لها فائدة عظيمة ساعدتنى على الوقوف على مبادىء التربية الاسلامية .

ولم يفتنى أن انتفع بالكثير من المراجع الحديثة التى أعانتنى على إخراج هذا الكتاب وساعدتنى على استيفاء كثير من النقط الهامة . ومن بينها كتاب «الفاطميون فى مصر» للدكتور حسن ابراهيم حسن ، وكتاب «تاريخ التمدن الاسلامى» لجرجى زيدان ، وكتاب «التربية عند العرب» للدكتور خليل طوطح ، وكتاب «تاريخ التربية» للاستاذ مصطفى أمين ، هذا عدا الكثير من الكتب الأفرنجية التى كان لابد لى من الرجوع اليها ، والتى أشرت اليها فى ثبت المصادر .

* * *

قامت فى مصر نهضة تعليمية اسلامية على أثر الفتح الاسلامى ، كان مركزها جامع عمرو بالفسطاط ، وكان القائمون بالتعليم فيها الصحابة والتابعين . ثم لم يلبث المصريون أن أصبحوا معلمين يلقون العلم فى مجالسه ،

ولهم تلاميذ يأخذون عنهم العلم ويرحلون الى البلاد فى طلبه والتزود منه . ولما دخل الفاطميون مصر وأقيمت الدعوة للمذهب الفاطمى فى المساجد الجامعة ، أسس الجامع الأزهر فى القاهرة ليكون مركزا هاما لبث عقائد هذه الدعوة ، ولكنه لم يلبث أن أصبح جامعة علمية جليلة القدر كبيرة الشأن ، وأن يكون ملاذا لطلاب العلوم الاسلامية ليس فى مصر فحسب ، بل فى كافة أنحاء العالم الاسلامى .

كان التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى يقوم فى الكتاتيب والمساجد ، فقد كان الكتاب منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، مدرسة يحفظ فيها أبناء المسلمين القرآن الكريم ، ويتعلمون مبادىء القراءة والكتابة ، ثم ينتقل المتعلم بعدذلك الى المسجد حيث يدرس على يد مشاهير الأساتذة والمدرسين. وكانت نظم الدراسة فى هذه المساجد على اختلافها هى نظام الحلقات العلمية ، ولم تكن مدة الدراسة محدودة بزمن ، وكان أساس مقياس المستوى العلمى الذى حصله التلميذ أو الطالب يتوقف الى حد كبير على عدد الكتب التى قرأها وعلى قدر شهرة المشايخ الذين درس عليهم . وكان الطلبة لا يؤدون عن تعليمهم أية نفقة بل كثيرا ما رتبت لهم ولاساتذتهم أعطية وأرزاق تكفى لنفقاتهم الخاصة . وقد حث الكثيرين من أبناء الأقطار الشقيقة على الرحلة الى مصر للتعلم بها ما كانت عليه القاهرة من الحضارة ، وما كان فيها من مشاهير العلماء والمدرسين ، وما اتخذه الفاطميون من توفير أسباب الراحة لطلاب العلم الغرباء . وما عناية الدولة المصرية الآن بطلاب الأزهر ، واسكان الغرباء منهم فى الأروقة الملحقة به ، والانفاق على طلابه ، إلا استمرار لما كان يقوم به الفاطميون .

وقد أنشأ الحاكم بأمر الله بالقاهرة فى العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ معهداً خاصاً عنى بتأثيثه وزخرفته عناية فائقة ، وحمل إليه من خزائن القصور المعمورة مجموعات عظيمة من الكتب ، ورصد للانفاق عليه وعلى طلابه وأساتذته أموال ضخمة . ذلك هو « دار العلم » التى كان يتلقى فيها الطلاب إلى جانب علوم آل البيت ، وفقه الشيعة ، وعلوم اللغة ، الكثير من علوم الطب والرياضة والفلسفة والمنطق . فبينما كانت تغلب على مناهج المساجد الصبغة الدينية ، كان يصطبغ منهج هذه الجامعة الناشئة بالصبغة العلمية ويساعد على تخريج طائفة من الأطباء والفلاسفة يعملون إلى جانب الفقهاء الذين يتخرجون فى المساجد . ولا يفوتنى أن أسجل هنا أن إنشاء جامعة الحاكم هذه فى مكان مستقل بعيد عن أماكن عبادة الله سبحانه وتعالى ، ليعد خطوة جريئة فى تاريخ تطور المدرسة . هذا بالاضافة إلى أن منهجها كان يجمع بين علوم الدين والدنيا ، ويعد المتعلم لهذه الحياة والحياة الأخرى ، ويقوم بالتدريس فيها علماء الدين إلى جانب الاطباء والفلاسفة ، وهو مالم يكن له وجود فى المساجد التى كان من شأنها أن تعد الفرد للحياة الأخرى ، فهى بيوت الله عز وجل ، والقائمون بالتعليم فيها ، هم رجال الدين .

أما عن القصور الفاطمية الزاهرة ، فقد كانت كذلك من أهم معاهد العلم الفاطمية ، لما كان يعقد بها من مجالس الأدب والشعر والمناظرة ، ولما كان يقوم فيها من مجالس الحكمة التى كانت بمثابة مدرسة للتلاميذ الشيعيين يتلقون فيها محاضرات فى أصول الدعوة الفاطمية ، لاتخلو من دراسة للقرآن الكريم وفقه آل البيت كما تدعوا لى دراسة فلسفة أفلاطون وأرسطو وغيرهما من فلاسفة اليونان القدماء . وكان بالقصر إلى جانب هذه الدراسات ديوان للانشاء يعلم فن الكتابة والأدب للخليفة ولأولاده ولغيرهم من أبناء

الأمراء وأرباب الدواوين . أما خزائن الكتب بالقصر فكان لها أجل الأثر فى التعليم ، فهى فضلا عن أنها كانت تساعد الخليفة وأبناءه وخدامه من كتاب ديوان الانشاء والدعاة وغيرهم ، فانها كثيرا ما كانت تمد معاهد التعليم الفاطمية بالكتب القيمة والمؤلفات النادرة ، لكى تكون فى متناول الطلبة والمعلمين يفيدون منها فى العلوم والآداب .

وهكذا نرى أن الفاطميين قد عنوا بالعلم والتعليم ، وتفوقوا على غيرهم فى هذا الميدان ، وظل الأمر على هذا الحال طوال العصر الفاطمى الأول إلى أن نكبت مصر بكثير من الضعف والاضطراب فى عهد المستنصر الفاطمى ، وعانت البلاد ويلات القحط والوباء أعواما طويلة ، فكان لهذا أسوأ الأثر فى التعليم ، فقد عجزت الدولة عن الإنفاق على معاهد العلم لنضوب مواردها ، وبددت خزائن الكتب النفيسة ، وانصرف الناس عن طلب العلم إلى طلب القوت . وفى أواخر أيام الدولة الفاطمية أشتد الميل نحو المذهب السنى واستطاع أحد وزراء الفاطميين أن يؤسس مدرسة للشافعية بالاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ تدعو للمذهب السنى وتمهد الطريق لظهور المدارس فى مصر على يد صلاح الدين الأيوبى بعد سقوط الدولة الفاطمية .

تلك هى بعض آثار الفاطميين فى العلم والتعليم ، وتلك هى نظمهم ، وهى لم تخل من بعض العيوب والمآخذ التى أشرت إليها فى صلب هذا الكتاب ، ولكنها على وجه العموم استطاعت أن تجذب إليها الكثير من الطلاب ، وأن تساعد على تكوين اعلام المفكرين والأدباء . وقد بذلت جهدا كبيرا فى الكشف عنها ، وأرجو أن أكون قد وفقت بفضل الله ومعونته .

القاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ — فطاب عطيه على

محتويات الكتاب

صفحة

تصـــدير الـكتاب بقلم الأستاذ حسن ابراهيم حسن أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول . . . ٣
مقدمة ٧
محتويات الـكتاب ١٤

الباب الأول : التعليم فى مصر قبيل العصر الفاطمى

التعليم فى البلاد الإسلامية من ظهور الإسلام حتى قيام الدولة الإخشيدية بمصر ١٨
١ – أثر القرآن فى التعليم ١٨
٢ – اهتمام الرسول بالتعليم ٢٠
٣ – النهضة التعليمية فى الدول الإسلامية بعد عهد الرسول . ٢٢
٤ – معاهد التعليم فى الإسلام ٣٣
٥ – التعليم فى مصر من الفتح الإسلامى حتى قيام الدولة الإخشيدية (٢٠ - ٣٢٣ هـ) ٣٦
عناية الإخشيديين بالتعليم ٤٢
معاهد التعليم بمصر فى عهد الإخشيديين (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ) . . ٤٥
١ – جامع عمرو ٤٧
٢ – جامع ابن طولون ٤٩
٣ – مواد الدراسة ـ المعلمون وأشهر العلماء ٥١

صفحة

أغراض التعليم فى مصر فى عهد الإخشيديين ٥٥
قيام الدولة الفاطمية وأثرها فى التعليم ٥٨

الباب الثانى : الكتاتيب في العصر الفاطمى

عناية الفاطميين بتعليم الأطفال ٦٦
الكتاب ٧٠
منهج الدراسة بالكتاب ٧٢
معلمو الكتاتيب ٧٩
أغراض التعليم فى الكتاب ٨٥

الباب الثالث : التعليم فى المساجد

أثر المذهب الفاطمى فى التعليم ٩٠
التعليم فى المساجد ١٠٠
١ — التعليم فى جامعى عمرو وابن طولون ١٠٠
٢ — التعليم فى الجامع الأزهر ١٠٧
٣ — التعليم فى جامع الحاكم وغيره من المساجد . . ١١٨
مناهج التعليم ونظمه ١٢١
١ — مواد الدراسة والكتب الدراسية ١٢١
٢ — أساليب الدراسة بالمساجد ١٣٣
٣ — المتعلمون ١٤١
٤ — المعلمون ١٤٥

صفحة

الباب الرابع : التعليم فى دار العلم

تأسيس دار العلم ١٥٢
التعليم فى دار العلم ١٥٥
المتعلمون بدار العلم ١٦٠
موازنة بين دار العلم وغيرها من معاهد التعليم فى الشرق والغرب . ١٦٥
رأينا فى نظم التعليم فى المساجد ودار العلم ١٦٩

الباب الخامس : التعليم فى القصر

عناية الفاطميين بالعلم والأدب ١٧٦
ديوان الإنشاء ١٨٢
خزائن الكتب ١٨٨
الدعوة الفاطمية فى القصر ١٩٦
خاتمة ٢١٥
مصادر الكتاب ٢٢٥
فهرست عام ٢٣٣

البَابُ الأول

التعليم فى مصر قبيل العصر الفاطمى

التعليم فى البلاد الاسلامية

من ظهور الاسلام حتى قيام الدولة الاخشيدية بمصر

---

١ — أثر القرآن فى التعليم :

لم يكن للعرب قوانين معروفة حتى جاء الاسلام بقانون سماوى هو القرآن الكريم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[١]) فنظم المعاملات كما شرع للمسلمين العبادات[٢] ووجههم نحو الخير وعرفهم الصلة بين العبد وربه .

وقد جاء فى القرآن آيات خاصة بتفضيل العلم والعلماء ، وكانت هذه الآيات من أهم الأسباب فى اقبال الناس على العلم يتعلمونه ويعلمونه حسبة من غير ما نظر إلى منفعة مادية أو أجر على التعليم ، وانما كانوا يطلبون رضا الله وحسن ثواب الآخرة الذى هو خير وأبقى .

والواقع أن القراءة لم تنتشر فى بلاد العرب إلا بعد ظهور القرآن . وكأنما كان لفظ القرآن الذى معناه القراءة[٣] ايذانا فى الجزيرة العربية بدعوة الناس الى القراءة والكتابة . وقد حث القرآن على تعلمها حثا قويا نلمسه فى أول آية نزلت منه اذ قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم[٤]).

---

(١) سورة فصلت . آية ٤٢ .

(٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٢١٧ و ٢١٨ .

(٣) راجع مادة قرأ فى القاموس المحيط .

(٤) سورة العلق . الآيات من ١ — ٥ .

ومهما يكن من أمر فان انتشار القراءة والتربية والتعليم راجع الى القرآن فهناك علوم ومعارف استنبطت منه لا يستهان بها . وكما أن النصارى واليهود اقبلوا على تعلم القراءة وفتح المدارس فى الشرق والغرب لدراسة الكتب الدينية كذلك أهتم المسلمون بنشر التعليم لتعلم القرآن (١).

وعندما انزل القرآن على العرب وصار لهم هذا الكتاب المبين مرجعا يرجعون اليه فى أمور العبادة وفى المسائل الاجتماعية والسياسية اهتموا به اهتماما عظيما وانطبعت أوامره ونواهيه فى افئدتهم وأرتسمت عباراته على ألسنة أدبائهم فاقتبسوا أساليبه فى خطبهم ورسائلهم وتمثلوا بآياته فى مؤلفاتهم وظهرت آدابه وتعاليمه فى أخلاقهم وعاداتهم . وأستشهدوا بأقواله ونصوصه فى علومهم اللسانية والشرعية (٢). ويحسن بنا أن نسوق هنا ما يقوله الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « تاريخ الاسلام السياسى (٣) » « رأى العرب فى بلاغة القرآن وروعة أسلوبه ما بهرهم واستثار اعجابهم فانساقوا إلى تقليده ومحاكاته » وما يقوله الأستاذ محمد كرد على فى كتابه « الاسلام والحضارة العربية (٤) » « والقرآن أبلغ كتاب للعرب ولولاه لما كان لهم أدب ولا شريعة (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا) » .

وقد عنى المسلمون بتدوين القرآن وحفظه عناية عظيمة فكتبوه على صفائح الذهب وعلى صفائح العاج وطرزوا آياته بالذهب والفضة على الحرير والديباج

---

(١) طوطح — التربية عند العرب ص ٨ .
(٢) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى . ج ٣ ص ٦٢ .
(٣) ج ١ ص ٢٣٥ .
(٤) ج ١ ص ٦٧ .

وزينوا بها محافلهم ومنازلهم ونقشوها على الجدران فى المساجد والمكاتب والمجالس[١] .

وصفوة القول أن الفضل الأكبر فى انتشار القراءة والكتابة وتأسيس المدارس ونشر التعليم فى البلاد الاسلامية كان مرجعه إلى القرآن . وقد صدق طوطح[٢] اذ يقول كان القرآن « البراءة الأولى للتربية عند العرب ».

٢ — اهتمام الرسول بالتعليم :

راى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر أنه لا بد للعرب من تعلم الكتابة والقراءة فحث على تعليمهما وشجع العرب على ذلك ، وكان يرى أن تعليم الكتابة ضرورى لنشر الدين الجديد كما أنه ضرورى لحفظ العلم ، فتراه صلى الله عليه وسلم يقول[٣] « قيدوا العلم بالكتابة » ثم يقول[٤] « اكتبوا ما تسمعونه من الحكم ولو فى بياض النواظر باطراف الخناجر » ومن قوله[٥] كذلك « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وبلغ من حرص النبى صلى الله عليه وسلم على تعليم القراءة والكتابة وتقديره للعلم أنه قبل من أسرى قريش أن يفدى الواحد منهم نفسه بتعليم

---

(١) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) التربية عند العرب ص ٨ .

(٣) الراغب الاصفهانى — محاضرات الأدباء ص ٢١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢١ .

(٥) ابن عبد البر القرطبى — جامع بيان العلم ص ٩ ، حاجى خليفة — كشف الظنون ج ١ ص ٣٥ ، الزرنوجى — تعليم المتعلم ص ٣ .

عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة[١] . وقد ذكر جولد تسيهر[٢] فى هذا الصدد أنه كان على كل قرشى أسير يستطيع القراءة والكتابة تعليم اثنى عشر صبيا يصبح بعد تعليمهم حرا طليقا . ولكننا لم نعثر فى أى مصدر من المصادر الأصلية على ما يؤيد عبارة جولد تسيهر .

على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على تعليم اللغة العربية بل لقد أثر عنه أنه حث بعض أصحابه على تعلم لغة أخرى غير اللغة العربية لما دعت الحاجة الى ذلك بعد انتشار الإسلام . فقد ورد فى البخارى عن زيد ابن ثابت قال[٣] « أتى بى النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقيل : هذا من بنى النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأت عليه فأعجبه ذلك . فقال : تعلم كتاب يهود فإنى ما آمنهم على كتابى ففعلت . فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له » . كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث الرجال على أن يعلموا أهليهم وذويهم[٤] .

وكما اهتم النبى صلى الله عليه وسلم بالعلم وتعلمه وتعليمه كذلك اهتم العلماء وبين منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى . فقد قال[٥] صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يسلك طريقا يلتمس فيها علما إلا سهل الله له طريقا الى الجنة »

---

(١) أحمد أمين — فجر الاسلام ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) راجع Goldziher: Muslim Education, vol.5, Encyclopaedia of Religion and Ethics, p. 198.

(٣) أحمد أمين — فجر الاسلام ج ١ ص ١٧٥ .

(٤) الدكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٦٣٥ .

(٥) ابن عبد البر القرطبى — جامع بيان العلم ص ١٣ .

وقال[١] كذلك فى موضع آخر « ما من قوم يجتمعون فى بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » .

وهناك أحاديث نبوية أخرى يضيق المقام عن ذكرها أحاطت العلماء والمتعلمين بهالة من التبجيل والاحترام وجعلت المتعلم يحب معلمه حبا يوشك أن يكون تقديسا . وهكذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسن قانونا يتبعه المسلمون من بعده ، وظل هذا القانون نبراسا يستضيئون به ونهجا يسيرون عليه فى حياة البلاد الإسلامية ونهضتها العلمية فى العصور التالية[٢] .

٣ — النهضة التعليمية فى الدول الاسلامية بعد عهد الرسول :

عنى الدين الاسلامى بالعلم وتشجيعه والدعوة إلى تحصيله ، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز[٣] (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال[٤] « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا العلم فان تعلمه لله تعالى خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه » . كذلك قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم البركة بالعلم فقال[٥] « إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله زلنى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » . وكان

(١) ابن عبد البر القرطبى — جامع بيان العلم ص ١٣ .
(٢) راجع جولد تسيهر فى مقاله عن التعليم الاسلامى .
(٣) سورة المجادلة آية ١١ .
(٤) حاجى خليفة — كشف الظنون ج ١ ص ١٢ .
(٥) الغزالى — فاتحة العلوم ص ٣ .

الصحابة أنفسهم مشغوفين بسماع الرسول والأخذ عنه حتى كان الرجل إذا لم يستطع أن يذهب إلى مجلسه أناب عنه صديقا له ، ثم يتعلم منه آخر النهار ما قاله الرسول[١] . وقد استفاد كثيرون من هؤلاء الصحابة من صحبتهم للرسول ونبغوا فى كثير من العلوم[٢] .

وهكذا كان الرسول أول معلم فى الاسلام وكانت الصحابة أول من تلقى العلم على يديه ، ثم لم يلبث هؤلاء أن أصبحوا بعد وفاة الرسول معلمين بأنفسهم والتف حولهم تلاميذ يأخذون عنهم العلم وينشرونه بين الناس .

ولم يكن التعليم فى ذلك الوقت مهنة أو صناعة عند العرب ، أى أن المعلمين لم يتخذوا التعليم حرفة يكسبون بها عيشهم بل علموا القرآن لغرض دينى هو هو القربى الى الله تعالى وابتغاء مرضاته واحياء دينه ونشر دعوته وخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصلاح أمته[٣] . ويؤيد هذا القول ما ذكره ابن خلدون[٤] « وإن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ ، فكان أهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى ، إذ هو كتابهم المنزل على الرســـول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم » .

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٦٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٣٦ .
(٣) الغزالى — فاتحة العلوم ص ١٢ .
(٤) المقـــدمة ص ٣٢ .

ولما انتشر الاسلام واتسعت الامصار تفرق هؤلاء المعلمون من الصحابة والتابعين فى المملكة الاسلامية[١] وقاموا فيها بحركة تعليمية مباركة كان لها صبغة دينية ، وان شئت فقل وزعوا على الامصار قصدا إلى تعليمها . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدن جزيرة العرب[٢] وكذلك فعل عمر بن الخطاب عندما اتسعت الفتوح وكثرت الامصار[٣] . هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الامصار انشأوا حركة علمية فى كل مصر نزلوا به وكونوا مدارس وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم[٤] .

كان التعليم فى البلاد الاسلامية فى أول الأمر مقصورا على العلوم الدينية وهى القرآن وتفسيره والحديث وروايته واستنباط الاحكام الفقهية والفتاوى الشرعية . يقول صاحب كشف الظنون[٥] « فكانت العرب فى صدر الاسلام لا تعتنى بشىء من العلوم الا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طرا اليها ، وذلك منهم صونا لقواعد الاسلام وعقائد أهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والأحكام ... واستمر ذلك الى آخر عصر التابعين ثم حدث اختلاف الآراء وانتشار المذاهب فآل الأمر إلى التدوين » . ويقول كذلك الدكتور حسن ابراهيم[٦] « نلاحظ أن ما نشر من العلوم فى عهد بنى أمية كان مرتبطا منها بالدين بعكس ما كانت عليه الحال فى أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى جـ ١ ص ٦٣٦ .
(٢) ابن خلدون — المقدمة ص ٣٢ .
(٣) أحمد أمين فجر الاسلام جـ ١ ص ١٨٦ .
(٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٨٧ .
(٥) جـ ١ ص ٢١ .
(٦) تاريخ الاسلام السياسى جـ ١ ص ٦٣٧ .

العقلية أو الكونية أيضا كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها » . وقل أن نجد فى ذلك العصر مانسميه الآن تخصصا فليس هناك عالم بالتفسير فقط أو الحديث فقط وكانت الدروس فيها تفسير وفيها حديث وفيها فقه وفيها لغة وفيها جدل دينى[١] .

فالعلوم التى تداولها المسلمون ودرسوها فى مساجدهم ومجالسهم العلمية فى صدر الاسلام وعهد بنى أمية كانت تتلخص فيما كتبه ابن خلدون[٢] « وأصناف هذه العلوم النقلية [٣] كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهى مأخوذة من الكتاب والسنة ... فلابد من النظر فى الكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله واختلاف روايات القرآء فى قراءته وهذا هو علم القرآءات ، ثم باسناد السنة إلى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم ... وهـــذه هى علوم الحديث ، ثم لا بد فى استنباط هذه

---

(١) فجر الاسلام ج ١ ص ٢٠١ .

(٢) المقدمة ص ٤٨٦، راجع أيضا كتاب كشف الظنون ج ١ ص ٢٥ .

(٣) ميز كتاب المسلمين بين العلوم التى تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التى أخذها العرب عن غيرهم من الأمم . ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكمية (راجع المقدمة ص ٤٨٥ ، كشف الظنون ج ١ ص ٢٥ ، تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٤١) وقد رأى زيدان (تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٥٨ وما يليها) أن يقسم العلوم الى علوم اسلامية وهى العلوم الشرعية كالقرآن والحديث والفقه ، والعلوم اللسانية التى احتاج اليها العرب فى ضبط القرآن أو تفسيره كالنحو والأدب واللغة ، والتاريخ والجغرافيا . والى علوم دخيلة وهى ما يعبر عنه بالعلوم العقلية كالنجوم والطب والفلسفة والمنطق والحساب والجبر والهندسة .

الأحكام من أصولها من وجه قانونى يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه . وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ... ثم النظر فى القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهى أصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب ... وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية » . ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا أن الفقه والقراءة والتفسير والحديث كانت علما واحدا فى أول الأمر ثم استقلت بعضها عن بعض تبعا لناموس الارتقاء[١] .

هذا فيما يختص بالعلوم النقلية أما العلوم العقلية فكانت قليلة فى عهد الأمويين ويؤيد هذا القول ما كتبه صاحب كشف الظنون[٢] « واعلم أن علوم الأوائل كانت مهجورة فى عصر الأموية » وما قاله الدكتور حسن إبراهيم[٣] « بيد أن اشتغال العربى بالعلوم العقلية من كيمياء وطب وفلك وتاريخ ونحوها لم يكن له أثر إلا فى صدر الدولة العباسية وعلى الأخص فى عهد المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) الذى حمل لواء حركة الترجمة والنقل من اليونانية والفارسية والهندية » .

وفى الحق أن بنى أمية أعدوا البلاد للعباسيين ولولا جهودهم فى الفتح والتنظيم والادارة لما تمكن العباسيون من القيام بما قاموا به من تعضيد العلم والتعليم وترجمة الكتب ونشر الثقافة العربية . فاز العباسيون بالخلافة وبنوا بغداد واحتكوا بالفرس ورفعوا شأن الموالى وخالطوا الأعاجم ، وهكذا

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٧ ، أحمد أمين — ضحى الاسلام ج٢ ص٣٦٢ .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢٢ .

(٣) تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٦٤٠ .

ابتعدوا عن المحيط العربى المحض وأصبحوا مكتنفين بمحيط جديد وحياة جديدة والمعروف أنهم اكتسبوا ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم الجديد وفتحوا الأبواب على مصاريعها لنبوغ الاعاجم[١] . ومما يسترعى النظر أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى[٢] وقد عقد ابن خلدون فى المقدمة[٣] فصلا عن أن «حملة العلم فى الاسلام أكثرهم العجم» .

وهكذا نجد أن التعليم فى هذا العصر العباسى قد تأثر تأثرا عظيما واتجه اتجاهاً جديداً ، فقد كان قبل ذلك من أجل الله والدين فاستحال الى صناعة لابتغاء الرزق ورفع المنزلة فى الدنيا وأقبل عليه من كان فى حاجة الى تحصيل رزقه أو طمع فى نيل منصب وترفع عنه من لم يكن فى حاجة الى ذلك . ويؤيد هذا ابن خلدون فيقول[٤] «فلما استقر الإسلام ووشجت عروق الملة حتى تناوله الأمم البعيدة من أيدى أهلها واستحالت بمرور الأيام أحوالها وكثر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف ... واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند أهل العصبية والملك» .

---

(١) طوطح — تاريخ التربية عند العرب ص ١٠ .

(٢) تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٣٩ وما يليها .

(٣) ص ٦٣٦ — ٦٣٨ .

(٤) المقدمة ص ٣٢ .

وقال طوطح فى كتابه « تاريخ التربية عند العرب »[١] ، وكان شان العرب شأن بعض الأمم الأخرى الفاتحة ، اذ اشتغلت بالشئون العسكرية والادارية تاركة مهمة التعليم ومهنة الكتابة فى الدواوين للموالى من الفرس والروم والأقباط ».

قامت الدولة العباسية على رأس مواليها من أهل خراسان والعراق وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم كما أشرنا الى ذلك ، ودخل فى الاسلام عدد كبير من الفرس والروم والمصريين كان منهم القراء الكبار والمحدثون العظام بجانب أخوانهم من العنصر العربى[٢] ، وكان من أثر هذا أن اختلطت علوم الأوائل التى كانت مهجورة فى عصر الدولة الأموية بعلوم الإسلام . فيقول صاحب كشف الظنون[٣] « واعلم أن علوم الأوائل كانت مهجورة فى عصر الأموية ولما ظهر آل العباس كان أول من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) وكان رحمه الله تعالى مع براعته فى الفقه مقدما فى علم الفلسفة وخاصة فى النجوم محبا لأهلها . ثم لما افضت الخلافة إلى السابع عبدالله المأمون بن الرشيد (١٩٨ — ٢١٨ هـ) أتم ما بدأ به جده فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخراجه من معادنه . . . فداخل ملوك الروم[٤] وسألهم وصلة ما لديهم

---

(١) ص ٣٧ .

(٢) الخضرى — التشريع الاسلامى ص ١٧٠ .

(٣) ج ١ ص ٢٢ .

(٤) راجع ابن النديم (الفهرست ص ٢٤٣) فقد ذكر شيئا عما كان بين المأمون وملك الروم وعما قام به علماء ذلك العصر أمثال يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحق وكانا =

من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون وارسطو وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم[1] . واحضر لها مهرة

= طبيين نصرانيين (راجع ترجمة يوحنا بن ماسويه فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٧٥ ، أخبار الحكماء للقفطى ص ٣٨٠ ، أما حنين بن اسحق فراجعه فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٤ ، أخبار الحكماء ص ١٧٢) من حمل الكتب الى المأمون والقيام بنقلها وقد كان جلها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .

(١) هؤلاء هم فلاسفة اليونان القدماء فقد كان أفلاطون أحد أساطين الحكمة وله كتب كثيرة منها كتاب السياسة وقد فسره حنين بن اسحق (راجع ترجمة أفلاطون فى الفهرست لابن النديم ص ٢٤٥ ، أخبار الحكماء للقفطى ص ١٧ وما يليها ، طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٤٩ وما يليها) .

أما أرسطو فهو تلميذ أفلاطون وكان فيلسوفا عالما خطيبا وطبيبا ومن مؤلفاته التى نقلت الى العربية كتاب الكون والفساد وكتاب النفس وكتاب الحيوان وغيرها . (راجع ترجمته فى الفهرست ص ٢٤٦ ، أخبار الحكماء ص ٢٧ ، طبقات الأطباء ج ١ ص ٥٤) .

أما بقراط فهو من الأطباء اليونانيين المشهورين وقد عنى بعلوم الفلسفة كأبناء عصره ومن كتبه المنقولة كتاب عهد بقراط وكتاب الفصول وكتاب الأمراض الحادة وغيرها .

(راجع ترجمته فى أخبار الحكماء ص ٩٠ ، وطبقات الأطباء ج ١ ص ٢٤ ، تاريخ التمدن الاسلامى لزيدان ج ٣ ص ١٥٤) .

أما جالينوس فهو الحكيم الفيلسوف اليونانى وهو مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وله ستة عشر ديوانا شرط على طالب الطب حفظها وقد نقلها كلها حنين بن اسحق إلى العربية (راجع ترجمة جالينوس فى أخبار الحكماء ص ١٢٢ ، طبقات الأطباء ج ١ ص ٧١) .

أما إقليدس فهو المظهر للهندسة المبرز فيها (راجع ترجمته فى الفهرست ص ٢٦٥ ، أخبار الحكماء ص ٦٢) .

أما بطليموس فهو صاحب المجسطى وغيره وكان إماما فى الرياضة وانتهى اليه علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وكتابه المجسطى يبحث فى علم الفلك وحركات النجوم وقد عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية كثيرون . (راجع ترجمة بطليموس فى أخبار الحكماء ص ٩٥) .

المترجمين فترجموا له على غاية ما أمكن . ثم كلف الناس قراءتها ورغبهم فى تعلمها ، إذ المقصود من المنع هو احكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام وقد حصل وانقضى ... وقامت دولة الحكمة فى عصره وكذلك سائر الفنون ،

واذا فقد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبى فى تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لاتقانهم السريانية واليونانية أن ينقلوا الى اللسان العربى كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدينة[١]

ومن العوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية أن الخلفاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل نقل هذه الكتب ويرغبون النقلة وغيرهم بالبذل والكرم بقطع النظر عن مللهم أو نحلهم أو انسابهم[٢] حتى ان صاحب كشف الظنون يقول[٣] فى هذه المناسبة « والحق أن أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبة الملوك فى كل عصر ». وثمة عامل آخر كان له القدح المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فما لا شك فيه أن حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسى ما كانت تصل الى ذلك القدر من الرقى لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة

---

(١) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٦٣ ، راجع
Graves : A History of Education during the Middle Ages, p. 41.

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٦٤ .

(٣) ج ١ ص ٢٢ .

أو الندرة[١] . فالتعليم إذن مدين لصناعة الورق الذى به كثرت الكتب والمكاتب وخزائنها وأصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل العلم ، وربما كان تأثير استعمال الورق فى النهضة العلمية فى الإسلام مثل تأثير فن الطباعة فى النهضة الأوروبية فى أواخر العصور الوسطى[٢] .

ويؤيد تقدم التعليم فى ذلك العصر ما يقوله جولد تسيهر[٣] فى الفصل الذى عقده فى التربية الإسلامية فقد قال إن تقدم المعارف والعلوم فى الدولة العباسية كان من الطبيعى أن يصحبه تقدم مشابه فى التعليم ، فقد ثبت أن المتعلمين كانوا يقبلون على التعليم قلبا وقالبا كما أنه نشأ فى ذلك العصر معاهد للتعليم العالى .

« وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أن الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأنا قد غدوا فجأة طلابا للعلم أو على الأقل أنصارا للأدب . وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا وراء موارد العلم والعرفان ثم يعودون الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصفات التى هى أشبه شىء بدوائر المعارف[٤] » .

---

(١) أحمد أمين — ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢١ وما يليها .

(٢) هلوطح — تاريخ التربية عند العرب ص ١١ .

(٣) راجع :

Goldziher : Muslim Education, vol. 5, Enc. of Religion and Ethics, p. 199.

(٤) الدكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٤٠ نقلا عن

Nicholson : A Literary History of the Arabs, p. 281.

ولقد تأثر المسلمون بهذه العلوم التى نقلوها الى اللغة العربية فلم تكد تعرف لديهم حتى أخذوا فى درسها والاشتغال بها ، وكان إشتغالهم بها فى أول الأمر لا يتعدى النظر والتلخيص والشرح حتى اذا كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم وانتشرت العلوم فى البلاد أخذوا يتدبرون كل علم يدرسونه منها ويحققون مسائله بكل ما أوتوا من قوة عقل وصحة فهم وأصبحت العلوم عمدتها النظر والقياس والتحليل والتركيب .

وكانت بغداد أثناء هذه النهضة العباسية كعبة العلم ومقصد العلماء ولما اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ونشأت الدول الجديدة فى مصر والاندلس تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة . وهكذا أثمرت بذور العلم التى ألقاها خلفاء النهضة العباسية فى جميع العالم الإسلامى فى خراسان والرى وخوزستان وأذربيجان وما وراء النهر ومصر الشام والأندلس وغيرها . واقتدى خلفاء هذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية فى ترغيب أهل العلم واستقدامهم الى عواصمهم كالقاهرة وغيرها[١] .

وقد اعترف الأوروبيون أنفسهم بأهمية هذه النهضة العلمية التى أخذوا عنها عن طريق الأندلس وكانت سببا فى حركة إحياء العلوم الأوروبية وقيام الجامعات باوربا فقد ذكر كبرلى[٢] أن من الأسباب الرئيسية التى مهدت السبيل لقيام الجامعات فى القرن الثالث عشر الميلادى وحركة إحياء العلوم فى القرن الرابع عشر الميلادى هو ذلك التقدم السريع للتمدن الاسلامى

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٣ ص ١٦٧ و ١٦٨ وما يليها .

(٢) Cubberly : Readings in the History of Education, p p. 127, 129.

والعلوم الاسلامية فى اسبانيا فقد كان الاوربيون تائهين فى دياجير الجهالة بعيدين عن العلم الصحيح والأخذ باسبابه .

وبينما كانت قصور الخلفاء فى اسبانيا قد زخرفت وزينت بأبهى المناظر وأجلها كان امراء اوربا فى المانيا وفرنسا وانجلترا يكادون يقيمون فى أماكن هى أشبه بالاصطبلات منها بالدور والمنازل ، فلا غرابة اذن أن يقبل الأوربيون على تعلم اللغة العربية فيتذوقوا حلاوة علومها وما نقل إليها ويتعلموا العلم على ايدى علماء المسلمين وفلاسفتهم ويدرسونه فى تواليفهم .

وقد نزح الى الاندلس طلبة العلم من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا ثم عادوا إلى بلادهم فأقاموا المدارس والمعاهد التى أقبل الناس عليها سراعا[١] .

٤ — معاهد التعليم فى الاسلام :

كان الكتاب أول هذه المعاهد وكان يتعلم فيه الصبيان مبادىء القراءة والكتابة والقرآن[٢] .

ولما كان الباعث على انشاء المدارس فى الأزمنة الغابرة دينيا لهذا استعمل الناس قبل الاسلام أماكن العبادة كالكنائس والأديرة للتدريس وقام رجال الدين بمهمة تعليم الأولاد[٣] . ذلك ما فعله النصارى وهو ما فعله المسلمون إذ جعلوا الجامع مكانا للتعليم .

فالمسجد فى الاسلام لم يكن مكانا للعبادة فحسب ولكن كانت تؤدى فيه

---

(١) مصطفى أمين — تاريخ التربية ص ١٦٧ .

(٢) سنعرض للكلام على الكتاب كمعهد للطفولة فى الباب الثانى .

(٣) مصطفى أمين — تاريخ التربية ص ١٧١ ، طوطح — تاريخ التربية عند العرب ص ١٢٠ ، راجع Cubberly : Readings in the His. of Education, p. 75.

أعمال أخرى ، فقد كان محكمة للتقاضى ومعهدا هاما للدراسة[١] . فمن مبدأ الاسلام جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد واتخذ منه مجلسا للقضاء ومدرسة للتعليم ، ففى البخارى أنه بينا رسول الله (ص) جالس فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فوقف اثنان على رسول الله (ص) فرأى أحدهما فرجة فى الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفه[٢] .

واستمر المسجد مكانا لتعليم القرآن والحديث والفقه حتى تنوعت العلوم فى العصر العباسى فتنوعت كذلك حلقات الدرس فكان فى مسجد البصرة مثلا حلقة للجدل وحلقات أخرى للشعر والأدب[٣] وكان فى كل مسجد خزانة كتب للمطالعة والدرس[٤] .

لم يكن للمكتبات شأن كبير قبل النهضة العباسية[٥] ، فلما نشطت حركة الترجمة والتأليف فى العصر العباسى وتقدمت صناعة الورق كثرت المكتبات التى كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وصارت هذه المكتبات من أهم مراكز التعليم .

ومن أكبر خزائن الكتب فى العراق فى العصر العباسى بيت الحكمة[٦]

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن — الفاطميون فى مصر ص ١١٩ و ١٢٠ ، متز الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) راجع أحمد أمين — ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٢

(٣) تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٥٨

(٤) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٠ ، متز — الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٨٦

(٥) تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٦) يرجح أن الرشيد هو الذى وضع أساسه وعمل المأمون على تنميته فأمده بالكتب المختلفة والمصنفات العديدة (راجع تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٥٨ ، الدكتور أحمد فريد رفاعى — عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٥) وسنعود للكلام عليه فى الباب الرابع .

ويعد فى الواقع معهدا عاليا للعلوم العالية كالرياضيات والفلك وغيرها[١] . فانشاء هذا المعهد العالى كان نتيجة لهذا التقدم العلمى فى العصر العباسى ، ومما لا شك فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين .

ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت فى مصر والأندلس دور كتب هامة تعهدها الخلفاء والوزراء وكانت عاملا كبيرا فى تسهيل دراسة العلم والتعليم .

لم يكن التعليم عند المسلمين خاصا بالجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينشئون حلقات التدريس فى المستشفيات[٢] والرباطات وغيرها من الأماكن ، أما الأغنياء كالخلفاء والأمراء وغيرهم فكانوا يعهدون إلى معلمين لتعليم أبنائهم.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى ما كان لمجالس المناظرة[٣] فى قصور الخلفاء ودور الأمراء والوزراء أو المساجد من أثر فى التعليم ، فقد كانت هناك مناظرات بين العلماء وعلى الأخص فى العصر العباسى فى الفقه والنحو والصرف وفى اللغة والمشاكل الدينية ، وساعدت هذه المناظرات التى قامت فى جميع البلاد الاسلامية على توضيح كثير من المشاكل الدينية واللغوية والعلمية بوجه عام .

أما المدارس المستقلة الخاصة بالتدريس على النحو الذى نعهده اليوم فلم

---

(١) تاريخ التربية عند العرب ص ١٥

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٠ وما يليها ، مصطفى أمين — تاريخ التربية ص ١٧٢ ، راجع Goldziher: Muslim Education, pp. 199, 200.

(٣) عقد الغزالى فصلا عن المناظرة فى كتابه فاتحة العلوم (ص ٤٧ وما يليها) بين فيه نشأتها وفوائدها وآفاتها .

تؤسس الا فى زمن متأخر ويكاد يجمع المؤرخون على أن أول من بنى المدارس فى الاسلام نظام الملك الطوسى وزير السلطان ملك شاه السلجوقى فى أواسط القرن الخامس للهجرة[١] .

٥ — التعليم فى مصر من الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة الاخشيدية (٢٠ — ٣٢٣ هـ)

فتح المسلمون مصر والثقافة اليونانية الرومانية منتشرة فيها[٢] فلما تم فتحها أقبل العرب عليها لما سمعوا بثروتها وخصب أرضها وكان استيلاؤهم عليها فاتحة لهجرات عربية متوالية دامت زمنا طويلا[٣] . نزل العرب بالمدن والارياف واتخذوا الزرع معاشا[٤] وأخذ كثير من الاقباط يدخلون فى الدين الاسلامى واختلطت انسابهم بأنساب المسلمين بما كان بينهم من تزاوج[٥] . وكان من أثر هذا انتشار اللغة العربية فى البلاد المصرية واقبال المصريين على تعلمها وضعف اللغتين القبطية واليونانية ونسيانهما[٦] .

وفد العرب على مصر وكان من بينهم هؤلاء الصحابة العلماء الذين رحلوا للتعليم فكانوا هم الذين قاموا بتعليم المصريين اللغة العربية والقرآن الكريم وما يتعلق به من علوم أخرى .

---

(١) سأعود للكلام على المدارس فى الباب الرابع .

(٢) أحمد أمين — فجر الاسلام ج ١ ص ٢٣٣

(٣) المقريزى — الخطط ج ١ ص ١٢٨ و١٢٩ ، الدكتور زكى محمد حسن — فى مصر الاسلامية ص ١٠

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٢٨ وما يليها

(٥) الخطط ج ١ ص ١٣١ ، فجر الاسلام ج ١ ص ٢٣٣

(٦) الدكتور زكى حسن — فى مصر الاسلامية ص ١١

قامت إذن نهضة تعليمية جديدة فى مصر على أثر الفتح الاسلامى كان مركزها جامع عمرو بالفسطاط وكان القائمون بالتعليم الصحابة والتابعين وكانت العلوم التى تدرس عندئذ هى علوم الدين من تفسير للقرآن الكريم ورواية لقراآته ورواية للحديث الشريف ، وكان أشهر الصحابة الذين نزلوا بمصر وقاموا بالتعليم فيها هو عبد الله [١] بن عمرو بن العاص وكان عبد الله هذا من أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول عنه الأستاذ أحمد أمين [٢] : « ويعد بحق مؤسس المدرسة المصرية فقد أخذ عنه كثير من مصر وكانوا يكتبون عنه ما يحدث » . وأول من أقرأ القرآن بمصر هو أبو أمية عبيد بن مخمر المغافرى [٣] وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

تلقى المصريون العلم فى أول الأمر على أيدى المعلمين من الصحابة والتابعين ثم لم يلبثوا أن أصبحوا معلمين يلقون العلم فى مجالسه ولهم تلاميذ مصريون يأخذونه عنهم ويرحلون إلى البلاد فى طلبه والتزود منه ثم يعودون إلى مصر يدرسون ويتدارسون ويستنبطون منه الأحكام ، فنرى مثلا عثمان بن سعيد القفطى المصرى المعروف بورش [٤] وكان من أصل قبطى وقد ولد بمصر ثم تعلم اللغة العربية وقراءة القرآن ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع ثم عاد إلى مصر واليه انتهت رياسة [٥] الاقراء فيها وكانت وفاته سنة ١٩٧ هـ .

---

(١) أبو المحاسن — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٥٠ و١٩٢ ، السيوطى — حسن المحاضرة ج ١ ص ٩١

(٢) فجر الاسلام ج ١ ص ٢٣٤ .

(٣) الخطط ج ٤ ص ١٤٣

(٤) ياقوت — معجم الأدباء ج ١٢ ص ١١٦

(٥) السيوطى — حسن المحاضرة ج١ ص ٢٠٧

ونبغ كذلك جماعة من المعلمين المصريين فى رواية الحديث وساعدوا على جمعه وتدوينه ورحلوا إلى الأقطار الاسلامية الأخرى فى طلبه وقد وردت أحاديثهم فى كتب الحديث المشهورة[١] ، كما تخرج فى جامع عمرو مركز الدراسة الاسلامية الممتازة فى مصر أقطاب الفقهاء والمحدثين مثل الليث[٢] بن سعد وعبدالله بن وهب[٣] فقد ولد الأول فى إحدى قرى مصر وتعلم بها العلم ثم تراه يطوف البلدان طلبا له ثم يعود إلى مصر فقيها مبرزا ومعلما يعترف الشافعى بعلمه وتوفى بمصر سنة ١٧٥ هـ . أما عبد الله بن وهب فقد ولد بمصر أيضا ورحل إلى الحجاز والعراق طلبا للعلم وأخذ عن مالك ثم عاد إلى مصر وجلس بجامع عمرو وكان أستاذا لكثير من الفقهاء وتوفى سنة ١٩٧ هـ .

وقد نشط التعليم فى مصر على أثر تعدد[٤] المذاهب الفقهية فقد انحاز كل فريق من العلماء المصريين إلى مذهب يأخذ به ويدفع عنه ويعمل على

---

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص٨٥و٨٦ ، كامل حسين — فى الأدب المصرى الاسلامى ص ٣٨

(٢) ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٨ و ٤٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤) يقول روفن جست — Ruvon Guest فى مقدمة كتاب الولاة والقضاة للكندى (ص٤) ان ثلاث مدارس فقهية كانت بمصر فى أواخر الدولة الطولونية : وهى مذهب مالك وقد دخل مصر قبل سنة ١٦٣ هـ وكان له أتباع كثيرون ومذهب أبى حنيفة وقد دخل مصر سنة ١٦٤ هـ وكان يؤيده العظماء على الرغم من قلة أتباعه ومذهب الشافعى الذى تبعه كثير من المصريين منذ سنة ١٩٨ هـ عند مقدم الشافعى لمصر . وقد بز هذا المذهب المذاهب الأخرى ومما لا شك فيه أن هذه المدارس جميعا كانت تتنافس تنافسا خطيرا عند بداية تكوينها وقد قامت بمصر جنبا إلى جنب خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين . (راجع كذلك خطط المقريزى ج ٤ ص ١٤٥ و١٤٦)

تعليمه ونشره ويؤيد هذا ما يقوله الأستاذ أحمد أمين[١]: «وكان بين هؤلاء المالكيين والحنفية خصام ونزاع فى التشريع ومسائل الفقة حتى جاء الشافعى وأقام فى مصر نحو خمس سنوات يحرر مذهبه ويمليه على تلاميذه المصريين ... وكون له حلقة علمية نشيطه ... ومال إليه كثير من المصريين لعربيته وقرشيته وفصاحته وقوة حجته، ونشر وهو وتلاميذه مذهبه على الرغم من عداء المالكيين له ولهم. ولكن ظل فى مصر فقهاء حنفية ومالكية بجانب الشافعية فاشتدت الخصومة بين بعضهم وبعض وقد أدت الخصومة أحيانا إلى الشر والإيقاع». وكان من أثر هذا التنازع المذهبى أن تهيأ للمصريين جو علمى جديد وكثر الإقبال على التعليم وبدأت مناظرات علمية وفقهية فى القصور والمساجد لم يعهدها المصريون من قبل فقد كانوا قبل ذلك يعتنقون مذهبا واحدا فأصبحوا يميلون إلى عدة مذاهب. وقد حفزت مجالس المناظرة هذه العلماء على البحث والنظر وكانوا يتناظرون فى الفقه والنحو والصرف واللغة وغيرها فقد ذكر ياقوت[٢] أن بعض ملوك مصر جمع بين ابن ولاد وابن النحاس وكانا من علماء النحو وأمرهما بالمناظرة.

وظل التعليم فى مصر تعليما دينيا خالصا يقوم على تدريس القرآن والحديث والفقه والقرآءات وكان مركزه الفسطاط والإسكندرية فى أول الأمر حيث

---

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٩١

(٢) معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٠٢

وكانت وفاة ابن ولاد سنة ٣٠٢ هـ أما وفاة ابن النحاس فكانت سنة ٣٣٧ هـ وقيل سنة ٣٣٨ هـ (راجع معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٥، ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩).

نزلت الصحابة رضى الله عنهم والتابعون . ولم ينتشر التعليم الإسلامى فى قرى مصر إلا بعد أن أوقع المأمون بالقبط بعد ثورتهم سنة ٢١٦ هـ[١]

وقد استطاع المصريون كذلك أن يجيدوا دراسة العلوم اللغوية التى تتبع القرآن كعلم النحو واللغة والأدب وغيرها ونبغ من بينهم علماء كثيرون كابن ولاد وأبى جعفر النحاس وقد سبق ذكرهما فقد رحلا إلى بغداد وعادا إلى مصر بعد أن حذقا النحو واللغة وألفا عدة كتب فى النحو وغيره من العلوم الأخرى أفادت طلبة العلم فى مصر وغيرها من البلدان[٢] .

ولم يقم بمهنة التعليم فى مصر معلمون مصريون فحسب بل وفد عليها علماء كثيرون من العراق وغيرها من البلاد الإسلامية جاءوا يعلمون المصريين أحيانا أو يطلبون العلم فى مصر أحيانا أخرى ، فقد جاء نافع[٣] فقيه أهل المدينة إلى مصر كى يعلم المصريين وأقام بينهم مدة طويلة كما جاء محمد ابن جرير الطبرى المحدث الفقيه المقرىء المؤرخ المشهور وكان ذلك سنة ٢٥٣ هـ ويقول ياقوت : [٤] « ثم سار إلى الفسطاط فى سنة ٢٥٣ هـ وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فاكثر عنهم الكتبة من علوم مالك والشافعى وابن وهب وغيرهم ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر » . ويقول صاحب

---

(١) المقريزى — الخطط ج ١ ص ١٣٠ وما يليها ، أحمد أمين — ضحى الاسلام ج ٢ ص ٩٣ ، راجع Stanley Lane — Poole: The Story of Cairo, p. 60.

(٢) معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٠١ وما يليها وص ٢٢٤ وما يليها ، ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩ ، السيوطى — بغية الوعاة ص ١٥٧ .

(٣) السيوطى — حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩

(٤) معجم الأدباء ج ١٨ ص ٥٢

الفهرست[١]: « أخبرنى الثقة أنه رأى أبا جعفر الطبرى بمصر يقرأ عليه شعر الطرماح أو الحطيئة الشك منى ». فالطبرى جاء مصر لكى يفيد من العلم ويعلم . وممن وفد فى ذلك العصر على مصر معلما كذلك النسائى [٢] وأحمد بن عبد الله بن قتيبة [٣] وكان أولهما إماما فى الحديث ثقة ثبتا حافظا . أما ثانيهما فقد حدث بكتب أبيه وكان مجلسه غاصا بفنون الناس ممن يطلب العلوم والآداب .

أما عن العلوم العقلية فقد عنى الطلبة المصريون بالفلسفة والطب من غير شك وبقى أثر[٤] مدرسة الاسكندرية وثقافتها اليونانية الرومانية طوال العهد الاموى واستمر إلى العصر العباسى وكان بعض المصريين يجيدون السريانية قراءة وكتابة كاخوانهم فى الشام والعراق . ولكن حركة النقل لم تنشط فى مصر كما نشطت فى العراق وغيرها من البلدان فقد اعتمد المصريون على الكتب الفلسفية والمنطقية التى وصلتهم منقولة مفسرة [٥] والتى كانت لها أثر عظيم فى ازدهار هذه العلوم العقلية فى العصور التالية لهذا العصر ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بهذه العلوم العقلية ذو النون الاخميمى فقد اشتغل بصناعة

---

(١) ص ٢٣٤

(٢) توفى النسائى سنة ٣٠٣هـ (راجع ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١، أبى المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨٨)

(٣) توفى عبدالله بن قتيبة سنة ٣٢٢هـ (راجع معجم الأدباء ج ٣ ص١٠٣ وما يليها ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٦ ، ابن حجر — رفع الاصر ص ٥٤٦) .

(٤) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٩٥

(٥) كامل حسين — فى الأدب المصرى الاسلامى ص ٨٤ و ٨٥ .

الكيمياء وغيرها من علوم الفلسفة وكانت وفاته سنة ٢٤٥[١] هـ .

وفى أواخر هذا العصر اضمحل أمر الدولة العباسية وفقدت سلطانها وانقسمت إلى دويلات صغيرة وصار الأمر فيها إلى حكامها ولم يعد للخليفة العباسى الا الدعاء فى الخطبة وتنافس الأمراء فى تشجيع العلماء واتخذوا الشعر وسيلة لنشر سلطانهم . فكان من اثر ذلك ان قامت نهضة علمية فى الاقاليم المختلفة ومن بينها مصر التى استقل بها الطولونيون وبنى أول أمرائهم أحمد بن طولون جامعه[٢] المعروف باسمه سنة ٢٦٥ هـ وقد أملى فيه الحديث الربيع[٣] ابن سليمان تلميذ الامام الشافعى . وهكذا قامت الدولة الاخشيدية بمصر وكانت بها نهضة علمية أدبية وعلم وتعليم للعلوم الاسلامية على اختلافها ومعلمون وعلماء وشعراء وكتاب ومجالس علم وحلقات درس فى جامعى عمرو وابن طولون .

عناية الاخشيديين بالتعليم

أسس محمد بن طغج الاخشيد اسرته سنة ٣٢٣ هـ وكانت مصر فى عهده فى طمأنينة وهدوء وكان الأمن مستتباً[٤] والرخاء شاملا . وقد عمل هو وكافور من بعده على تنمية ثروة مصر مما ساعد الاخشيديين على تشجيع طلبة العلم والعلماء والأدباء والشعراء وبناء المساجد التى كانت دورا للعبادة

(١) القفطى — أخبار الحكماء ص ١٨٥ ، الخطط ج ١ ص ٣٨٦ و٣٨٧ .
(٢) سنعود إلى الكلام على هذا الجامع فى هذا الباب والأبواب التالية .
(٣) الخطط ج ٤ ص ٣٦ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٧ .
(٤) الدكتور حسن ابراهيم — الفاطميون فى مصر ص ٨٨ ، الدكتور على ابراهيم — تاريخ جوهر ص ٢٧ .

والدرس فقد ذكر ابن سعيد[١] : « وتولى الاخشيد أمور مصر فى الأموال والرجال . . . وكان يحادثه ويسامره سعيد الشاعر المعروف بقاضى البقر ولما دخل شهر رمضان أطلق النفقات للمسجد الجامع وأمر بعمارة المساجد بالحصر والبياض والخلوق والمصابح والائمة، وقال فى مكان آخر[٢]: «وكان الأخشيد بالشام وبلغه خبر أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر فقال جئونى به فأحضره اليه وأكرمه ، وكان يحب الصالحين ويكرمهم ويركب اليهم ويطلب دعاءهم بل ويحب قراءة القرآن ويبكى عند سماعها[٣] .

أما كافور معلم أبناء الأخشيد وخادمه ووزيره فقد أنفق بسعة على العلماء والشعراء والأدباء كولاه . ويقول عنه ابن سعيد[٤] : « وكان عارفا بمقادير العلماء والاشراف والوجوه ، وقدقصده سيدالشعراء وأمامهم أبو الطيب المتنبى وقال فيه مدحا فأجزل له العطاء[٥]. وكانت تقرأ عنده كل ليلة السير وأخبار الدولة الاموية والعباسية وكان مجلسه غاصا بالعلماء وله نظر فى الأدب والعلم.[٦] وعلى الرغم من الاضطراب الذى ساد مصر فى أواخر أيامه فان عهده يعد بحق عهدا ذهبيا من الناحيتين الادبية والعلمية وقد أشار إلى ذلك أوليرى[٧] فى كتابه عن الدولة الفاطمية .

---

(١) كتاب المغرب فى حلى المغرب ص ١٦

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤ و ٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٧

(٥) ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦ و ٤٣١ .

(٦) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦ ، راجع Stanley Lane — Poole: A His. of Egypt in the Middle Ages, p 88.

(٧) راجع O'Leary. A Short Hisi. of the Fatimid Khalifate, pp. 95, 96.

ومهما يكن من أمر فقد بالغ الإخشيديون فى إعطائهم الأموال والهبات للعلماء المصريين والوافدين على مصر وساعدوا على الرحلة إليهم من الأقطار الإسلامية الأخرى مما أفاد التعليم فائدة عظيمة وأصبحت مصر بفضل الدولة الإخشيدية مركزاً ممتازاً للعلم والتعليم [١] إذ كانت حلقات الفسطاط حيث يلقى الفقهاء والأدباء دروسهم ومصنفاتهم على تلاميذهم فى أوج ازدهارها ونبغ من المصريين كثير من زعماء الفكر والأدب منهم أبو عمر الكندى (سنة ٣٥٠ هـ) وأبو جعفر النحاس المصرى (سنة ٣٣٨ هـ) وأبو بكر الحداد (سنة ٣٤٥ هـ) وكثيرون غيرهم [٢]. وكان جامع عمرو هو معهد مصر الأكبر فى ذلك العهد أما المتنبى فكان يعقد حلقاته الأدبية فى مسجد ابن عمروس حيث يجتمع إليه الأدباء والشعراء وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر [٣]. وإلى جانب هذه الحلقات العامة كانت ثمة مجالس علمية وأدبية خاصة يعقدها الأمراء والكبراء ويؤمها طلبة العلم والعلماء والأدباء ومن هؤلاء الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه الذى وزر لأنوجور بن الإخشيد ثم لأخيه وكان عالما محدثا يحب أهل العلم والحديث ويكرمهم كما كانت اليه الرحلة [٤].

---

(١) راجع Stanley Lane — Poole: A His. of Egypt in the Middle Ages, p. 90.

(٢) سنعود إلى الكلام على هؤلاء الأقطاب جميعا فى هذا الباب.

(٣) عنان — تاريخ الجامع الأزهر ص ٦٤

(٤) راجع معجم الأدباء. ج ٧ ص ١٦٣. وسأعود للكلام عليه فى هذا الباب.

معاهد التعليم بمصر فى عهد الاخشيديين
(٣٢٣ — ٣٥٨ هـ)

اتخذ المسلمون من المسجد كما قدمنا مدرسة للتعليم من أول أمرهم فقد كان الدين هو الدافع إلى العلم والتعليم وكانت مواد الدراسة لا تخرج عن العلوم الشرعية وما يتصل بها من علوم اللغة فلم يجد المسلمون أماكن أصلح لتعليم هذه العلوم من بيوت الله التى شيدت لإقامة شعائر الدين . هذا فضلا عن أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اشتهروا بالقصد فى صرف أموال المسلمين[1] وبمجانبة مظاهر الترف والتبذير فعملوا جهدهم على التقليل من بناء الدور الحكومية واتخذوا من المساجد مواطن لكثير من شئون الدولة ومصالح المسلمين . ففيها كانت تقام الصلاة ويجلس الخلفاء والولاة والقضاة للفصل فى الدعاوى والحكم بين الناس وإقامة الحدود وفيها كذلك ابتدأ التعليم .

وهكذا كانت الحال فى مصر منذ دخلها الإسلام على يد عمرو بن العاص مؤسس الفسطاط فقد بنى بها مسجده الجامع سنة ٢١ هـ وكان هذا المسجد مركزا لصلاة الجماعة وللخطب السياسية والمجالس الرسمية وكان به يعقد ديوان الخراج كما كان مركز القضاء الأعلى ثم غدا بعد ذلك مركزاً ممتازاً للعلم والتعليم .

وقد تعددت المساجد الجامعة ومساجد الخمس فى مصر وزادت زيادة كبيرة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الإخشيد إذ لم يكن الباعث على بنائها منذ ذلك الوقت مقصوراً على الأغراض الدينية وحدها بل كان ذلك راجعاً

(١) تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٣٢٤ ، مصطفى بيرم — الجامع الازهر ص ١١

أيضاً إلى أسباب سياسية واجتماعية [١] كما كان أثراً من آثار السياسة الموضوعة لإنشاء الأمصار الإسلامية وضعها عمر بن الخطاب وكتب بها إلى الولاة ومنهم عمرو بن العاص بأن يتخذوا فى كل مدينة مسجداً [٢] للجماعة. ومن ثم بلغت المساجد الجامعة فى مصر عدداً كبيراً [٣]، أما مساجد الخمس فقد أشار إلى كثرتها القلقشندى [٤] فى قوله: «وأما مساجد الخمس فكانت على العدد الذى لا يحصى لكثرتها وخطط القضاعى شاهدة بذلك. وقد رأيت فى بعض التواريخ أن الفناء وقع فى أيام كافور الإخشيدى حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة وأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها وقال ابنوا بها المساجد واتخذوا لها الأوقاف فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها».

واستمرت هذه الزيادة بعد ذلك وعمت المساجد كافة أنحاء القطر المصرى حتى كان فى الفسطاط وحدها عدد كبير بلغ ستة وثلاثين الف مسجد فى زمن القاضى أبى عبد الله القضاعى (سنة ٤٥٤ هـ [٥]). وكانت تقام بهذه المساجد شعائر الدين ويقوم رجال الدين بالتعليم. وقد قصرت الكلام هنا على أشهر دور التعليم فى مصر فى زمن الدولة الإخشيدية وهما جامع عمرو وجامع ابن طولون.

---

(١) الفاطميون فى مصر ص ١١٩، تاريخ جوهر الصقلى ص ٩٨

(٢) الخطط ج ٤ ص ٤

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٢

(٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤٦

(٥) الخطط ج ٢ ص ١٢٩

١ — جامع عمرو :

كانت الفسطاط أول حاضرة للاسلام فى مصر خططها عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ [١] وكان أول ما اتجه اليه نظره أن يبنى للمسلمين مسجداً يقيمون فيه شعائرهم ولكى يكون رمزا لسيادة الاسلام الروحية ومنبرا للدين الجديد والرسالة الجديدة فبنى جامعه المشهور سنة ٢١ هـ . فهو اذن أقدم جوامع مصر الاسلامية ومن ثم اطلق عليه « المسجد العتيق » و« تاج الجوامع » و« المسجد الجامع » [٢] . ويقال إنه وقف على اقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضى الله عنهم [٣] وقد عاصر هذا الجامع جميع العهود والعصور منذ الفتح العربى إلى الآن وشهد جميع التطورات التى حدثت فى مصر وأدخل عليه كثير من أمراء مصر العمارات المختلفة [٤] وظل يؤمه الناس للصلاة طوال هذه القرون الخالية بل ويحرص المصريون إلى الآن على إقامة صلاة الجمعة اليتيمة به . ولم يبق من البناء الأصلى شئ الآن وإنما ترجع أهميته التاريخية إلى موضعه باعتباره الموضع الأول الذى أقيم فيه أول مسجد فى مصر .

وكان المسجد الجامع مكانا للدرس كغيره من المساجد فقد بدأت الدراسة

---

(١) ابن دقاق — الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ٢ وما يليها .
(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥٩
(٣) الخطط ج ٤ ص ٥ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤ .
(٤) راجع ابن دقاق — الانتصار ج ٤ ص ٦٢ ومايليها ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٤ وما يليها .

فيه سنة ٣٨ هـ بذكر قصص دينية خلقية[١] قصد بها تعليم المسلمين وتهذيبهم ثم اتسع نطاق التدريس به تدريجيا حتى إذا حضره الامام الشافعى رضى الله عنه وجد به ثمانى زوايا[٢] يدرس فيها الفقه فدرس هو فى واحدة منها. وقد اضطردت زيادة حلقاته العلمية هذه فى العصور التالية . واليك ماقاله ابن سعيد[٣] فى وصفه للمسجد الجامع عند زيارته له : « واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المصريين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن » . أضف إلى ذلك ماذكره المقريزى[٤] :

« واخبرنى المقرىء الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله ابن الحسن الأوحدى رحمه الله تعالى . قال اخبرنى المؤرخ تاج الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات . قال اخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصائغ الحنفى انه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة ٢٤٩ هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه » .

وقد عنى بنو الأخشيد بهذا المعهد كما عنى به غيرهم من الأمراء من قبل ومن بعد وزيدت عمارته فى عهدهم وزينت عمده[٥] وكانت حلقاته العلمية فى زمنهم أشهر مجالس العلم والتعليم، فقد ذكر ابن سعيد[٦] : « وفى هذه السنة (٣٢٦هـ)

---

(١) الخطط ج٤ ص ١٧ وقد ذكر ابن دقاق (الانتصار ج ٤ ص ٣٢) أن بداية القصص بمصر كان سنة ٣٦ هـ .

(٢) ابن دقماق — الانتصار ج ٤ ص ١٠٠ ، الخطط ج ٤ ص ٢٠

(٣) الخطط ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) الخطط ج ٤ ص ٢١ .

(٥) الانتصار ص ٦٧ ، ٦٨ ، الخطط ج ٤ ص ٩

(٦) ابن سعيد — المغرب ص ٧٤

وعاد أصحاب مالك والشافعى إلى القتال فى المسجد الجامع العتيق وكان فى الجامع للمالكيين خمس عشرة حلقة وللشافعيين مثلها ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث حلق فلما زاد قتالهم أرسل الأخشيد ونزع حصرهم ومساجدهم وأغلق الجامع وكان يفتح فى أوقات الصلوات . ثم سئل الأخشيد فيهم فردهم » . وفى هذا القول دلالة واضحة على اقبال الطلبة على العلم فقد كان فى المسجد الجامع ثلاث وثلاثون حلقة للعلوم المختلفة وفى هذه الحلقات تخرج معظم المحدثين والفقهاء فى ذلك العصر .

٢ — جامع ابن طولون :

هو من أهم الآثار العربية فى مصر وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ انشائه[١] ولكن الدكتور زكى محمد حسن[٢] يرجح ما ذكره المقريزى من ان الفراغ من بنيانه فى سنة ٢٦٥ هـ وقد قام بإنشائه احمد بن طولون على جبل يشكر تقربا لله سبحانه وتعالى فقد نشأ على مذهب جميل وحفظ القرآن وأتقنه وكان من أطيب الناس صوتا به مع كثرة الدرس وطلب العلم وتفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة[٣] .

---

(١) فقد ذكر المقريزى (الخطط ج ٤ ص ٣٦) أن بنيانه ابتدأ سنة ٢٦٣ هـ وخالفه ابن دقاق (الانتصار ج ٤ ص ١٢٢) وأبو المحاسن (النجوم ج ٣ ص ٩) فذهبا إلى أن الشروع فى تشييده كان سنة ٢٥٩ هـ . ويذكر الكندى (الولاة ص ٢١٩) أن ابن طولون ابتدأ فى تشييد مسجده سنة ٢٦٤ هـ وأتمه فى سنة ٢٦٦ هـ .

أما السيوطى (حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٦) فذهب إلى أن ابتداء بنيانه كان سنة ٢٦٣ هـ وفرغ منه سنة ٢٦٦ هـ .

(٢) الفن الاسلامى فى مصر ص ٣٧ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤١٣ ، وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٥

راجع Stanley Lane-Poole: A His. of Egypt in the Middle Ages, pp.60,71.

وعندما تم بناؤه أملى فيه الحديث الربيع بن سليمان[١] تلميذ الإمام الشافعى، ويقول المقريزى[٢] : «إلى أن فرغ من جميعه وبيضه وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء» ، ويقول فى مكان آخر[٣] : «وتقرب الناس إلى ابن طولون بالصلاة فيه وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة فى فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم» ، وقد بقى هذا الجامع إلى اليوم على الرغم من زوال ما حوله وذلك بفضل عناية الأمراء به .

كان إذن جامع ابن طولون معهدا من معاهد التعليم فى مصر من بدء إنشائه وقد ظل كذلك فى العصور التالية فقد ذكر ابن جبير[٤] أن المغاربة كانوا يسكنونه زمن صلاح الدين بن أيوب ويحلقون فيه ، وكانت رحلة ابن جبير سنة ٥٨٧هـ وقال السيوطى[٥] إن هذا الجامع كان شهيرا بدروس التفسير والحديث والفقه والقرآات والطب والميقات فى زمن حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦هـ .

أما فى عهد الدولة الأخشيدية فلم يكن هذا المسجد أقل من غيره من دور التعليم الأخرى وإن كان يأتى فى المرتبة الثانية بعد جامع عمرو . وكان به أكثر صلاة الاخشيد فقد قال ابن سعيد[٦] : «وكان أكثر صلاته (أى الاخشيد) فى جامع ابن طولون إلا فى رجب وشعبان ورمضان» .

---

(١) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٧ . (٢) الخطط ج ٤ ص ٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٧ .
(٤) الرحلة ص ٤٨ . راجع أيضا عكوش — جامع ابن طولون ص ٩١ .
(٥) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٧ (٦) المغرب ص ٣١ .

٣ — مواد الدراسة — المعلمون وأشهر العلماء

لم يكن هناك اختلاف كبير بين هذا العصر والعصر الذى سبقه فالعلوم الدينية كالحديث والفقه كانت تحتل فيه المكانة الأولى ثم تليها العلوم العربية الخالصة من نحو وصرف ورواية للاشعار. أما العلوم العقلية فلم تنشط فيه كما نشطت فى العصر الفاطمى الذى يليه ، ذلك أن مصر لم تساهم كل المساهمة فى حركة النقل بقدر ماساهم به العراقيون . ولم تكن بعد قد وفقت إلى خليفة كالمأمون أو شيد بها نوع جديد من دور التعليم كبيت الحكمة فى بغداد أو دار العلم بالقاهرة لدرس الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة والهيئة والطبيعة والكيمياء والفلك وسائر العلوم العقلية الأخرى .

ومن المواد التى كانت تدرس بالمساجد فى عصر الدولة الاخشيدية العلوم الشرعية وتشمل علوم القرآ ات والتفسير والحديث والفقه والكلام .

وكان من أئمة القرآ ات فى هذا العصر عامر بن حمدان أبو غانم المصرى المقرىء النحوى ، قرأ عليه عامة أهل مصر وله مؤلف فى اختلاف السبعة ومات سنة ٣٣٣هـ [١] . وكذلك أبو بكر بن عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف التجيبي المقرىء المصرى شيخ الاقليم فى القرآ ات فى زمانه ومات سنة ٣٥٧ هـ [٢] .

ومن الفقهاء الذين اشتهروا بتدريس الفقه والحديث وغيرهما ابو الذكر محمد بن يحى الاسوانى فقد ولد فى سنة ٢٥٥ هـ واعتنى بالفقه فمهر فيه حتى كان

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٨

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٨ .

المشار إليه فى مذهب مالك بمصر، وتصدى للتدريس والافتاء وكانت له حلقة فى جامع عمرو كما كان يتناظر عنده الفقهاء (وكان يجلس للاشتغال بالعلم من الصبح إلى الزوال ثم من بعد صلاة الظهر إلى العصر وتوفى سنة ٣٤٠ هـ.)[١]

وكذلك أبو بكر بن أحمد بن جعفر الكنانى المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعى المصرى ولد فى سنة ٢٦٤ هـ وتولى القضاء والتدريس بمصر وكان فقيها متعبدا يحسن كثيراً من العلوم كعلم القرآات وعلم الحديث والأسماء والكنى والرواة والنحو واللغة واختلاف العلماء وسير الجاهلية وأيام الناس والأنساب ويحفظ شعراً كثيراً وينظم وصنف « الباهر فى الفقه » فى مائة جزء وكتاب « جامع الفقه » وكتاب « أدب القاضى » فى أربعين جزءا ومات سنة ٣٤٤ هـ وقيل سنة ٣٤٥ هـ وحضر جنازته الأمير أبو القاسم انوجور بن الأخشيد وكافور[٢].

ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى مصر وقاموا بالتدريس فى مساجدها فى زمن الدولة الأخشيدية أبو اسحق المروزى الفقيه الشافعى وكان امام عصره فى الفتوى والتدريس، ارتحل من العراق إلى مصر وجلس فى مجلس الشافعى فاجتمع الناس عليه وضربوا اليه أكباد الابل وتوفى بمصر سنة ٣٤٠ هـ[٣]

وكذلك أبو طاهر الذهلى فقد حدث ببغداد ثم ارتحل إلى مصر سنة ٣٤٠ هـ وقد تفقه فى مذهب مالك كما كان ثقة ثبتا مسندا فى الحديث وكان له مجلس يجتمع اليه المخالفون ويناظرون بحضرته وكان يتوسط بينهم ويتكلم بكلام

---

(١) ابن حجر العسقلانى — رفع الاصر ص ٥٣٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٨ ، رفع الاصر ص ٥٥١ وما يليها ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٦ .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٦ .

سديد ، وقد ظل ينظر فى القضاء حتى صرف عنه سنة ٣٦٦ هـ وظل يكتب عنه الحديث حتى توفى سنه ٣٦٧ [١] هـ ، واذن فقد قام بالتدريس فى عصر الدولة الأخشيدية وفى العصر الفاطمى الأول .

ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى مصر كذلك وقاموا بالتدريس فيها فى عهد الدولتين الاخشيدية والفاطمية أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة فقد رحل إلى مصر وتقلد الوزارة لبنى الاخشيد وإليه رحل أبو الحسن الدار قطنى [٢] وصنف له ما اراد فى مصر . وكان جعفر هذا يملى الحديث وبكرم العلماء وقد ذكر ياقوت [٣] ان الكاغد كان يعمل بسمرقند ثم يحمل اليه فى مصر كل سنة وكان فى خزانته عدة من الوراقين وقد توفى سنة ٣٩١ هـ .

ومن هذه المواد أيضا العلوم اللسانية وتشمل النحو والصرف ومتن اللغة وعلوم البلاغة والخطابة وغيرها .

وممن اشتغل بتدريسها فى هذا العصر أحمد بن محمد بن اسماعيل أبو جعفر النحاس الذى نبغ فى النحو واللغة وحذق القرآن ومايتعلق به ورحل إلى بغداد وتلقى العلم هناك وصنف كتبا كثيرة منها « إعراب القرآن » و« معانى القرآن » و« أدب الكاتب » و« كتاب الكافى فى النحو » وله تصانيف أخرى مفيدة لايتسع المقام لذكرها ، وكان يملى أخبار الشعراء فقد روى أنه فسر عشرة دواوين وأملاها على تلاميذه بمصر وكان لاينكر أن يسأل أهل النظر والفقه

---

(١) الكندى — الولاة والقضاة ص ٤٩٣ ، ابن حجر — رفع الاصر ص ٥٨١ وما يليها

(٢) مات سنة ٣٨٥ هـ (راجع وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٣١) .

(٣) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٦ . راجع أيضا النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٦ .

ويناقشهم فيما أشكل عليه فى تصانيفه وتوفى سنة ٣٣٨ [١] هـ .

وكذلك محمد بن مومى بن عبد العزيز الكندى المصرى ويعرف بابن الجبى ويلقب بسيبويه ، وكان عارفاً بالنحو والمعانى والقراءة والغريب والإعراب والأحكام وعلوم الحديث والرواية ، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والأشعار والفقه على مذهب الشافعى ، وجالس ابن الحداد الفقيه الشافعى وتتلمذ له واجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء والعباد ومات سنة ٣٥٨ هـ[٢] .

أما عن الطب وغيره من العلوم العقلية الأخرى فلم يشتغل بها كثيرون فى هذا العصر ، ويذكر لنا ابن أبى أصيبعة بعض الأطباء فى هذا العصر أمثال سعيد بن البطريق والبالسى ونسطاس بن جريج . فأما الأول فكان طبيبا من أهل الفسطاط وله دراية بعلم النصارى ومذاهبهم ، وكان مولده سنة ٢٦٣ هـ ووفاته سنة ٣٢٨ هـ ، وله من الكتب كتاب فى الطب وكتاب « نظم الجوهر » ويشتمل على ثلاث مقالات كتبه فى صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيادهم وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم . وذيل هذا الكتاب نسيب لسعيد بن البطريق هو يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٥٨هـ)[٣] . أما البالسى فلم يذكر لنا كتبه ولا مولده أو وفاته ، ولكنه واضح أنه من أطباء الدولة الإخشيدية ، إذ يقول ابن أبى أصيبعة[٤]

---

(١) راجع معجم الادباء جـ ٤ ص ٢٢٤ وما يليها ، وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣٠٠ ، السيوطى — بغية الوعاة ص ١٥٧ .

(٢) معجم الادباء جـ ١٩ ص ٦١ ، بغية الوعاة ص ١٠٨

(٣) راجع ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٨٦ وما يليها .

(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٨٦ .

انه كان متميزاً فى معرفة الأدوية المفردة وأفعالها ، وله من الكتب كتاب « التكميل فى الأدوية المفردة » ألفه لكافور الإخشيدى . ونسطاس ابن جريج[1] كان كذلك عالماً بصناعة الطب فى دولة الإخشيد بن طغج .

أغراض التعليم فى مصر في عهد الاخشيديين

يعد التعليم الإنسان للحياة ، والحياة مختلفة المناحى متعددة الوجهات ولذا اختلفت أغراض الناس فى التعليم . فكان لكل عصر من عصور التاريخ ولكل أمة من الأمم غرض تمليه عليه أحوالها المختلفة جغرافية كانت أو اجتماعية ، سياسية أو دينية . فقد يكون الغرض إعداد الناس لكسب الرزق أو ثقافتهم وتهذيبهم أو تعليمهم العلم لنفسه أو غير ذلك من الأغراض المتعددة الأخرى . وهذه الأغراض على تعددها متداخلة ومرتبطة بعضها ببعض ، ولكن واحداً منها أو أكثر يتغلب فى العادة على سائرها ويصبح هو الظاهر البارز فيها وتتضاءل معه الأغراض الأخرى تضاؤلا غير قليل .

والمسلمون فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى فى ذلك العصر كانت لهم أغراض متعددة فى التعليم ، ولكن الغرض الدينى كان هو البارز فيها المتغلب عليها . فقد كان الدين هو الدافع الأول للتعليم ، وما تعلم المسلمون القراءة والكتابة فى أول أمرهم إلا من أجل تفهم معانى القرآن الكريم والوقوف على أصول الدين .

وقد أجمع كتاب المسلمين الذين تعرضوا للكلام على التعليم الإسلامى

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٥ و ٨٦ .

على أنه هو الوسيلة الأولى لإرضاء الله سبحانه وتعالى وللسعادة الأبدية وإبقاء الإسلام .

فقد قال الزرنوجى[١] : « وينبغى أن ينوى المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم » . وقال صاحب كشف الظنون[٢] : « ثم أن المقصود من العلم والتعليم معرفة الله سبحانه وتعالى وهو غاية الغايات ورأس أنواع السعادات » . وقال فى مكان آخر[٣] : « يجب أن ينوى فى تعلمه أن يعمل بعلمه لله تعالى وأن يعلم الجاهل ويوقظ الغافل ويرشد القوى فإنه قال عليه السلام : من تعلم العلم لأربع دخل النار ، ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء ويقبل به وجوه الناس إليه وليأخذ به الأموال » .

أما حجة الإسلام الإمام الغزالى فقد عقد فصلا فى كتابه « فاتحة العلوم »[٤] بين فيه الغرض من التعليم فى الإسلام وأن تحصيل العلم عبادة ، بل هو أفضل العبادات . فمن قوله : « ان من تعلم العلم لغرض من الأغراض سوى ابتغاء مرضاة الله تعالى فهو عاص ظالم » .

وجملة القول أن الغرض الأساسى للتعليم فى ذلك العصر فى مصر كان هو تعليم الدين والتفقه فيه وإرضاء الله سبحانه وتعالى وطلب الآخرة ، وكان يتضمن هذا الغرض بالطبع أغراضاً أخرى ثانوية كانت نتيجة له . فالتعليم الدينى من غير شك يهذب الأخلاق ويطهر النفوس ويثقف الأذهان ويرفع

---

(١) تعليم المتعلم ص ٦ . (٢) ج ١ ص ٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٨ . (٤) ص ٩

مقام صاحبه الاجتماعى ويساعده فى النهاية على كسب الرزق . فالدافع الأول للتعليم إذن كان دينياً ، ولكن كانت هناك دوافع أخرى متعلقة به متممة له ، منها تهذيب الأخلاق والتحلى بالفضائل وكسب المال والجاه وطلب الرزق . فيقول صاحب كشف الظنون [١] : « فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق » . ويقول فى مكان آخر [٢] : « وللعلم لذة روحانية فى الدنيا والآخرة ، فأما فى الدنيا فالعز والوقار ، وأما فى الآخرة فهو وسيلة للسعادة الأبدية » . ولم يقلل الدين الإسلامى على أى الأحوال من قيمة السعى لطلب الرزق ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » [٣] .

ومهما يكن من شىء فقد أقبل طلبة العلم فى هذا العصر على التعليم طلبا للآخرة أولا ثم الاتصاف بالاخلاق الحميدة ثانيا ثم كسب الرزق أخيراً ، وهذه الأغراض الثلاثة كانت فى الواقع فروعاً لغرض واحد هو الغرض الدينى . ولكن لم يخل هذا العصر أيضاً من طلبة يبتغون من العلم الحصول على الوظائف وكسب المال والجاه وطلب الدنيا .

وهؤلاء كانوا فى الغالب غير مسلمين حتى انك ترى الغزالى يحرم تعليم العلوم الدينية كالتفسير والاخبار وعلم الفقه والأصول والكلام لغير الله عز وجل ، اما الحساب والطب فيجوز عنده تعلمهما لكسب المال والجاه [٤] . وكان

---

(١) ج ١ ص ١٥ (٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣

(٣) مصطفى أمين — تاريخ التربية ص ١٦٧ . (٤) راجع فاتحة العلوم ص ١٥

يقوم فى الغالب بتعلم هذين العلمين غير المسلمين من الموالى فالاطباء فى مصر وغيرها كانوا جلهم من اليهود والنصارى .

قيام الدولة الفاطمية وأثرها فى التعليم

لبثت مصر منذ الفتح الإسلامى ولاية تابعة للخلافة غير أنها كانت منذ ذلك الوقت تتبوأ بين الولايات الأخرى مركزاً ممتازاً . ولما اضمحل سلطان الدولة العباسية غدت مصر طعمة لطائفة من الحكام الأقوياء يحكمونها باسم الخلافة بينما ينشئون بها دولا مستقلة لاتكاد تربطها بالخلافة أية روابط سياسية أو ادارية ، وكان اسطع مثل لهذه النزعة الإستقلالية قيام الدولة الطولونية ثم الدولة الإخشيدية تستظل كلتاهما بلواء الخلافة ولكن تستأثر دونها بالسلطان والحكم .

كانت مصر تتمتع بهذا المركز الممتاز وذلك لموقعها الجغرافى بين الشرق والغرب ولوفرة ثروتها واتساعها وغناها ولأنها تصلح لأن تكون مركز دولة مستقلة تستطيع الاحتفاظ باستقلالها عند الحاجة .

ولم تخف هذه الحقيقة على الفاطميين [١] منذ استطاعوا أن ينفذوا بدعوتهم إلى إفريقية ويشيدوا بها دولتهم الاولى على انقاض ملك الاغالبة [٢] ، فاتجهوا بانظارهم إلى مصر وعقدوا العزم منذ الساعة الأولى على غزوها وامتلاكها ، ذلك أنهم عرفوا أن مصر بموقعها الجغرافى ووفرة ثروتها ستساعدهم على تحقيق

(١) الدكتور حسن ابراهيم — الفاطميون فى مصر ص ١٠٤

(٢) راجع المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ٣١ وما يليها ، الفاطميون فى مصر ص ٥٣ وما يليها .

أغراضهم وبث عقائد مذهبهم ونشر سلطانهم على البلاد الإسلامية فى الشرق ، ولأن فى مصر دون غيرها تستطيع الخلافة الفاطمية أن تقيم ملكها السياسى وامامتها الدينية على أسس قوية باذخة . ويؤيد هذا مايقوله الدكتور حسن ابراهيم [١] : عنى الخلفاء الفاطميون عناية خاصة بامتلاك مصر لما لموقعها من عظيم الاهمية سياسيا وحربيا خصوصا وان ولاة هذه البلاد كانت اليهم ولاية الشام والحجاز فكان امتلاكهم مصر امتلاكا لهذين البلدين العظيمين وتأسيس نفوذ الفاطميين السياسى والدينى فى ثلاثة من المراكز الاسلامية الكبيرة وهى الفسطاط والمدينة ودمشق» . لهذا لانعجب إذا رأينا الخلفاء الفاطميين منذ خلافة المهدى يدأبون على امتلاك هذه البلاد فيرسلون الحملات البرية والبحرية لفتحها [٢] الا ان هذه الحملات ردت على اعقابها فى ذلك الوقت لان مصر كانت لاتزال قوية ولان العباسيين كانوا لايزالون يستطيعون الدفاع عنها . هذا فضلا عن الثورات التى قام بها الخوارج فى بلاد المغرب [٣] والتى كادت من اجلها تنهار هذه . الدولة الفاطمية الناشئة وهى فى المهد .

كان الإخشيد شجاعاً قوياً طموحاً وافر الذكاء ، وقد استقرت الأحوال بمصر فى عهده واستطاعت جيوشه أن ترد جيوش الغزاة [٤] وسطعت دولته

---

(١) الفاطميون ص ٨١

(٢) راجع ابن الاثير — الكامل ص ٣٢ و ٣٤ و ٤٢ ، الخطط ٢ ص ١٦٢ و ١٦٣ ، اتعاظ الحنفا ص ٤١ وما يليها ، حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٤١ ، الفاطميون ص ٨١ وما يليها .

(٣) قامت ثورة فى بلاد المغرب أضرم نارها أبو زيد مخلد بن كيداد وغيره سنة ٣٣٣ هـ وظلت حتى سنة ٣٣٦ هـ (راجع تاريخ يحى بن سعيد الانطاكى جـ ٢ ص ١٠٤ ، اتعاظ الحنفا ص ٤٥ وما يليها ، الفاطميون ص ٨٦ وما يليها) .

(٤) اتعاظ الحنفا ص ٤٥ .

بمصر وكادت تنافس فى القوة والبهاء دولة بنى العباس ذاتها ، ولكن الأمر لم يستمر على هذا الحال فقد ورث ملك الإخشيد أمراء ضعاف وآل تدبير الأمور إلى كافور الإخشيد ، وهو مع دهائه وقوة عزمه لم يستطع أن يحول دون تسرب العوامل المعنوية والاجتماعية الهدامة . فكثرت الأزمات واضطربت أحوال الجند والشعب وظهرت أمارات الذبول والهرم على الدولة الإخشيدية ولاح لها شبح الفناء جاثماً فى الأفق[١].

شغلت الدولة الفاطمية بشئونها الخاصة حيناً من الدهر ، ولم تعاود كرة الهجوم على مصر ولكنها ظلت مع ذلك ترقب سير الحوادث فيها وتعتمد فى تنفيذ مشروعاتها على وسائل أخرى هى ترغيب الشعب المصرى والاتصال به مباشرة عن طريق دعاتها إذ يقول المقريزى[٢] : « وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر ، وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الإخشيدية والكافورية » . ويقول الدكتور حسن ابراهيم[٣] : « ولقد صادفت الدعوة للبيت العلوى نجاحا عظيما فى هذه البلاد بالرغم من القضاء على هذه المحاولات التى قام بها الفاطميون لغزو مصر ... فقد كان الفاطميون يدبجون فى صفوف جندهم دعاة عهد إليهم أن يختلطوا بالناس ويعلموهم عقائد المذهب الفاطمى ، فلم يلبث أن صار فى مصر — قبل فتح هذه البلاد على أيدى الفاطميين بزمن

---

(١) قاست مصر فى أواخر الدولة الاخشيدية البؤس والشقاء بدرجة لم ترها من قبل فقد انخفض النيل وانتشر القحط والوباء وفشا الموت واشتد الغلاء وندر وجود القمح وعم السلب والنهب وعجز المصريون عن صد غارات القرامطة أو ملك النوبة وثار الجند لعجز كافور عن دفع رواتبهم وأرزاقهم . وساعدت كل هذه العوامل الفاطميين على فتح مصر (راجع الخطط جـ ٢ ص ١٢٨ و ١٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣٢٦ ، الفاطميون ص ٩٥ و ٩٦) .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٢٨٩ . (٣) الفاطميون ص ٨٩ .

طويل — عدد غير قليل يعتنق المذهب الشيعى ويرجو نجاحه » .

ولم يقتصر ما قام به الفاطميون فى سبيل نشر دعوتهم على هؤلاء الدعاة فحسب بل كان لخلفائهم أيضا نصيب وافر فى تشجيع هذه الدعوة فقد ذكر ابن سعيد (١) أن الخليفة القائم الفاطمى لما انصرف عساكره بالاسكندرية اختار أن يستعطف الاخشيد ويصطنعه فكتب إليه كتابا وقعه بخطه . ويحدثنا المقريزى (٢) أن كافورا استقبل دعاة المعز أحسن استقبال ولاطفهم أحسن ملاطفة كما اعترف رجال بلاطه وكبار موظفى دولته بتقديم الولاء للخليفة الفاطمى (٣) .

ولما توفى كافور وزادت الأحوال اضطرابا وكثر التنافس على السلطة وقلت أعطية الجند كتب بعض زعماء المصريين إلى الخليفة الفاطمى يدعونه إلى فتح مصر ، ويؤيد هذا ما قاله يحيى بن سعيد الانطاكى (٤) : « وكتب جماعة منهم ومن وجوه البلد إلى المعز لدين الله صاحب المغرب يستدعون منه انفاذ جيوشه إلى مصر ليتسلمها وضمنوا له المعونة والمساعدة على أن يملك البلد بغير حرب ولا قتال » . واشترك فى هذه الدعوة رجل من أكابر رجال الدولة فى عهد كافور هو يعقوب بن كلس (٥) ، وقد كان له فيما بعد أعظم شأن فى التعليم والسياسة فى الدولة الفاطمية .

---

(١) المغرب ص ٢٥ و ٢٦ . (٢) الخطط ج ٣ ص ٤٢

(٣) كان كافور فى الواقع يظهر ميله للمعز ولأهل البيت على الدوام (راجع النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦ ، الفاطميون ص ٩٥ ، راجع O'Leary: A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp. 94, 95, 98.

(٤) تاريخه ج ٢ ص ١٢٩

(٥) سنعود للكلام عليه فى الأبواب القادمة (راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٣٣ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١) .

رأى الفاطميون فى موت كافور خاتمة لذلك الاستقرار الذى تمتعت به مصر فى عهد بنى الإخشيد ولم تفتهم أن يلاحظوا عوامل الانحلال والوهن التى سرت سراعا الى قوى مصر المادية والمعنوية . وبينما كانت الدولة العباسية قد زاد ضعفها من جراء غارات البيزنطيين[١] عليها كانت الدولة الفاطمية تضطرم بروح وثاب وعلى رأسها المعز الذى اشتهر بحسن التدبير واحكام الامور ودانت لسلطانه كافة قبائل البربر[٢] واصبحت دولته أحسن ماتكون قوة وفتوة . رأى المعز ذلك فعزم على أن يحقق أمنيته وأمنية آبائه من قبله واستعد لذلك استعدادا عظيما[٣] وحشد كل ما استطاع من جند وذخيرة وجمع الأموال وأعد الطرق وحفر الآبار وعهد بتلك الحملة الى أعظم قواده جوهر الصقلى[٤].

ولما ذاعت الأنباء بوصول عساكر المعز الى الأراضى المصرية[٥] اشتد اضطراب المصريين وكثر الخلاف فى الرأى ولكن معظم الزعماء آثروا مهادنة الفاتحين والتفاهم معهم وفضلوا الانضواء تحت لواء دولة قوية كالدولة الفاطمية على الاستمرار فى معاناة هذه الفوضى السياسية والاجتماعية التى انتشرت فى مصر فى أواخر الدولة الاخشيدية[٦] .

وهكذا استطاع جوهر أن يسير فى ركبه المظفر إلى الفسطاط حاضرة

---

(١) الفاطميون ص ٩٧ وما يليها .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠١ وما يليها .

(٣) راجع اتعاظ الحنفا ص ٦٣ ، الفاطميون ص ١٠١ و ١٠٢ .

(٤) الخطط ج ٢ ص ٢٠٥ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٨ وما يليها .

(٥) كان رحيل جوهر من افريقية فى يوم السبت ١٤ شهر ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ . (راجع أبا المحاسن — النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٨) .

(٦) الفاطميون ص ١١١ .

مصر إذ ذاك فى يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ [١] وينزل فى ظاهرها من الشمال الغربى ثم يضع تنفيذا لأوامر مولاه المعز خطط المدينة الجديدة التى قرر الفاطميون انشاءها لتكون لهم فى مصر قاعدة ومعقلا، ويحفر اساس القصر الفاطمى ويختط بعد ذلك الجامع الأزهر [٢] ليكون إلى جانب عاصمة مصر الجديدة — القاهرة — رمزا للدعوة الفاطمية ومنبرا للامامة الجديدة.

ولم يلبث جوهر أن ارسل بالبشرى إلى مولاه المعز وأمر بقطع الدعوة العباسية من منابر مصر والشام وبدأت الدعوة للخليفة الفاطمى. ولما استقرت الأحوال كتب للمعز للحضور بنفسه وتسلم زمام حكمه [٣] فسر المعز سرورا عظيما وسار من افريقية إلى مصر باهله واملاكه فى ركب هائل فوصل إلى الإسكندرية عن طريق برقه فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ وهرع وفد من أكابر المصريين إلى لقائه وتحيته ودخل المعز القاهرة عاصمته الجديدة فى رمضان ولما وصل خر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين شكراً لله وانصرف الناس عنه [٤].

وهكذا نرى أن الخلافة الفاطمية قد انتقلت إلى مصر وأصبحت القاهرة

---

(١) الخطط ج ٢ ص ١٧٩ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١ (اتفق المؤرخون على أن دخول جوهر مصر كان يوم الثلاثاء من شعبان سنة ٣٥٨ هـ ولكنهم اختلفوا فى تحديد تاريخ اليوم ، فيقول ابن سعيد (المغرب ص ٤٦) انه يوم الثلاثاء ١٦ شعبان ويقول أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٨) انه يوم الثلاثاء ١٨ شعبان، بينما يقول غيرهما أنه ١٧ شعبان (راجع كذلك ابن دقاق — الانتصار ج ٥ ص ٣٥) .

(٢) سنعود إلى الكلام على هذه المنشئات فى الابواب القادمة فلا داعى لذكر تفصيل انشائها هنا .

(٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠٢

(٤) ابن الأثير — الكامل ج ٨ ص ٢٤٤ وما يليها ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢

بدل المنصورية فى بلاد المغرب مركز هذه الدولة الفاطمية الشاسعة الأرجاء ومعقل دعوتها الشيعية التى لبث بنو العباس يطاردونها زمنا طويلا . وقد استطاع جوهر بتشييده الجامع الأزهر أن يقيم الدعوة الفاطمية فى البلاد[١] وأن يبث عقائد المذهب الفاطمى على الرغم مما اعترضه فى أول الأمر من صعاب[٢] إذ كان السواد الأعظم من المصريين يعتنق المذهب السنى فى حين كان الشيعيون أقلية صغيرة بالنسبة إلى أهل البلاد .

ومهما يكن من أمر فإن إقامة الدعوة الفاطمية بمصر كان لها أعظم الأثر فى التعليم فقد اهتم الخلفاء الفاطميون بنشرها إذ عرفوا أن فى ذلك اعترافا بسيادتهم الروحية والسياسية ، فأقاموا المساجد فى جميع أنحاء البلاد وأجزلوا العطاء للمعلمين والعلماء وأنشأوا مجالس الدرس فى القصور الفاطمية الزاهرة وأنشأ الحاكم بأمر الله دار العلم التى عملت على نشر علوم الحكمة والفلسفة واستطاع بفضلهم أن يسموا الجامع الأزهر ويصبح معهدا عالميا يأتيه طلبة العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامى . وبالجملة فقد قامت فى عهد الفاطميين فى مصر نهضة تعليمية زاهرة لا تتخلف عن نهضة العباسيين فى زمن المأمون وساعدهم على ذلك من غير شك أنهم استخلصوا البلاد من دولة بنى الاخشيد نصيرة العلوم والآداب وإليك تفصيل ذلك فى الأبواب القادمة .

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٠ ، الخطط ج ٤ ص ١٤٦ .

(٢) الفاطميون ص ١١٧ ، والدكتور على ابراهيم — جوهر ص ٦٨

الباب الثانى

الكتاتيب فى العصر الفاطمى

عناية الفاطميين بتعليم الأطفال

كان قيام الدولة الفاطمية القوية الشامخة فى مصر مستهل عصرها الذهبى ومفتتح تلك العظمة وذينك البهاء والبذخ التى نثرتها من حولها وطبعت بها حياة مصر العامة عصراً مديداً .

كانت مصر بخصبها ونعمائها وفيض مواردها أعظم دعامة فى هذا الصرح الباذخ الفخم ،فالعصر الفاطمى من أسطع عصور مصر الإسلامية إن لم يكن أسطعها جميعاً . ولما كان الأمر قد آل للفاطميين ونجحوا فى تأسيس خلافة علوية مستقلة بفضل الدين وبفضل انتسابهم[1] إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلا عجب إذا دفعتهم سياستهم الدينية وحثهم العمل على نشر دعوتهم المذهبية إلى تثقيف عقول الشعب والاهتمام بتعليمه واتخاذ كافة الوسائل التى تحقق لهم هذه الغاية وهى نشر فقه الشيعة .

---

(١) ان لفظ الفاطميين الذى عرف به أولاد عبيد الله المهدى — مؤسس دولة الفاطميين فى بلاد المغرب — يشعر بأنهم من أولاد فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ،فهم علويون أيضا . على أن مسألة نسب هذه الأسرة كانت — ولا تزال — موضوعا كثرت فيه آراء الكتاب والمؤرخين الأقدمين والمحدثين لما كان من انحياز الكتاب من العرب إلى القول بما يوافق نزعاتهم السياسية وميولهم الدينية بعيدين عن الحقيقة . ففريق ذهب الى القول بصحة هذا النسب وفريق ناقض هذا القول بجزم بعدم صحته . ولم يسفر بحث المحدثين من المؤرخين لهذا الموضوع عن رأى حاسم نظرا لكثرة أقوال المؤرخين الأقدمين المتباينة .

ولقد عقد الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه «الفاطميون فى مصر» (ص ٦٣ — ٧٩) فصلا ضافيا عالج فيه هذا الموضوع وناقش آراء المؤرخين الاقدمين منهم والمحدثين القائلين بصحة النسب والطاعنين فى صحته . ولم يصل كغيره من المؤرخين الى رأى قاطع وان كان يميل الى القول بصحة نسب الفاطميين الى النبى صلى الله عليه وسلم .

ولقد ساعد على انتشار التعليم فى البلاد أن الخلفاء الفاطميين أنفسهم كانوا من طلبة العلم والمقبلين عليه ولهم حظ وافر من الأدب والشعر يقدمون أهل العلم ويعقدون مجالس المناظرة . وقد فرضوا العلم كذلك على أولادهم وعنوا بتعليمهم على أيدى نخبة من رجال عصرهم ، فنرى المعز أول الخلفاء الفاطميين بمصر قد أحاطه فى حداثته كبار الأئمة والحفاظ[١] ، فشب محباً للعلم واسع الاطلاع وما رؤى فى مجلس إلا كان بيده كتاب . ويؤيد هذا القول ما حدثنا به المقريزى إذ يقول[٢] : « ولما كان فى بعض الأيام استدعى المعز فى يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه فى مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى إلى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب . » وكتب المقريزى[٣] كذلك فى مكان آخر ما قاله جوهر الصقلى عن مولاه المعز فقال : « لما خرجت (أى جوهر) إلى مصر وأنفذت إلى مولانا المعز من أسرته ثم حصل فى يدى آخرون اعتقلتهم وهم نيف وثلثمائة أسير . . . فلما وردمولانا المعز إلى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم علىّ واذكر فى كل واحد حاله ، ففعلت وكان فى يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ لرجل من يد الصقالبة وأقدمه إليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر إليه ويقول يجوز ويعود إلى قراءة ما فى الكتاب حتى حضرت له الجماعة » .

ولم يقف أمر تعليم المعز فى حداثته عند هذا الحد بل نراه قد درس

---

(١) ابراهيم جلال — المعز لدين الله ص ٢٨ .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ١٦٤ ، اتعاظ الحنفا ص ٦٠ و ٦١

(٣) الخطط جـ ٢ ص ٢٠٧ .

كذلك اللغات [١] الأجنبية كالبربرية والرومية والسودانية والصقلبية وأحكم دراستها وحذقها قراءة وكتابة فكان يخاطب رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويطالع بنفسه رسائلهم .

وهكذا كان المعز لدين الله فقيها مبرزا وعلما من أعلام الدين والأدب ، خطيبا بليغ الأسلوب حسن البيان والإجادة اعترف المؤرخون [٢] جميعاً بعلمه وفضله .

ولم يكن اهتمام العزيز والحاكم والظاهر والمستنصر بأقل من اهتمام المعز بالعلم والتعليم والعلماء والمعلمين فقد نبغوا جميعا فى مختلف العلوم وعلى الأخص فى النجامة ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الخلفاء الفاطميين قد أحاطوا أولادهم بعلماء أفذاذ ومعلمين أقطاب يأخذون عنهم العلم . فنرى برجوان مثلا وهو أستاذ [٣] الحاكم قد خلف كثيراً من الكتب [٤] مما يدل على سعة اطلاعه واهتمامه بالعلم . وقد بلغ بهم الأمر أنهم لم يكتفوا بما حصلوه من العلم فى حداثتهم بل اتخذوا لأنفسهم أساتذة [٥] يجالسونهم فى خلوتهم ويدارسونهم كتاب الله ويتلون عليهم سير الأنبياء والخلفاء والعظماء ويحدثونهم عن مكارم الأخلاق ويعلمونهم تجويد الخط .

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ١٦٦ ، واتعاظ الحنفا ص ٦٥ ، ابراهيم جلال — المعز ص ٣٠ ، راجع Stanley Lane-Poole : A His. of Egypt in the Middle ages, p. 99.

(٢) راجع ابن الاثير — الكامل جـ ٨ ص ٢٠٣ ، وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٠٣ ، الخطط جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٣) O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp.123, 131.

(٤) وفيات الاعيان — جـ ١ ص ٨٨ ، الخطط جـ ٣ ص ٥

(٥) كان يطلق على القائم بهذا العمل « صاحب القلم الدقيق » (راجع القلقشندى — صبح الاعشى جـ ٣ ص ٤٩١ ، الخطط جـ ٢ ص ٢٤٤ ، الفاطميون ص ١٥١ و ١٥٢)

ولم يعن الفاطميون بتثقيف أنفسهم وأبنائهم فحسب بل تراهم قد اهتموا كذلك بتعليم صغار غلمانهم ومماليكهم فقد أنشأ المعز[١] حجرا لتعليم الصبيان الذين يخدمون منصب الخلافة بالقصر . وهؤلاء الصبيان يختارون من بين وجهاء الناس من كل ماهو شهم معتدل القامة حسن الخلقة وكان عددهم نحو خمسة آلاف نسمة ومتى عرف الواحد منهم بالفضل والشجاعة خرج إلى الإمرة والتقدم . وقد عنى الظاهر[٢] كذلك بتعليم مماليكه مختلف العلوم وسائر فنون الحرب من رماية ومطاعنة ومسابقة ، وكان الأستاذون هم الذين يشرفون على تربية هؤلاء جميعا وتعليمهم[٣] . ومدرسة صبيان الحجر هذه تعد بمثابة مدرسة خاصة للدراسات العسكرية وغيرها .

وهكذا نرى أن الخلفاء الفاطميين قد اهتموا كثيراً بتعليم أنفسهم وأبنائهم ومماليكهم وخدامهم ، وقربوا العلماء وأجروا عليهم الأرزاق . أما أبناء الأمراء والقواد والموسرين والأغنياء فكانوا يتخذون لأبنائهم مؤدبين يعلمونهم فى المنازل وكان هؤلاء يختارون من بين أجل العلماء وأفضلهم ذكراً . فقد ذكر ياقوت[٤] أن على بن منصور بن طالب الحلبى ويعرف بابن القارح كان يؤدب ولدى القائد حسين بن جوهر فى زمن الحاكم بأمر الله ، وكان ابن القارح هذا شيخاً من أهل الأدب راوية للاخبار حافظا للغة والأشعار عالما

---

(١) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٧١ ، صبح الاعشى جـ ٣ ص ٤٨١ ، الخطط جـ ٢ ص ٣٠٩ وما يليها .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ١٦٩ و ٢٧٨ .

(٣) الخطط جـ ٢ ص ٣١١ و ٣٦٩ .

(٤) معجم الادباء جـ ١٥ ص ٨٣ و ٨٤ .

بالنحو وكانت وفاته سنة ٤٦١ هـ . كما ذكر ياقوت [١] أيضا أن على بن جعفر الذى يعرف بابن القطاع كان يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر ، وكان امام وقته فى علم العربية وفنون الأدب وكانت وفاته سنة ٥١٤ هـ .

كان أبناء الخلفاء والأمراء والقواد والأثرياء اذن يتلقون العلم منفردين على أيدى مؤدبين خاصين يعلمونهم فى المنازل . أما طبقة الشعب ممن لا يستطيعون أن يتخذوا لأبنائهم مؤدبين خاصين فيظهر أنهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب التى كانت لا تخلو منها قرية ولا مدينة . وقد كان لرعاية الخلفاء العلم والعلماء والأدب والأدباء والشعراء أثر كبير فى كثرتها واقبال الناس عليها حتى يطفئوا ظمأهم للعلم إذ كانت الكتاتيب هى التى تعد النشء للالتحاق بالجامع الأزهر وغيره من معاهد التعليم الأخرى ، فضلا عن أن تلقين الصبية أصول الدين الحنيف ومساعدتهم على حفظ كتاب الله العزيز مما يزيد الناس احتراما لهم وقد يكون نصيبهم فى النهاية النبوغ فى العلم أو القربى لله وللخليفة .

الكتاب

اتخذ المسلمون منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم الكتاب أو المكتب مدرسة يحفظ فيها أبناؤهم القرآن الكريم ويتعلمون مبادىء القراءة والكتابة . وقد ظل الكتاب ينمو شيئا فشيئا حتى انتشر انتشاراً كبيراً فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى .

---

(١) معجم الادباء جـ ١٢ ص ٢٧٩ وما يليها .

وكان الكتاب فى أول أمره يتخذ مكانه فى المسجد فى زاوية من زواياه أو أمام محراب من محاريبه وذلك لما بين المسجد والكتاب من علاقة دينية تعليمية وثيقة . فالكتاب من غير شك كان يعد النشء للالتحاق بالمسجد أو الانتقال اليه ، ولكنه بعد ذلك انفصل فى أماكن مستقلة بعيدة عن المساجد فقد كره [١] كثير من المسلمين وجود الأطفال بها لما فى ذلك من التشويش على المصلين وعلى حلقات الدرس ولما قد يحدثه الأطفال من العبث بحوائط المسجد وبنائه وهو المكان المقدس الذى تتلى فيه آيات الذكر الحكيم . ولكنه على الرغم من ذلك ظل كثير من الكتاتيب بالمساجد أو الزوايا أو ألحقت بها وكان الكتاب فى المسجد يتخذ شكل حلقة من حلقات الدرس المختلفة فيجلس المعلم [٢] إلى سارية من سوارى المسجد ومن حوله الصبيان يعلمهم القرآن الكريم أو كتابة الخط .

أما ذلك الكتاب الذى استقل بنفسه بعيداً عن المسجد فقد اتخذه المعلم فى حجرة من داره أو فى أى مكان آخر . ومما يسترعى النظر أن المسلمين فى مصر وغيرها من البلدان لم يعنوا بزخرفة الكتاب أو تنسيقه فى العصر الفاطمى أو فى غيره من العصور الأخرى بل ظل على سذاجته وبساطته مدى عصور طويلة حتى أننا لا نرى فرقا كبيراً بين كتاب الماضى وكتاب اليوم — إن كان لا يزال له وجود بالقرية المصرية .

---

(١) راجع Goldziher: Muslim Education, vol .5 Enc. of Religion and Ethics, pp.203, 204 .

(٢) ظل هذا النوع من الدراسة بالمسجد مدة طويلة بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر ابن بطوطة (الرحلة ج ١ ص ٥٦) أن جماعة من المعلمين كانوا يقرئون الصبيان القرآن أو يعلمونهم اجادة الخط بجامع دمشق .

أما أثاث الكتاب فكان يفرش بالحصر غالباً وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم . وكانت أدوات الدراسة فيه لاتتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح يكتب عليها الصبيان وكذلك عدداً من الدوى والأقلام . وكان صبيان الكتاب يلوثون أصابعهم وملابسهم بالمداد وهم فى جلوسهم بين انحناء يقوس الظهر أو اهتزاز قد يؤثر فى المخ . وكان المكان الذى يشغله الكتاب يختلف باختلاف المعلمين ومشاربهم فمن مكان متسع طلق الهواء يساعد الصبية على الإقبال على الدرس إلى مكان مظلم لا تدخله الشمس يحد من استعداد الصبية للحفظ والإفادة من التعليم .

منهج الدراسة بالكتاب

كانت هذه الكتاتيب التى أتينا على وصفها وتاريخ نشأتها تعتبر المرحلة الأولى للدراسة فى العصر الفاطمى الأول . أما مرحلة الدراسة التالية فكانت تأخذ مكانها فى الجامع الأزهر أو معاهد التعليم الأخرى . فالطفل الذى يبغى أهله أن يلحقوه فى شبابه بالأزهر أو أى مسجد آخر كان عليهم أن يبعثوا به إلى معلم[1] الكتاب حتى إذا ما أصاب من تلك الدراسة الأولية ما يراه أهله ومعلمه كافيا بعثوا به إلى الجامع الذى يكون المرحلة التالية من التعليم حيث ينفق سنوات طويلة من حياته يتابع فيها ماشاء من مختلف الدراسات . فى تراجم كثير من العلماء نرى أنهم ذهبوا أولا إلى المكاتب ثم بعد ذلك إلى حلقات الدرس بالمساجد ، على أن كثيراً من الصبيان كانوا يقنعون بما

(١) كان يطلق عليه «الفقيه» فى كثير من الاحيان (راجع صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢)

استطاعوا أن يحصلوه فى المكتب من الإلمام بالقراءة والكتابة أو حفظ ما تيسر من القرآن الكريم فيعودون إلى ما يحترفون من صناعة أو زراعة وبذلك يقف تعليمهم عند هذه المرحلة الأولى من الدراسة .

وكان الطفل فى الغالب يرسل إلى الكتاب أو يجلس إلى مؤدب يؤدبه فيما بين الخامسة والسابعة من عمره فقد ذكر جولدتزيهر[١] أن الطفل كان يرسل إلى الكتاب فى سن السابعة اذ يكون فى ذلك الوقت مسئولا عن أمور دينه والقيام بها ، بينما ذهب جريفز[٢] إلى أن الطفل كان يرسل إلى المكتب فى الخامسة من عمره فإذا ما بلغ الثامنة وكان ينتمى إلى أسرة معوزة انصرف إلى الصناعة أو التجارة أما إذا كان الطفل موسراً فإنه يواصل الدراسة بالكتاب إلى الرابعة عشرة من عمره . وتشهد تراجم كثير من العلماء المصريين الذين عاصروا الفاطميين بأن الطفل كان يذهب إلى الكتاب فى سن مبكرة ، فقد ذكر ابن أبى أصيبعة[٣] فى ترجمته لعلى بن رضوان[٤] الطبيب المصرى العالم الفيلسوف وكان مولده بمصر وبها تعلم الطب — أنه بدأ دراسته فى السنة السادسة من عمره ولما بلغ العاشرة ذهب إلى القاهرة حيث واصل دراسته ، وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره بدأ يتعلم الطب والفلسفة . وقد عاصر ابن رضوان هذا الحاكم والظاهر والمستنصر وكانت وفاته بمصر

---

(١) Goldziher: Muslim Education, p.200.

(٢) Graves, F.P. :A His. of Education during the Middle Ages, p. 44.

(٣) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٩٩ وما يليها .

(٤) ترجم القفطى أيضا لعلى بن رضوان فى كتابه «أخبار الحكماء» ص ٤٤٣ و ٤٤٤ .

سنة ٤٥٣ هـ . ونرى كذلك فى ترجمة[١] الحسين بن على أبى القاسم المعروف بالوزير المغربى — وكان مولده بمصر سنة ٢٧٠ هـ — أنه حفظ القرآن وعدة كتب فى النحو واللغة وكثيراً من الشعر وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وأجاد الخط قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره مما يدل دلالة واضحة على أنه بدأ دراسته فى سن مبكرة قد تكون قبل السابعة بكثير .

والحياة فى الكتاب كانت فطرية فى الغالب وأوقات الدراسة فيه كانت تحد بعلامات طبيعية ، فشروق الشمس يعتبر مبدأ اليوم المدرسى صيفاً وشتاء وأذان العصر نهايته . وهكذا يطول اليوم المدرسى أو يقصر تبعا لشروق الشمس وأذان العصر فاذا ما بزغت الشمس هرع الأولاد إلى الكتاب صبيحة كل يوم اللهم إلا إذا كان يوم الجمعة[٢] أو أحد أيام المواسم الرسمية .[٣]

---

(١) راجع معجم الادباء ج ١٠ ص ٧٩ وما يليها ، وفيات الاعيان ج ١ ص ١٥٥ وما يليها .

(٢) كان أول من أمر باراحة أولاد الكتاتيب من القراءة فى يوم الجمعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (مصطفى بيرم — الجامع الازهر ص ٤٧)

(٣) كانت المواكب والحفلات الفاطمية تبلغ ذروة البهاء والبذخ أيام الأعياد والمواسم الرسمية وكان الشعب المصرى يشهدها بكثير من الاعجاب والحماسة إذ كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بهذه الاعياد فى فيض من الروعة والبهاء . فتقام فيها المآدب والحفلات الشائقة ويكثر البذل والعطاء وتقام الاسمطة فى قصور متعددة وتوزع الانعامات بمقادير وافرة وكانت الصبية من غير شك تستقبل هذه الاعياد والمواسم فرحة مرحة .

أما هذه الاعياد والمواسم الرسمية فكانت عديدة منوعة فى عهد الدولة الفاطمية وكان بعضها أعيادا عامة وبعضها أعيادا مذهبية تخص الفاطميين دون غيرهم . وهذه الاعياد جميعها هى — رأس السنة — أول العام — يوم عاشوراء (وهو يوم مقتل الحسين) — مولد النبى صلى الله عليه وسلم — مولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه — مولد الحسن عليه =

فكانوا يعطون فيه عطلة لإراحتهم من عناء الدرس وللاحتفال والتمتع بالأعياد والمواسم المختلفة .

أما منهج الدراسة بالكتاب فكان أساسه وأهم مواده القرآن الكريم فمنه يتعلم الصبي القراءة وأصول الدين . يقول ابن خلدون [١] : «اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل من بعض الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ماينبنى عليه . » وكان على الصبى أن يحفظ القرآن مقسما إلى أقسام تختلف طولا وقصرا وصعوبة وسهولة تبعاً لتقدم الصبي فى السن وقوة حافظته .

لم يكن حفظ القرآن واستظهاره كل شىء فى منهج الكتاب بل كان الطفل يتعلم الخط والقراءة كذلك لأنهما وسيلتان لتعلم القرآن الذى كان يعتبر أساساً للمنهج . وكان على الطفل أيضا أن يتعلم قدراً من الحساب [٢] يعينه

= السلام — مولد الحسين عليه السلام — مولد فاطمة — مولد الخليفة الحاضر — ليالى الوقود (ليلة أول رجب — ليلة نصف رجب — ليلة أول شعبان — ليلة نصف شعبان) — موسم ليلة رمضان — غرة رمضان — جبر الخليج — يوم النوروز (عيد فارسى قديم) — يوم الغطاس — يوم الميلاد — خميس العهد (راجع صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٨ وما يليها ، الخطط ج ٢ ص ٣٨٤ وما يليها ، الفاطميون ص ٢٨٤ وما يليها)

(١) المقدمة ص ٦٢٩ و ٦٣٠ .

(٢) ابن خلدون — المقدمة ص ٥٣٩ ، طوطح — التربية عند العرب ص ٧٤ .

على معرفة أوقات الصلاة وجمع الزكاة كما كان يتعلم أحيانا اللغة والنحو والشعر [١] . فمنهج الكتاب اذن يتلخص فى استظهار القرآن الكريم والوقوف على أصول الدين وتعلم بعض مبادىء اللغة والشعر وإجادة الخط ، وكان الصبى فى الغالب يتم هذه المرحلة الدراسية فى بضع سنوات لا نستطيع تقديرها على التحديد لأنها تختلف باختلاف استعداد الأطفال وظروفهم . وقد ذهب طوطح فى كتابه « التربية عند العرب [٢] » إلى أن الطفل يستطيع أن يتم هذه المرحلة الدراسية الأولى فى ثلاث أو أربع سنوات ولكنى أرى أن هذا غير معقول إذ أن مثل هذا المنهج لا يمكن الإلمام به فى مدة قصيرة كهذه .

وإذا ما ذهب الطفل إلى الكتاب حفظ أولا سوراً قصيرة من القرآن بطريقة التلقين وتعلم أثناء ذلك كتابة الحروف وهجاية الكلمات ونطقها بطريق التقليد والمحاكاة ثم يقوم بكتابة وقراءة بعض السور التى حفظها ، ثم يتدرج من القراءة والحفظ بالتلقين إلى القراءة والحفظ عن طريق الكتابة فى اللوح والنقل من المصحف الشريف ويعرض كل ما يكتب أو يحفظ على معلمه .

ومهما يكن من شىء فإن الدراسة بالكتاب كانت مظهراً لنشاط دائم فهذا الطفل يقبل ثم يدبر وذاك يقرأ بصوت مرتفع وآخر يكتب فى لوحه والمعلم يستمع إلى هذا فيصلح خطأه ثم يملى ذاك أو يعلمه أصول دينه . فالتعليم فى الكتاب كان يقوم على مبدأ التعليم الفردى الذى تنادى به التربية الحديثة ، لكننا ناخذ عليه مأخذاً واحداً قد يقلل من شأنه ألا وهو الاعتماد الكلى

---

(١) Goldziher: Muslim Education, pp. 200, 201.
Graves: A His. of Education during the Middle Ages, p. 44.

(٢) ص ٧٥

على الحفظ والاستظهار إذ كان على الطفل أن يحفظ القرآن عن ظهر قلب تلقيناً أو كتابة وكان هذا الحفظ يتطلب ذاكرة[١] لفظية قوية تقلل من الابتكار والتفكير ، فمما لا شك فيه أن هذا النوع من الذاكرة يعتمد على الترابط الآلى[٢] وحده من غير ما نظر إلى معنى أو فهم . فكثيراً ما كان الأطفال يضطرون إلى استعادة السورة بأكملها كى يعثروا على الجزء الذى يبغون تسميعه للمعلم ، وهذا يقلل من قوة التفكير والاستنباط اللذين هما أساس الحياة العقلية . وقد انتبه حاجى خليفة صاحب كشف الظنون إلى ذلك الخطأ واعترف به فتراه يقول[٣] : « الحفظ غير الملكة العلمية ، اعلم أن من كان عنايته بالحفظ أكثر من عنايته إلى تحصيل الملكة لايحصل على طائل من ملكة التصرف فى العلم ولذلك ترى من حصّل الحفظ لايحسن شيئاً من الفن وتجد ملكته قاصرة فى علمه إن فاوض أو ناظر ، ومن ظن أنه المقصود من الملكة العلمية فقد أخطأ وإنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوال إلى المدلولات ومن اللازم إلى الملزوم وبالعكس . فإن انضم إليها ملكة الاستحضار فنعم المطلوب وهذا لا يتم بمجرد الحفظ بل الحفظ من أسباب الاستحضار وهو راجع إلى جودة القوة الحافظة وضعفها » .

---

(١) يتميز صاحب الذاكرة اللفظية بقدرته على استظهار ما سمعه أو قرأه من الالفاظ والاحتفاظ به طويلا على الشكل الذى حفظه به . وهذا النوع من الذاكرة وان كان يفيد بعض اللغويين أحيانا إلا أنه يكون عقبة كبيرة فى التفكير وفى التذكر نفسه . فصاحبه يضطر الى استعادة الموضوع كله من أوله حتى يعثر على الجزء الذى يبغى تذكره (راجع قنديل — أصول علم النفس ج ٢ ص ١٠٣) .

(٢) أى أن اللفظة الأولى تدعو اللفظة الثانية والصفحة الأولى تدعو الصفحة الثانية وهكذا دون أعمال الفكر .

(٣) ج ١ ص ٢٨ .

ولا غرو أن حاجى خليفة فى مقالته هذه يشير إلى مضار الحفظ ويعبر عما يطالب به المربون اليوم وهو تعويد النشء التفكير والاستنباط لما فى ذلك من الفائدة العظيمة فى التربية والتعليم [١] .

هذا إلى أن حفظ الطفل القرآن فى هذه السن المبكرة لا يتفق وأصول التربية الصحيحة فى شىء لأن القرآن يحتاج إلى درجة عقلية خاصة تتفق وبلاغة هذا الكتاب المقدس وعلو أسلوبه وما ورد فيه من مجاز وكناية وتشبيه وتشريع . وكان الأجدر بمعلمى الاطفال فى ذلك العصر أن يبدأوا بتعليم الصبى القراءة والكتابة والحساب واللغة والشعر حتى إذا ما نضج عقله قليلا انتقلوا به إلى دراسة القرآن فيستطيع عندئذ أن يفهم ويدرك عباراته ثم يهضم معانيه ويمثلها ، وفهمه لمعانى القرآن يساعده من غير شك على سرعة حفظه ويقلل من الجهد الذى يبذله . وقد أيد بعض المربين العرب هذا الرأى القائل بعدم تقديم دراسة القرآن فيبدأ الصبى بتعليم الشعر وعلوم اللغة ثم ينتقل من ذلك إلى تعلم الحساب حتى إذا أتقن ذلك انتقل إلى دراسة القرآن فإنه يتيسر عليه فهمه بهذه المقدمة . ووافق ابن خلدون على هذا المذهب وعلق عليه [٢] بقوله : « وهو لعمرى مذهب حسن إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهى أملك بالأحوال ، ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إيثاراً للتبرك والثواب وخشية ما يعرض من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن . . . ولو حصل اليقين باستمراره فى طلب

---

(١) قنديل — أصول التربية وفن التدريس ص ٩٨ — ٩٩

(٢) المقدمة ص ٦٣٢ .

العلم وقبوله التعليم لكان هـذا المذهب . . . أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق » . ولم يفت ابن خلدون أن يؤكد إلى جانب ذلك أن تعـليم العلم يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا مع مراعاة قوة عقل المتعلم واستعداده لقبول ما يرد عليه[1] .

وهكذا نرى أن حيـاة الطفل فى الـكتاب فى العصر الفاطمى كانت مليئة بالنشاط العقلى ولـكنهـا كانت فى الوقت نفسه مملة شاقة خالية من ضروب التشويق ، ولم يكن المعلم فى ذلك الوقت يعنى فى كثير أوقليل بترقية عقل الطفل أو تدريبه تدريبا منظما يعوده التفكير الصحيح وإنمـا كان غرضه الأسمى مقصوراً على تحفيظ الصبية القرآن الـكريم الذى هو أساس الدين . ولم يكن المعلم فى ذلك مخطئا إذ كانت هذه هى سـنة القرون الوسطى حيث كان الدين غالبا على عقول المربين ومؤثراً فى التعليم إلى حد كبير .

معلمو الـكتاتيب

وقفنا فى الباب الأول على ما كان من أمر التعليم فى صدر الاسلام وفى عهد الأمويين وصدر الدولة العباسية وعرفنا أنه لم يكن فى بادىء الأمر مهنة أوصناعة ولم يتخذه القائمون به حرفة يكسبون بها عيشهم ، وأنه تطور بعد ذلك فاستحال إلى صناعة لابتغاء الرزق ورفع المنزلة فى الدنيا . فالتعليم فى العصر الفاطمى اذن كان قد أصبح صناعة اختصت بها طبقة من الناس وفنا لا يقدم عليه إلا أهله ، وكان المعلمون فى هذا العصر لهم حظ وافر من الاحترام

---

(١) المقدمة ص ٦٢٤ — ٦٢٥

والتبجيل فقد عرف الفاطميون أنهم حملة العلم ورسل دعوتهم المذهبية وأنهم بالعطف عليهم يستطيعون أن يحققوا أغراضهم السياسية والدينية والاجتماعية.

وكان المعلمون على ضروب وأنواع فمنهم من اختص بتعليم الأولاد، والصبية ومنهم من كان يؤدب أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، ومنهم من كان يقوم بالتعليم فى الجامع أو المسجد. وكانت لهم كذلك ألقاب[1] مختلفة

---

(١) كان للمعلمين رتب والقاب مختلفة منها :

« المعلم » وكان أحط الرتب العلمية وأعمها، ولم يكن يدل على كثير من العلم أو الأدب أو المقدرة أو المقام الاجتماعى. (راجع طوطح — التربية عند العرب ص ٤٧ ومايليها)

« المؤدب » وكان معلما خصوصيا يذهب الى بيوت الخاصة لتأديب أولادهم وكان أحسن حالا من المعلم (راجع متز — الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٠٨) .

« المدرس » وهو الذى كان يتصدى لتدريس العلوم الشرعية وهو أرقى درجة من المعلم ولا شك أن هناك ارتباطا بين هذا اللقب والمدرسة التى استحدثت على يد نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقى والتى لانراها فى مصر الا فى عهد صلاح الدين بن أيوب (راجع صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٦٤) .

« المعيد » وهو يلى المدرس فى مكانته العلمية فقد قال القلقشندى :(صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٦٤) : « وهو ثانى رتبة المدرس فيما تقدم وأصل موضوعه أنه إذا القى المدرس الدرس وانصرف اعاد للطلبة ما القاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه . »

« الشيخ » ويطلق على العلماء توقيرا لهم . قال القلقشندى : (صبح الاعشى ج ٦ ص ١٧) « الشيخ من القاب العلماء والصلحاء ، وأصله فى اللغة الطاعن فى السن ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير »

« الفقيه » من القاب العلماء ،قال القلقشندى (صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٢) : « أما اطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز »

« الأستاذ » أطلق هذا اللقب الفارسى أولا على أصحاب المصانع ثم أطلق على من أظهر مهارة فى التعليم (طوطح — التربية عند العرب ص ٥٠) .

« الرحلة » من القاب كبار العلماء وهو الشهير بالعلم والتعليم حتى أن الطلبة ترحل اليه من كل ناحية للاخذ عنه، وقد استعمله أصحاب التراجم من المؤرخين (راجع صبح الاعشى ج ٦ ص ١٤) =

تختلف باختلاف نوع الدراسة التى كانوا يقومون بها ، فكان منهم المعلم والمؤدب والمدرس والفقيه والشيخ وغير ذلك من الألقاب الأخرى التى قرنت بأسماء المعلمين والعلماء. وكان لقب «معلم» من غير شك أهم هذه الألقاب جميعا وأقلها مرتبة ويطلق فى الغالب على معلمى الأولاد والصبية والكتاب والكتاتيب .

كان معلم الكتاب يقوم بالتعليم فى أولى المراحل الدراسية حيث لا يتعدى المنهج تحفيظ القرآن الكريم وما يتطلب ذلك من معرفة القراءة والكتابة فلم يتزود من العلم إلا بالقليل . ولم يكن يتخذ مهنة التعليم حبا للعلم ونشره أو ابتغاء لمرضاة الله وارشاد عباده وإنما وسيلة لكسب الرزق وتحصيل القوت، ولذلك حط الناس من قدره وقللوا من احترامه وضرب المسلمون الامثال فى حمقه ، فقد عقد الجاحظ فصلا[1] عن المعلمين بين فيه مقام معلمى الكتاتيب الاجتماعى وآراء العامة فيهم . فمن قائل « أحمق من معلم كتاب » الى قائل «الحمق فى الحاكة والمعلمين والغزالين» الى غير ذلك من الأمثلة الأخرى التى تدل على حماقتهم وضعف عقلهم وقلة علمهم . ولعل السبب الأول فى الحط من كرامتهم وما لحقهم من ضروب السخرية والاستهزاء أن المسلمين احتقروا صناعة

= «الامام» كان هذا اللقب أعلى درجات السلم العلمى فقد أعطى لمن أظهر نبوغا لامراء فيه، فالامام فى العلم المرجع والثقة فى موضوعه، وقد ذكره السيوطى فى كتابه «حسن المحاضره» عند ترجمته لكثير من العلماء والفقهاء .

وكانت هذه الالقاب جميعا تقرن عادة بأسماء المعلمين والعلماء ولم تعط لهم فى حفل رسمى أو بعد الحصول على إجازة دراسية وإنما استحقوها لمقدرتهم العلمية وحبهم للعلم واعتراف الناس بهذه المقدرة وذاك النبوغ .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٠ وما يليها .

التعليم فى بدء حياتهم واهتموا بادارة شئون الدولة ، وقداشار ابن خلدون الى هذه الحقيقة فى مقدمته [١] فقال : « واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به سواهم وأصبح حرفة للمعاش ، وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين، وصار منتحله محتقراً عند أهل العصبية والملك . » يضاف الى ذلك أن معلمى الكتاتيب كانوا فى الغالب من طبقة فقيرة وكانوا يظهرون كبرياء وغطرسة على الرغم من جهلهم إذا ماقورنوا بغيرهم من العلماء والشيوخ الذين كرسوا حياتهم للعلم بعدأن تذوقوه واخلصوا له . ويضاف الى هذين السببين المذكورين أن معلم الكتاب كان يلازم الصبية دائماً مما قلل من مستواه العقلى وأثر فى طرق تفكيره وكون لديه ميولا خاصة فأصبح ينهى ويأمر ويستبد بسلطانه فيلقى الرعب فى نفوس تلامذته بل وكل من يحيط به .

وهكذا نرى أن معلم الكتاب كان من طبقة اجتماعية دنيا تختلف كل الاختلاف عن الطبقة التى كان ينتمى اليها غيره من المعلمين الذين قاموا بالتدريس فى غير الكتاتيب ، فهو مثلا يختلف عن المؤدبين الذين اختصوا بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة وعن الشيوخ الذين كانوا يعلمون فى المساجد والذين كانت لهم كرامة واحترام عند عامة القوم وخاصتهم. وقدوضح الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» [٢] الفرق بين هؤلاء وهؤلاء فقال: «والمعلمون عندى على

---

(١) ص ٣٢ — وقد أشار اليها كذلك جولد تزيهر فى مقاله القيم عن التربية عند العرب . (راجع Goldziher : Muslim Education,p. 202)

(٢) ج ١ ص ١٠٠ و ١٠١ .

ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائى[١] ومحمد بن المستنير[٢] الذى يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمق ، ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم . فان ذهبوا الى معلمى كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فما هم فى ذلك إلا كغيرهم ، وكيف نقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء » .

كان المؤدب مما لا شك فيه معلما خاصا للاطفال فكان يقوم بمثل العمل الذى يقوم به معلم الكتاب ، ولكنه كان من طبقة أخرى تفضل طبقة معلم الكتاب كثيراً . وكان يختار فى الغالب ممن اشتهروا بالعلم والنجابة وممن يتحلون بالخلق المتين ، وكان يظل تحت إشراف من اختاره ويغلب على الظن أن مؤدب الأطفال كان يقوم بالعناية بأخلاقهم وآدابهم كما كان يقوم بتعليمهم ، وهو ظاهر من التسمية .

والتعليم بالكتاب لم يكن فى الواقع يدر شيئا كثيرا من المال وقد قال متز[٣] : « أما إذا كان أحد معلم صبيان أو معلم كتاب ... فمعنى هذا عيش مر وحرفة محتقرة » . ولم يكن لهذه الطبقة من المعلمين حظ وافر من أرزاق الخلفاء

---

(١) كان اماما فى النحو واللغة والقرآت ولم يكن له فى الشعر يد وكان يؤدب الأمين ابن هارون الرشيد ويعلمه الأدب . وتوفى سنة اثنين أو ثلاث وثمانين ومائة هجرية (راجع وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٣٠ و ٣٣١)

(٢) كان من أئمة عصره وتوفى سنة ٢٠٦ هـ (راجع وفيات الاعيان جـ ١ ص ٤٩٤ و ٤٩٥)

(٣) الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٣٠٦ .

أو عنايتهم الخاصة لفقرهم وقلة علمهم وقلة شهرتهم ولبعدهم عن مركز الخلافة.

أما ما كان يدفعه الصبية أجراً[1] لهم فكان قليلا كذلك، وكان بعض الصبية لا يدفعون شيئا وكثيراً ما كان يدفع لهم بعض ما يأكله الناس وينتفعون به، لذلك كانت رغفان المعلم مثلا يضرب فى الاختلاف وشدة التفاوت لأن رغفان المعلم تختلف باختلاف آباء الصبيان فى الغنى والفقر والجود والبخل[2]. أما المؤدبون فكانوا من غير شك أحسن حالا من معلمى الكتاتيب لقربهم من الخلفاء والامراء ولمقدرتهم العلمية وشهرتهم الفقهية.

ومهما يكن من شىء فإن معلمى الكتاتيب على الرغم من احتقار الناس

---

(١) اختلف بعض المسلمين فى جواز الاجر على التعليم وعلى الاخص التعليم الدينى فذهب بعضهم إلى أن التعليم يكون حسبة من غير أجر. قال صاحب كشف الظنون (ج ١ ص ٣٠): «اعلم أن الافادة من أفضل العبادة فلا بد له من النية ليكون ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى وارشاد عباده ولا يريد بذلك زيادة جاه وحرمة، ولا يطلب على إفادته أجرا اقتداء بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام.» بينما ذهب آخرون إلى جواز أخذ الاجر. وقد قال الغزالى فى فاتحة العلوم (ص ١٦ و١٧): «فان قلت اليس يجوز عند الشافعى رضى الله عنه أخذ الاجرة على تعليم القرآن والنكاح بتعليم القرآن ... وهذا تعليم لغير الله تعالى، فأقول هذا جائز ونزيد على هذا فنقول: يجوز أخذ الاجرة على الاذان وإقامة صلاة التراويح ويجوز للمعيد أخذ الاجرة على مسائل معينة يكررها والمدرس على مسائل بعينها يتعب نفسه فيها، ولا ينبغى أن نظن أن امام صلاة التراويح يأخذ الأجرة على الصلاة وأن الصلاة لغير الله جائزة بهذا الدليل، فذلك حرام بالاتفاق، ولكن اتعابه نفسه فى حضور موضع معين وقيامه به فى وقت معين ليس بواجب عليه وليس من نفس العبادة وإنما الاجرة فى مقابلة ذلك التعب ... وكذلك اتعابه نفسه فى تلقين سورة القرآن شخصا معينا ليس بواجب فله أن يتقرب إلى الله تعالى بهذا التعب وله أن يأخذ العوض عليه ... فكذلك التعليم»

لم يبق أخذ الاجر على أى الأحوال مبدأ نظريا بل طبق فعلا وكان عدد المعلمين بالاجر كثيرا لحاجتهم اليه.

(٢) متز — الحضارة الاسلامية ص ٣٠٧.

لهم لعدم تعمقهم فى العلم ولما اتصفوا به من كبرياء وقسوة ، كانوا يقومون باعداد النشىء للمرحلة التالية من التعليم فى الجامع أو المسجد وتلقين الصبية كتاب الله العزيز وتعليمهم قواعد الإسلام وأصول الدين وتعويدهم الصلاة والصوم . هذا بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا ليجرءوا على إتيان منكر أو إهمال غرض دينى، فكانوا بذلك ينشرون الفضيلة بين جوانح الأطفال ويطبعونهم على حب الله والخير والتجمل بالصفات الطيبة وإحياء الدين الحنيف . وأظن أن فى هذا انصافاً لهم فقد قاموا بتحقيق الغرض من التربية فى ذلك العصر .

اغراض التعليم فى الكتاب

كان التعليم فى الكتاب فى العصر الفاطمى يصطبغ بصبغة دينية ويرمى إلى غرضين أساسيين أولهما غرض علمى وثانيهما غرض خلقى .

أما الغرض العلمى فكان يرمى إلى تزويد الصبى باستظهار القرآن الكريم وما يتبع ذلك من تعليم القراءة والكتابة وتحسين الخط وقليل من الحساب والنحو واللغة والشعر . وكان لهذا المنهج من غير شك عيوب وقفنا عليها فى هذا الباب وانتهينا إلى أن مواده كانت تعتمد على الذاكرة اللفظية ، وأنها كانت فوق المستوى العقلى للطفل ، وان وسيلة تعليمها كانت لا تعود الطفل التفكير الصحيح . ولكن هذا المنهج على الرغم من ذلك أفاد الصبى إفادة لا غبار عليها فقد أعده لمرحلة الدراسة التالية بالجامع أو المسجد ، أو للحياة العملية إن كان يود أن يكون زارعا أو تاجرا أو صانعا . فهذه المواد جميعا ضرورية فى كلتا الناحيتين ، هذا فضلا عن أن طريقة التعليم التى كانت تتخذ

وسيلة لتعليم مواد هذا المنهج ساعدت الصبي على تكوين نفسه وعودته عدم الاعتماد على غيره كما عرفته أن تحصيل العلم لا يكون إلا عن طريق المذاكرة والاستظهار .

أما الغرض الخلقي فقد اهتم بتحقيقه المعلمون والآباء ودفعهم إلى ذلك ما جاء بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية من الحض على حسن الخلق والتمسك بأهداب الفضيلة ، فأحاطوا الصبية بسياج متين وأخذوهم بالفضائل وشددوا عليهم فى اتباعها . ولا عجب فى هذا فقد كان المعلمون من رجال الدين وكان عليهم أن يبثوا فى الأولاد حب الآخرة وان الدنيا دار فرار والآخرة دار قرار ، وأن التعليم وسيلة للتقوى والنعيم الأبدى . ففرضوا على الطفل الصلاة والصوم واحترام الكبير وإطاعة الوالدين والمعلمين والمؤدبين وأخذوه بالشدة إن فرط فى اتباع هذا ، ولذلك اتصف معلم الكتاب بالقسوة مما كان له الأثر السيء فى حياة الطفل ، فقد أدى هذا أحيانا إلى تنفيره من الكتاب أو تعويده الذل والإستعباد واضطراب التفكير[1] . وكان

---

(١) لقد عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته (ص ٦٣٢) بين فيه أن الشدة مضرة بالأطفال فقال : « وذلك أن ارهاف الحد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما فى أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الايدى بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معانى الانسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره فى ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها »

الفاطميون يعهدون إلى المحتسبين[١] بمراقبة معلمى الكتاتيب ومنعهم من اتخاذ وسائل القسوة مع الصبية وإنذارهم بألا يضربوهم ضربا مبرحاً ولا فى مقتل .

وهكذا كان التعليم بالكتاب يرمى الى هذين الغرضين العلمى والخلقى ، وكان الصبى يؤخذ بالشدة أحيانا كثيرة ، وكانت تغلب على طبائع المعلمين القسوة والغلظة . أما التربية الجسمية والصحية فكانت على قيمتها مهملة[٢] كل الإهمال فلم يكن يستطيع الطفل الحركة أو الرياضة اثناء الدرس ، هذا فضلا عما كان يحدثه الجلوس طوال اليوم من تقويس فى ظهره وتشويه فى جسمه ولم ينتبه معلمو الكتاتيب لما للعناية الصحية من أثر فى التقدم الذهنى لاتصال العقل بالجسم ولأن العقل السليم فى الجسم السليم .

وخلاصة القول أن التعليم بالكتاب عنى بالناحيتين العلمية والاخلاقية ولم يعن بنواحى التربية الحديثة الأخرى ، ولكن هذا كان أجل مايعمل على تحقيقه المعلمون والآباء فى القرون الوسطى أو العصر الذى نحن بصدده ، فقد كانت الناحية الدينية تغلب على جميع مظاهر الحياة الأخرى كما كان الشعور الدينى متسلطاً على النفوس والعقول . وقد أقبل الصبية على الدرس على الرغم

---

(١) المقدمة ص ٢٥٠ ، الخطط ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٢) تنبه الغزالى الى عيوب التربية فى هذا العصر ، فعقد فصلا فى كتاب الاحياء (ج ٣ ص ٥٤ وما يليها) أتى فيه بارائه فى تربية الطفل وتأديبه . وقد حث معلمى الكتاتيب على أن يأخذ الصبى حظا وافرا من الرياضة البدنية يقوى جسمه ويملاه نشاطا ، فقال : « وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب ، فان منع الصبى عن اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيله فى الخلاص منه »

مما يلاقونه من ضروب القسوة والعنف وما يقاسونه من وسائل التعليم الثقيلة على النفس . وساعد الكتاب على اجتذاب عدد كبير منهم أن التعليم به كان بالمجان أو مايقرب من ذلك، فأجر المعلم لم يكن كبيرا كما ذكرنا من قبل وكان فى غالب الأحيان يكتفى بالقليل من الخبز يعطى له بين آونة وأخرى وهذا لا يكلف والد الصبى شيئاً . والظاهر أن التعليم لم يكن عاما ولا الزاميا بالمعنى الذى نفهمه اليوم ، ولم يكن للحكومة تدخل قليل أو كثير إلا فيما يختص بالاشراف على وسائل العقاب والتأديب . ولم يكن هناك لوائح أو قوانين تربط مراحل التعليم المختلفة أو تحدد منهجاً خاصاً أو غير ذلك من الأمور التى نراها اليوم .

الباب الثالث

التعليم فى المساجد

أثر المذهب الفاطمى في التعليم

لم يكد يتم للفاطميين فتح مصر ويستقر سلطانهم فى البلاد حتى أخذ جوهر فى بث الدعوة للخليفة المعز الفاطمى خاصة وللعلويين عامة ببد أنه لم يكن من السهل عليه أن يجعل المصريين جميعا يعتنقون المذهب الفاطمى لأن السواد الأعظم كان يدين بالمذهب السنى ، أما الشيعة فإنهم كانوا لا يزالون فى أول الامر أقلية صغيرة بالنسبة إلى المصريين ، ولا غرو فإن المصريين دانوا بالطاعة للفاطميين لأسباب سياسية لا غير ولما حاق بالبلاد فى أواخر أيام الإخشيديين من مصائب متتابعة فى وقت لم تتمكن فيه السلطة المركزية فى بغداد من صد غزو الفاطميين.

كانت الدعوة للمذهب الفاطمى تقام فى المساجد[1] الجامعة وغيرها كما كانت تذاع على يد داعى الدعاة[2] وأعوانه من النقباء والنواب فى كافة أنحاء البلاد ، وسرعان ما بنى جوهر الجامع الأزهر فى القاهرة حاضرة الفاطميين الجديدة ليكون مركزاً لبث عقائد مذهبهم واجتماع أشياعهم سيما وأن بعض المساجد الأخرى كان لا يزال يؤمها كثير من المصريين السنيين .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ١٥٦

(٢) كان يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره، وكان يقرأ عليه مذاهب أهل البيت ويأخذ العهد على من ينتقل الى المذهب الشيعى . وكان يساعده فى نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا كما كان له نواب ينوبون عنه فى البلاد (راجع صبح الاعشى جـ ٣ ص ٤٨٧ ، الخطط جـ ٢ ص ٢٢٦ ، الفاطميون ص ١٤٢ .)

ولما كان الغرض الأول الذى كانت ترمى اليه سياسة الفاطميين فى مصر لتحقيق غاياتهم السياسية هو جذب الناس اليهم وادخالهم فى حظيرة مذهبهم، فانهم لم يألوا جهداً فى بث تعاليم هذا المذهب فى نفوس المصريين واتبعوا فى ذلك شتى الوسائل والطرق المرغبة للشعب وعلى الاخص ما كان يتعلق منها بالتعليم فى المساجد . فقد اتخذوها منبعاً لنشر دعوتهم، وكانوا يعلمون فيها العقائد الفاطمية، وكانت كذلك مثابة لفقهاء المذهب الشيعى الذى كان عليهم أن يحاضروا الناس فى أصول هذا المذهب . كما كان بعض الوزراء والقضاة يشتركون فى تأليف كتب فى الفقه الشيعى كان على الطلبة والأساتذة أن يتدارسوها فيما بينهم .

فقد ذكر لنا المقريزى[1] أن قاضى القضاة أبا الحسن على بن النعمان القيروانى[2] جلس فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ بالجامع الأزهر وذلك فى أواخر عهد المعز لدين الله ، وقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو المسمى « بالاقتصار » فى جمع حافل من العلماء والكبراء واثبت اسماء الحاضرين . كما ألف يعقوب بن كلس[3] وزير العزيز بالله الفاطمى كتابا فى الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو المعروف « بالرسالة الوزيرية » نسبة الى مؤلفها الوزير ، وهذا الكتاب مبوب على أبواب الفقه ويبلغ حجمه نصف حجم صحيح البخارى

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ١٥٦

(٢) تولى قضاء مصر فى أواخر عهد المعز لدين الله وأقام فى منصبه حتى توفى سنة ٣٧٤هـ فى عهد العزيز بالله ، وكان من غلاة الشيعة وأقطاب دعاتها . (راجع الكندى — الولاة والقضاة ص ٤٩٥ ، ابن حجر — رفع الاصر ص ٥٨٧ و ٥٨٩ وما يليها .

(٣) الخطط جـ ٤ ص ١٥٧ .

ويشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية . وكان هذا الوزير يجلس بنفسه لقراءته على الطلبة وبين يديه خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء ، وجعله مرجع القضاء وأفتى الناس به ودرسوا فيه فى الجامع العتيق . ولقد استطاع ابن كلس هذا بما أوتى من علم ومقدرة أن يقوم بأعمال جليلة فى سبيل تأييد دعوة الفاطميين المذهبية حتى ان العزيز عاده فى مرضه وقال له: « وددت لو انك تبتاع فأبتاعك بملكى أو تفدى فأفديك بولدى »(١)

فلا غرابة اذن إذا بذل الخلفاء الفاطميون جهداً خاصة لبناء(٢) مساجد جديدة تكون دوراً لتعليم هذه العقائد الدينية ، أو وقفوا الأوقاف وبذلوا العطايا والهبات لها ، أو أنفقوا الأموال فى زينتها وزخرفوها بالمصابيح والتنانير التى كان بعضها يصنع من الفضة ، أو نقلوا اليها من مكتبة القصر نسخاً من القرآن الكريم مختلفة الاشكال والاحجام بعضها مكتوب بالذهب ، أو أضاءوها بالأنوار الساطعة فى المواسم والاعياد ، وغير ذلك من الأمور الأخرى التى كانت من دواعى حب الشعب وتقديره للخلافة الفاطمية مما أثار روح الاقبال على العلم والتعليم ، وإن كان ذلك التعليم قد اصطبغ بصبغة مذهبية .

دأب الخلفاء الفاطميون على العناية بالمساجد وغيرها من دور التعليم الأخرى وساعدهم على ذلك ما جمعوه من الأموال والثروات الطائلة من

---

(١) ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٣ ، المقريزى — الخطط ج ٢ ص ١٠

(٢) يقول القلقشندى (صبح الاعشى ج ٣ ص ٥١٢) عند كلامه على ركوب الخلفاء الفاطميين لصلاة الجمع الثلاث الاخيرة من رمضان أنه كان من من عاداتهم أن يمنحوا دينارا لموظفى كل مسجد يمرون عليه فى طريقهم إلى القصر فى هذه الجمع ، وكانت هذه المساجد كثيرة حتى ان القلقشندى يلاحظ أن عدد الدنانير التى كانت تنفق فى هذا السبيل كان عظيما .

الجواهر والتحف الباذخة ما يفيض فى وصفه المؤرخون المعاصرون[١]، كما يشهد بهذه العناية ما جاء به المقريزى[٢] عن المسبحى فى حوادث سنة ٤٠٣ هـ و٤٠٥ هـ فى أيام الحاكم بأمر الله، فقد قال: «وأمر الحاكم بأمر الله باثبات المساجد التى لا غلة لها ولا أحد يقوم بها، وماله منها غلة لا تقوم بما يحتاج إليه، فاثبت فى عمل ورفع إلى الحاكم بأمر الله، فكانت عدة المساجد التى على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجداً ومبلغ ما تحتاج إليه من النفقة فى كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما، على أن لكل مسجد فى كل شهر اثنى عشر درهما. . . وقرىء يوم الجمعة ثامن عشر صفر (سنة ٤٠٥ هـ) سجل بتحبيس عدة ضياع . . . وعدة قياسر وغيرها على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجامع . .»

وقال المقريزى[٣] فى مكان آخر: «كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدءون بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعث منه وما زال الأمر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية».

---

(١) راجع المقريزى (الخطط ج ٢ ص ٢٥١ — ٢٨١) فيما نقله عن المسبحى وغيره من مؤرخى الدولة الفاطمية عن ثروة هذه الدولة وبذخها وبهائها، أبا المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣) فقد ذكر الكثير عن ثروة الحاكم بأمر الله وعمائه، الدكتور حسن ابراهيم (الفاطميون فى مصر ص ٢٤٤ وما يليها) ففيه وصف ضاف لثروة الخلفاء الفاطميين ويسرهم وما كانوا يحوزون من نفائس، وفيه كذلك ما أمدنا به ناصرى خسرو ذلك الشاعر الفارسى حين زيارته لمصر سنة ٤٣٩ هـ فى عهد المستنصر — من وصف لثروة البلاط الفاطمى وأبهته وما كانت عليه القاهرة من يسر ورخاء.

(٢) الخطط ج ٤ ص ٨٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٨٤

ومن مآثر الحاكم كذلك وقفيته الشهيرة على مساجد القاهرة وفى مقدمتها الجامع الأزهر ودار العلم[١] ، ففى سنة ٤٠٠ هـ وقف الحاكم على تلك المعاهد طائفة من أملاكه ورباعه بالفسطاط لينفق عليها من ريعها. وقد أورد لنا المقريزى[٢] نص هذه الوثيقة .

ولم ينس الخلفاء الفاطميون نصيب المعلمين والطلبة من العطف عليهم والعناية بشئونهم ، فهم أداة لنشر دعوتهم وعن طريقهم يستطيعون التأثير فى عقول النشء وغزوها. فكان الطلبة فضلا عن أنهم لا يؤدون عن تعليمهم أية نفقة أو كلفة فانه كان يرتب لهم إلى جانب الدراسة اعطيات وارزاق تكفى للانفاق عليهم فى حياتهم الخاصة ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الأطعمة والحلوى فى جميع المواسم والأعياد[٣] مما كان له أعظم الأثر فى الاقبال على التعليم

لم يقف أمر نشر الدعوة الفاطمية عند حد العناية بالمساجد وتشجيع العلماء والطلبة وإجراء الأرزاق عليهم والقيام بدراسة الفقه الشيعى بالمساجد ودور التعليم الأخرى ، وإنما عمل الخلفاء الفاطميون منذ اللحظة الأولى على إحلال الشيعيين محل المصريين السنيين فى المناصب الهامة ، وعلى محو كل أثر من آثار المذهب السنى سواء كان ذلك من الوجهة الدينية أو المدنية ، ونظروا إلى معتنق المذهب السنى نظرة الخارجين على الدين[٤] ، وألزم جميع الموظفين

---

(١) انشأها الحاكم بامر الله سنة ٣٩٥ هـ ، وسنعود للكلام عليها فى الباب الرابع

(٢) الخطط جـ ٤ ص ٤٩ — ٥٢ .

(٣) صبح الاعشى جـ ٧ ص ٥٠١ ، الخطط جـ ٢ ص ٣٠٠ و ٣٤٥

(٤) عمل جوهر بعد أن تم له فتح مصر على أن يحل المغاربة الشيعيون محل المصريين السنيين فى المناصب الهامة، وقد نجح جوهر فى سياسته نجاحا كان من أثره أن أصبحت أمور=

أن يعتنقوا المذهب الفاطمى ،كما حتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق هذا المذهب . وكان من أثر هـذه السياسة والرغبة فى الحصول على مناصب الدولة أن اعتنق كثير من المصريين المذهب الشيعى، كما دفعت تلك الرغبة بعض الذميين إلى اعتناق الإسلام واتخاذ الشيعة مذهبا(١) .

لا ريب أن هذه السياسة الفـاطمية دفعت كثيراً من المصريين إلى التنافس فى الدرس والاقبـال على حلقات العلم والتفقه فى علوم الشيعة التى كانت تحتل المكان الأول فى الجامع الأزهر ودار العلم وغيرهما من مجالس التعليم الأخرى. فقد حدثنا المقريزى(٢) أنه فى شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥هـ جلس القاضى محمد بن النعمان(٣) على كرسى بالقصر(٤) فى القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب ، فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا. وذكر(٥) فى مكان آخر : « وتسارع الناس إلى الدخول فى الدعوة فجلس لهم

= الدولة على اختلافها فى أيدى الشيعيين وذلك فى سنة ٣٧٩ هـ أى بعد الفتح بنحو عشرين سنة (راجع الدكتور حسن ابراهيم والدكتور على ابراهيم — النظم الاسلامية ص ٢٠٩ ، الدكتور على ابراهيم — جوهر ص ٧٣ و ٧٤)

(١) الفاطميون ص ٢١٨

(٢) الخطط ج ٤ ص ١٥٧

(٣) هو نزيل القاهرة ، ولد بالمغرب وقدم القـاهرة فى صحبة والده مع المعز ، وولاه العزيز القضاء بعد موت أخيه على بن النعمان فى رجب سنة ٣٧٤ هـ . وكانت وفاته سنة ٣٨٩ هـ . أما والده فهو النعمان بن محمد الذى قدم القاهرة فى صحبة المعز من المغرب وكانت وفاته بمصر سنة ٣٦٣ هـ . (راجع الولاة والقضاة ص ٤٩٥ ، رفع الاصر ص ٥٨٦ و ٥٩٢ وما يليها) .

(٤) اتخذ الفاطميون القصر مكانا لتعليم أصول مذهب الاسماعيلية . وسنعود إلى الكلام على التعليم فى القصور فى الباب الخامس .

(٥) الخطط ج ٤ ص ١٥٨ .

قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان[١] فقدموا من سائر النواحى والضياع فكان للرجال يوم الأحد وللنساء يوم الأربعاء وللأشراف وذوى الأقدار يوم الثلاثاء، وازدحم الناس على الدخول فى الدعوة، فمات عدة من الرجال والنساء»[٢]

على أن أمر نشر هذه الدعوة المذهبية لم يخل من استعمال العنف والشدة ومن القوانين الجائرة التى كان لها أثر غير محمود فى التعليم فى مصر فى ذلك العصر. فقد أقبل الناس فعلا على تعليم العلوم الفاطمية لكنهم قللوا من الاهتمام ببعض العلوم التى تمت بصلة إلى المذاهب الأخرى، كما أن المؤلفات كان لا بد لها من أن تنحو نحواً شيعيا وإلا كان نصيبها الحرق أو الإهمال ونصيب صاحبها الموت أو الاعدام. ويؤيد هذا ما ذكره القفطى[٣] فى ترجمته لمحمد بن عبد الله العتقى إذ قال: «محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن العتقى. رجل فاضل كامل متفنن فى عدة علوم ... وهو من أهل أفريقية وقدم منجماً مع أبى تميم القيروانى المستولى على مصر ... ولم يزل على ذلك إلى أيام العزيز بن المعز. واتفق أن صنف كتابا تاريخيا ذكر فيه أخبار بنى أمية وبنى العباس وذكر فيه أشياء من محاسن القوم وجميل أفعالهم على عادة المؤرخين واطلع الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز على شىء من ذلك

---

(١) ولى القضاء سنة ٣٩٤ هـ وقتل فى نصف رجب سنة ٣٩٨ هـ وقيل سنة ٤٠١ هـ فى أيام الحاكم بأمر الله (راجع الولاة والقضاة ص ٤٩٥، تاريخ يحيى الانطاكى ج ٢ ص ١٩٩، الخطط ج ٣ ص ٣٤).

(٢) كان ذلك سنة ٣٩٥ هـ وكان يرجع هذا التزاحم الى المجهود الكبير الذى بذله الحاكم بأمر الله. وقد لاقت الدعوة الفاطمية نجاحا عظيما فى خلافته لتعصبه.

(٣) أخبار الحكماء ص ٢٨٥.

فأنهاه إلى العزيز فى شهور سنة ٣٧٧ هـ ، فوبخ على ذلك وتوادع للعتق مؤلفه ، وجمع الوزير الناس إلى داره وخاطبهم وذم العتق فلزم العتق منزله ، وقبضت ضيعة كانت له وفى يده . ولم يزل ملازما لمنزله تحت الغضب إلى أن توفى يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ . »

ولقد أمدنا المقريزى كذلك بوصف سياسة الفاطميين إزاء الفقهاء الذين لا يدينون بالمذهب الشيعى ، فقد ذكر[١] أنه فى سنة ٣٨١هـ ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله . كما ذكر[٢] فى مكان آخر أن فى سنة ٤١٦ هـ أمر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب «دعائم الإسلام» و «مختصر الوزير» وجعل لمن حفظ ذلك مالا[٣] .

ولا ننسى فى هذا المقام أن نشير إلى سياسة الحاكم الظالمة وما كان لها من أثر سيء فى التعليم فقد تناولت عدداً غير قليل من العلماء الشيعيين والسنيين وغيرهم كان نصيبهم القتل والتشريد ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة كثير من المؤرخين ، فقد ذكر يحيى الأنطاكى فى تاريخه[٤] : « وقتل (الحاكم) رؤساء

---

(١) الخطط ج ٤ ص ١٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٩ .

وراجع كذلك O' Leary :A Short His. of the Fatimid Khalifate, p. 191.

(٣) هذه المؤلفات لاشك أنها وضعت فى فقه الشيعة وكتاب « دعائم الاسلام » هو من تأليف النعمان بن محمد المتوفى سنة ٣٦٣ هـ . وأما « مختصر الوزير » فهو الكتاب المعروف بالرسالة الوزيرية التى وضعها ابن كلس فى فقه آل البيت عن المعز والعزيز . (راجع عنان : تاريخ الجامع الأزهر ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٥) .

(٤) ج ٢ ص ٢٠٨

دولته من الأمراء والقواد وأماثل الكتاب ومن اصطنعه من الركابية جماعة يطول الشرح بتعديدهم » . ومن قوله[١] أيضاً : « وأورد (الحاكم) بالقاهرة دار العلم وحمل إليها من خزائنه كتبا كثيرة تحتوى على سائر العلوم والآداب وقر فيها خزانا وبوابين وأجرى عليهم الأرزاق من ماله وأباح سائر الناس كافة نسخ ما أحبوا وأرادوا قراءته ورتب فيها أيضا قوما يدرسون الناس العلوم ، وبعد مد يده قتل بعضهم واستخفى الباقون خوفا من القتل » .

وقد أمدنا أبو المحاسن[٢] بوصف خلافة الحاكم فقال : « وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء . كما ذكر[٣] أنه لما أرسل المعز بن باديس[٤] إلى الحاكم ينكر عليه أفعاله أراد استمالته فأظهر التفقه وحمل فى كمه الدفاتر وطلب إليـــه فقيهين وأمرهما بتدريس مذهب مالك فى الجامع ثم بدا له فقتلهما صبرا .

أما السيوطى فقد قال[٥] : « ومن قبائح الحاكم أنه ابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وخربها » . ومن قوله[٦] أيضا : « وفى سنة

---

(١) تاريخ يحيى الانطاكى ج ٢ ص ١٨٨

(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٦

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧٨

(٤) هو المعز بن باديس بن منصور بن باكين الحميرى الصنهاجى صاحب أفريقية وكان يميل لمذهب مالك وتوفى سنة ٤٥٤ هـ (راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٥)

(٥) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣

(٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥١

٤٠٠ هـ بنى الحاكم داراً للعلم[١] وفرشها ونقل إليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسنة وأجلس فيها الفقهاء والمحدثين وأطلق قراءة فضائل الصحابة . . . فكثر الدعاء ، له ثم بعد ثلاث سنين هدم الدار وقتل خلقا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة » . وهكذا كانت سياسة الحاكم وحبه لسفك الدماء سببا فى قتل كثير من المعلمين ومشاهير العلماء ممن كان لهم فضل كبير على العلم والتعليم .

وخلاصة القول أن الفاطميين كانت لهم فى العصر الفاطمى الأول سياسة تعليمية عليا توحى إلى المربين والمعلمين انتهاج خطة خاصة فى تربية أبناء البلاد وإعدادهم للحياة . وكان غرضهم الأسمى هو تثقيف النشء بثقافة تصطبغ بصبغة دينية شيعية لكى يخلصوا للدولة الفاطمية وللخليفة الفاطمى الذى هو الإمام الأكبر ، ولكى ينشروا المذهب الفاطمى ويكونوا سفراء لدى المصريين وغيرهم يحركونهم لتأييد كلمة الفاطميين ويعملوا على الاعتراف بسيادتهم الروحية والسياسية ، فكان التعليم إذن أداة هامة لتحقيق غايات سياسية .

وهكذا كان الفاطميون يشجعون الاقبال على دراسة علوم الشيعة فى المساجد ودار العلم ويجزلون العطاء على اساتذتها ويجرون الأرزاق على طلبتها ويقصرون الوظائف عليهم ويضربون على أيدى الذين لا يعملون على تحقيق هذه السياسة التعليمية العليا وهذه الأغراض المذهبية الخاصة . على أن انتهاج هذه السياسة[٢] لم يمنع الاشتغال بالعلوم الأخرى التى لا تتصل

---

(١) كان إنشاؤها سنة ٣٩٥هـ كما قدمنا ، ولنا عودة إلى هذا الموضوع فى الباب القادم .

(٢) ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٤) أن الفاطميين كانوا يستميلون قلوب مخالفيهم وكانوا يتألفون أهل السنة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم وما إلى ذلك من الأمور الأخرى .

بالمذهب الشيعى فى شىء وعلى الأخص العلوم العقلية التى لم يكن لها حظ وافر من النشاط فى العهد السابق ، وشجعوا العلماء على السير إلى مصر وأجروا عليهم الأرزاق ، فقامت فى عهدهم بذلك حركة تعليمية عظيمة فى جامعى عمرو وابن طولون وفى الجامع الأزهر ودار العلم وغيرها من معاهد التعليم الأخرى . ونبغ فى هذا العصر عدد كبير من العلماء والفقهاء امثال الحسن بن زولاق والمسبحى والشابشتى وابن يونس وابن الهيثم وبنو النعمان والقضاعى والحوفى وابن بابشاذ ، وكثير من الأطباء امثال منصور بن مقشر والمبشر بن فاتك وعلى ابن رضوان وغيرهم من أعلام الطب فى مصر فى ذلك العصر . وسنقف على تفصيل حياتهم جميعا فى هذا الباب والأبواب القادمة بيد أن هذه الحركة . التعليمية ضعفت فى أواخر القرن الخامس فى عهد المستنصر بالله لما انتاب مصر فى أيامه من المحن والاحداث والفتن الداخلية والخارجية ، فلم يلق التعليم فى عهده شيئا من الرعاية أو التعضيد ولكنه لم يلبث أن دبت فيه الحياة من جديد فى العصر الفاطمى الثانى واستمر الأمر على هـــذا الحال حتى نهاية الدولة الفاطمية .

التعليم فى المساجد

١ - التعليم فى جامعى عمرو وابن طولون

قدمنا فى الباب الأول جامع عمرو كمعهد من أهم معاهد التعليم فى مصر فى عصر الدولة الأخشيدية ، وعرفنا أنه كان مركز الحلقات العلمية والأدبية منذ نشأته تقريبا ، وانه ظل كذلك أعواما طويلة وأصبحت هذه الصفة الجامعية

من أهم مهامه وصفاته . وكان هذا المسجد فى الواقع قلب الفسطاط الفكرى ومركزا من أهم مراكز التعليم والدراسة فى العالم الإسلامى حين قيام الدولة الفاطمية بمصر ، ولبثت ساحاته مدى عصور بعد ذلك الحين ندوة فكرية أدبية جامعة ، وفيها كانت توجه حركة التعليم والتفكير فى مصر الإسلامية .

وقد أقيمت صلاة الجمعة فى جامع عمرو وخطب فيه للمعز فى التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥٨ هـ بعد استيلاء جوهر على الفسطاط بأيام قليلة ، وقطعت خطبة بنى العباس من منابر الديار المصرية ولبس الخطباء الثياب البيض [١] وحرم لبس السواد شعار بنى العباس . وفى رمضان سنة ٣٥٩ هـ أمر جوهر بأن تنقش جدران هذا المسجد باللون الأخضر شعار العلويين [٢] .

وكان نصيب جامع عمرو كمسجد للعبادة ومعهد للدراسة والتعليم من عناية الفاطميين عظيما جداً فقد جاء بسجل فاطمى [٣] بولاية مصر ما يأتى :

« وتقدم بحفظ الجامع العتيق وصونه وتوفيره على ما يليق به وتوقيره ، وامنع من ابتذاله فى غير ماجعل له ونصب له من الإعلان بذكره فيه وأهله ، ووفر تام العناية وشامل الرعاية على من به من الفقهاء والعلماء والمتصدرين والقراء وحضهم بالتكرمة على المبالغة فى طلب العلوم والتزود من صالح الأعمال ليوم الوقت المعلوم . »

ولم يكن نصيبه كذلك من الإصلاح والترميم أو التنميق والتحسين فى

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٨ وما يليها ، الفاطميون ص ١٢٠ ، راجع
Stanley Lane- Poole : A His. of Egypt in The Middle Ages, pp. 103,104.

(٢) المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ٨٠

(٣) راجع صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ .

ذلك العصر بقليل ، فى عهد العزيز زاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس الفوارة التى تحت قبة بيت المال وذلك سنة ٣٧٨ هـ [١] ، واستبدل منبره فى ربيع الأول سنة ٣٧٩ هـ بمنبر آخر مذهب بقى إلى أن استبدل به منبر آخر أكبر منه سنة ٤٠٥ هـ [٢] .

وفى عهد الحاكم بأمر الله كان حظ هذا المسجد من العناية والتجميل وافراً جداً .

فى سنة ٣٨٧ هـ بيض ونقشت ألواحه وذهبت ، وفى سنة ٤٠٣ هـ نقل اليه من القصر ألف ومائتان وثمانية وتسعون مصحفا فى أجزاء مختلفة الشكل والحجم مكتوب بعضها بالذهب كله وسمح للعامة بالقراءة فى هذه المصاحف ، كما أنزل اليه تنور قيم فيه ١٠٠ ألف درهم فضة وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به ، وكان اجتماع الناس لذلك عظيما [٣] .

أما فى عهد المستنصر فقد عملت منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير سنة ٤٣٨ هـ وجعل لعمودى المحراب أطواق من الفضه [٤] كذلك ، هذا فضلا عما وقفه الخلفاء الفاطميون على هذا الجامع وغيره من المساجد من الأوقاف والعطايا التى أشرت إليها فى مطلع هذا الباب .

وقد اعتاد الخلفاء الفاطميون أن يؤموا الناس فى الصلاة فى جامع عمرو

---

(١) ابن دقاق — الانتصار ج ٤ ص ٦٨ ، الخطط ج ٤ ص ١١ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٥ .

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٦٤ .

(٣) الانتصار ج ٤ ص ٦٨ ، الخطط ج ٤ ص ١١ و ١٢ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٥

(٤) الخطط ج ٤ ص ١٢ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٥

فى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان [١].

قامت فى مصر فى العصر الفاطمى الأول إلى جانب جامع عمرو معاهد جديدة للتعليم كبيرة الشأن عظيمة القدر ، وكانت عناية الخلفاء الفاطميين بها تفوق غيرها من المعاهد الأخرى ، إذ كانت فى الواقع مراكز هامة لتعليم المذهب الفاطمى ، بل قام بعضها خاصة من أجل تعليم هذا المذهب كدار العلم. ولكن رغم هذه المنافسة ظل المسجد الجامع بالفسطاط محتفظاً بنشاطه العلمى كما أن حلقاته العلمية والأدبية كانت تعقد بانتظام ويشهدها عدد كبير من الأساتذة والطلاب والأدباء والشعراء .والأدلة كثيرة على هذا فقدأمدنا المقدسى عند زيارته لمصر سنة ٣٧٥ هـ [٢] فى عهد العزيز الفاطمى بوصف ضاف لجامع عمرو فى ذلك العصر [٣] فقال : « وهذا الجامع يسمى السفلانى من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء ، فى حيطانه شىء من الفسيفس على أعمدة رخام، أكبر من جامع دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستة [٤] . . . ،ثم قال : [٥] « وبين العشائين جامعهم مغتص بحلق الفقهاء وأئمة

---

(١) كان الخلفاء الفاطميون يركبون لصلاة الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاكم والأزهر وعمرو على التوالى ، وكان الناس ينالون منهم فى هذه الجمع الثلاث هبات وصدقات عظيمة (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠٩ وما يليها ، الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ ، الفاطميون ص ٢٨١ وما يليها) .

(٢) المقدسى — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٥٩ ، متز — الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١

(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٩٩ .

(٤) لعله يعنى جامع عمرو وجامع القرافة وجامع ابن طولون وجامع العسكر والجامع الأزهر ، ولعل لفظة « الستة » محرفة (راجع يوسف أحمد — جامع سيدنا عمرو بن العاص ص ١٥٨) ،

(٥) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٠٥

القراء وأهل الأدب والحكمة ، دخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دور واوجوهكم إلى المجلس ، فننظر فاذا نحن بين مجلسين ، على هذا جميع المساجد ، وعددت فيه مائة وعشرة مجالس ، فاذا صلوا العشاء أقام البعض إلى ثلث (الليل) ... ولا ترى أجل من مجالس القراء به » .

أضف إلى ذلك ماقاله ناصرى خسرو عن جامع عمرو عند زيارته لمصر سنة ٤٣٩ هـ فى أيام المستنصر الفاطمى ، فقد ذكر أنه يزوره فى اليوم خمسة آلاف رجل ما بين معلم ومقرىء وطالب وزائر وناسخ [١] .

وهكذا كان جامع عمرو مركزاً ممتازاً للدراسة فى العصر الفاطمى الأول وكانت تدرس به كثير من العلوم والفنون . فقد ذكر ياقوت [٢] أن على بن نصر بن سليمان الزنبقى اللغوى كان معلما بجامع عمرو بمصر سنة ٣٨٤ هـ فى زمن الخليفة العزيز ، وقرىء عليه كتب كثيرة أدبية لغوية ونحوية . كما ذكر أبا أسامة جنادة بن محمد النحوى وأبا الحسن طاهر بن بابشاذ ، فقد كان الأول عظيم القدر شائع الذكر عارفا باللغة ، وكان رئيس المؤذنين بجامع عمرو وله مجلس به وتلاميذ كثيرون ، وقتله الحاكم سنة ٣٩٩ هـ [٣] . أما الثانى فكان نحويا كذلك وكان يتأمل ما يصدر من السجلات فى ديوان الإنشاء بالقاهرة فيصلح ما فيها من خطأ ، كما كانت له حلقة غاصة بالطلاب بجامع عمرو وتوفى سنة ٤٦٩ هـ . [٤]

---

(١) راجع Encyclopaedia of Islam, vol. 3, p. 352.

(٢) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٩٧ .

(٣) معجم الأدباء جـ ٧ ص ٢٠٩ وما يليها ، جـ ١٨ ص ٢٦٣ ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٧

(٤) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٧ وما يليها ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٠٥ ، بغية الوعاة ص ٢٧٢ .

ولم تخل حلقات العلم بهذا المعهد من دراسة علوم الشيعة كذلك ، فقد جلس به كثير من الفقهاء ودرسوا فيه الرسالة الوزيرية التى الفها الوزير يعقوب بن كلس فى الفقه الشيعى [١] ، وكان ذلك فى عهد العزيز الفاطمى كما تقدم ، وكان القاضى الحسين بن على بن النعمان والقاضى عبدالعزيز بن محمد بن النعمان ممن قاموا بتدريس هذه العلوم بجامع عمرو فى زمن الحاكم بأمر الله [٢] وكانا من الشيعة الغلاة .

على أنه يجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام أن علوم الشيعة لم تكن محببة لدى كثير من طلاب هذا المعهد إذا قورن بغيره من معاهد التعليم الأخرى كالجامع الأزهر ودار العلم . وليس هذا بغريب فجامع عمرو يقوم وسط الفسطاط ملاذ السنة طوال العصر الفاطمى . وكان طلبة هذا المعهد فى أغلب الأحيان يقبلون اقبالا عظيما على حلقات الفقهاء السنيين فقد ذكر السيوطى [٣] أن أبا بكر النعالى امام المالكية بمصر المتوفى سنة ٣٨٠ هـ كانت تدور حلقته فى الجامع على سبعة عشر عمودا لكثرة من يحضرها . ولعل هذا هو السبب فى الضرب على أيدى الفقهاء المالكية طوال هذا العصر . وقد أشرت فى بداية هذا الباب إلى ما كان من ضرب رجل بمصر لأنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك ، كما ذكرت ما كان من اخراج كثير من الفقهاء المالكية فى زمن الظاهر

---

(١) يحيى بن سعيد الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ١٧٣ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٣٥ ، الخطط ج ٣ ص ٩ ، ج ٤ ص ١٥٧

(٢) كان القاضى الحسين بن على بن النعمان من علماء الفقه الشيعى ، تولى القضاء سنة ٣٨٩ هـ وقتله الحاكم سنة ٣٩٥ هـ ، أما عبدالعزيز بن النعمان فهو ابن عمه وقد سبق ذكره وقتله الحاكم كذلك سنة ٣٩٨ هـ (راجع رفع الاصر ص ٩٦ و ٦٠٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩١)

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩١

الفاطمى . وقد عرف الحاكم بأمر الله هذه الحقيقة تمام المعرفة ، إذ انه فى سنة ٤٠٠ هـ عند ما أراد أن يظهر الميل إلى السنيين ركب بنفسه إلى جامع عمرو وصلى فيه الضحى وأظهر الميل إلى مذهب الإمام مالك والقول به ، وهو مالم يفعله خليفة فاطمى من قبل (١) .

ومهما يكن من شىء فقد كان جامع عمرو مدرسة عظيمة قبيل العصر الفاطمى وظل كذلك طوال العصر الفاطمى ، وقام بتأدية رسالته كمعهد دراسى أحسن قيام ، ولم يقلل من أهميته العلمية قيام معاهد التعليم الفاطمية الجديدة كالجامع الأزهر أو دار العلم أو غيرهما ، بل بقيت تدرس فيه مختلف العلوم الدينية من شيعية وسنية .

أما عن جامع ابن طولون فقد اقيمت الدعوة فيه (٢) عند مقدم جوهر الصقلى كما اقيمت فى غيره من المساجد الأخرى ، ولم يكن حظه من عناية الخلفاء الفاطميين بأقل من حظ غيره ، فقد ذكر المقريزى (٣) أن العزيز بالله أمر فى سنة ٣٨٥هـ ببناء فوارة به عوضا عن التى احترقت ، وأن الحاكم بأمر الله أنزل إليه ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً .

ولقد شارك هذا الجامع مصر فى ضرائها عند ما اجتاحها الوباء والقحط فى خلافة المستنصر فتشعثت جدرانه ولحقه الخراب إلى أن تداركه الوزير الخطير

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ ، الفاطميون ص ١٢٣

(٣) الخطط ج ٤ ص ٤٠

بدر الجمالى [١] بحكمته فاصلح ماتداعى من اركانه وقوم بناءه فى هذا الوقت العصيب [٢] .

أما عن التعليم بجامع ابن طولون فقد كان هذا المسجد مركزا للدراسة منذ انشائه كما ذكرنا فى الباب الأول ، وقد ظلت الدراسة قائمة به فى العصر الفاطمى الأول [٣] وبعده . ولكن يغلب على الظن أن التعليم به لم يكن له من النشاط والسعة ما كان للتعليم فى جامع عمرو أو الجامع الأزهر أو دار العلم ، إذ لم يحدثنا كثير من المؤرخين عمن تحلقوا به من مشاهير علماء ذلك العصر الذى نؤرخه .

٢ — التعليم فى الجامع الأزهر

لعل خير ماخلفه الفاطميون لمصر وللعالم الإسلامى أجمع ذلك المسجد الكبير ، الجامع الأزهر ، فقد كان بيتا من بيوت الله يعمر النفوس بالايمان ويهديها سواء السبيل وصار جامعة دينية اسلامية كبرى يؤمها طلاب العلم من جميع الأقطار الإسلامية ويتخرج فيها العلماء والأئمة فى جميع العلوم والفنون.

كان قيام الأزهر فى نفس الوقت الذى قامت فيه الدولة الفاطمية ذاتها ، انشىء غداة ظفرها بملك مصر وغداة قيام القاهرة عاصمتها الجديدة . ولما قدم صلاح الدين بن ايوب وقامت دولته بمصر خبا نجم الدولة الفاطمية بعد أن

---

(١) قدم مصر ووزر للمستنصر سنة ٤٦٦ هـ فأصلح الأحوال ورتب الدواوين وتوفى سنة ٤٨٨ هـ . (راجع ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٥٥ و ٥٦ ، الخطط ج ٢ ص ١٧١ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٧) .

(٢) الخطط ج ٤ ص ٤٠ ، عكوش — جامع ابن طولون ص ٨٩

(٣) Encyclopaedia of Islam, vol. 3, p. 352.

سطع مدى قرنين وذوى غصنها ومحيت آثارها المادية والمعنوية ، ولكن الأزهر نجا من عواقب المحنة رغم ما لحقه من ركود [١] ، واستطاع أن يخرج من غمر الإنقلاب بعد فترة من الزمن سليما قويا وأن يتابع حياته الطويلة غير حافل بما يعترضه من الصعاب والعثرات .

كان أهم ما يرمى إليه ولاة المسلمين فى مصر وفى غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى التى فتحوها أن يؤسسوا قاعدة لملكهم تسع جندهم وتأوى أنصارهم وتضم بين جوانبها دواوين حكومتهم ، ثم يبنون فيها مسجداً يقيمون فيه شعائر دينهم . وقد سن هذه السنة ولاة مصر منذ فتحها عمرو ابن العاص الذى أسس الفسطاط سنة ٢١ هـ وبنى فيها جامعه المشهور . وجاء بعده صالح بن على العباسى فأسس مدينة العسكر سنة ١٣٣ هـ وفى سنة ١٦٩ هـ أسس الفضل بن صالح مسجد العسكر [٢] ، ولما قامت الدولة الطولونية بمصر سنة ٢٥٤ هـ أخذ أحمد بن طولون فى تخطيط حاضرة جديدة فأسس مدينة القطائع فى سنة ٢٥٦ هـ [٣] وبنى فيها جامعه المشهور المعروف باسمه ، ولما جاء جوهر سار على سنة عمرو بن العاص وصالح بن على العباسى وأحمد بن طولون فأسس مدينة القاهرة سنة ٣٥٨ هـ وبنى بها الجامع الأزهر سنة ٣٥٩ هـ .

---

(١) حل الدمار بهذا الجامع فى عهد الأيوبيين لما قام به هؤلاء السنيون الغلاة من إزالة آثار الفاطميين الشيعيين ، فأبطل صلاح الدين الخطبة فى الأزهر ، كما انتزع كثيراً من الأوقاف التى وقفها عليه الخلفاء الفاطميون . ولم تقم الخطبة فيه من جديد إلا بعد مضى قرن تقريبا فى عهد الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ ، فاستعاد الأزهر بذلك حياته من جديد (راجع الخطط جـ ٤ ص ٥٣ ، الفاطميون ص ١٢٨) .

(٢) الخطط جـ ٤ ص ٣٣ و ٣٤ .

(٣) ابن دقاق — الانتصار جـ ٤ ص ١٢١

دخل جوهر الصقلى مدينة الفسطاط كما قدمنا فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ وعسكر فى الفضاء الواقع شمالها، وفى تلك الليلة وضع أساس المدينة التى عزم على إنشائها لتكون حاضرة الدولة الفاطمية ومركزاً لنشر دعوتها الدينية ولكى تكون حصنا ومعقلا منيعا. ووضع أساس قصر مولاه المعز واختطت كل قبيلة من البربر حول ذلك القصر خطة عرفت باسمها (١). ولما فرغ جوهر من بناء قصر الخليفة وإقامة السور سمى المدينة كلها بالمنصورية نسبة إلى المنصور أبى المعز، وظلت هذه التسمية حتى قدم المعز إلى مصر فسماها القاهرة (٢).

وأقام جوهر بالعاصمة الجديدة مسجدا جامعا على نحو ما اتبع فى إنشاء الفسطاط والعسكر والقطائع، وبدأ بانشائه فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان ٣٦١هـ (٣). وسمى المسجد الجديد بجامع القاهرة اسم العاصمة الجديدة، أما تسميته بالجامع الأزهر فالظاهر أنه أطلق عليه هذا الاسم لكونه محاطا بالقصور الزاهرة (٤). وذهب بعض المؤرخين إلى أنه سمى كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن العظيم والمكانة الكبرى بازدهار العلوم فيه (٥). على أننا نرجح أن يكون هذا الاسم قد أطلق

---

(١) راجع وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠، الانتصار ج ٥ ص ٣٦، الخطط ج ٢ ص ١٧٩

(٢) الانتصار ج ٥ ص ٣٥، الخطط ج ٢ ص ٢٠٤

(٣) الخطط ج ٤ ص ٤٩، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٢.

(٤) كان يقال لمجموع القصرين الشرقى والغربى القصور الزاهرة، وكان يقال للجامع الأزهر جامع القاهرة والجامع الازهر نسبة اليها. (راجع الخطط ج ٢ ص ١٨٠)

(٥) مصطفى بيرم — الجامع الازهر ص ٦.

على هذا الجامع تيمنا باسم فاطمة الزهراء جدة الفاطميين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] . وظل مسجد القاهرة الجامع يعرف بهذين الاسمين المذكورين ثم تقاص الاسم القديم شيئاً فشيئاً وغلب عليه اسم الجامع الازهر [٢] .

كان الأزهر فى أول عهد الفاطميين المسجد الفذ الذى يخطب فيه الخليفة ، فلما تم بناء الجامع الحاكمى فى سنة ٣٨٠ هـ صارت الخطبة تقام بانتظام فى أربعة مساجد هى : جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الأزهر وجامع الحاكم [٣] . وفى عهد الفاطميين زين الأزهر ومناراته بأفخر زينة وأنير بالأنوار الساطعة فى ايام المواسم العامة ، مما حدا بالمعز إلى بناء منظرة فى قصره يشاهد منها هذه الزينات ، فاطلق عليها منظرة الجامع الأزهر [٤] .

وقد تعهد الخلفاء الفاطميون هذا المسجد الجامع بالتجديد والعمارة وخصوه بالكثير من رعايتهم وعنايتهم ، وذلك لما كان يعقد فيه من مجالس الدرس ولانه كان يعتبر المسجد الرسمى الذى اتخذه الفاطميون مكانا يتلقى فيه الناس عقائد المذهب الفاطمى ، ففى سنة ٣٧٨ هـ جدده العزيز ورتب الأرزاق للأساتذة الذين عهد إليهم بالتعليم فيه ، ثم جدده ولده الحاكم من بعده وزوده بمجموعة من التنانير الفضية ، كما قام الخليفة المستنصر أيضا بتجديده والعناية به [٥] .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد — لمحة فى تاريخ الازهر ص ٢ ، محب الدين الخطيب — الأزهر ص ٦ ، دائرة المعارف الاسلامية المنقولة إلى العربية — المجلد الثانى — العدد الأول ص ٥٢

(٢) راجع المقريزى — الخطط جـ ٢ ص ١٨١ ، فقد أشار إلى هذه الحقيقة .

(٣) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٣٨

(٤) الخطط جـ ٢ ص ١٨١ و ٣٤٥ ، الفاطميون ص ١٢٤ .

(٥) الخطط جـ ٤ ص ٤٩ و ٥٢ ، حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٣٨ .

ولا ننسى أن نشير فى هذا المقام بوجه خاص إلى السجل الذى أصدره الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٠ هـ ، وهو الذى يعد بحق أول وقفية ملكية صدرت للانفاق على الجامع الأزهر ودار العلم ، المعهدين العظيمين اللذين هما من غرس هذه الدولة الفاطمية. فقد حبس الحاكم بأمر الله بعض املاكه من دور وحوانيت ومخازن لينفق من ريعها على الجامع الأزهر وجامع راشدة وجامع المقس ، اللذين أمر بانشائهما وتأسيس بنائهما وعلى دار العلم ، وأفرد لكل منهما نصيبا خاصا ينفق على الاثاث والانارة والاصلاح ، كما يدفع منه رواتب الخطيب والمشرف والأئمة وغير ذلك (١) .

ولم يحظ جامع آخر من جوامع مصر التاريخية بمثل ماحظى به الأزهر من رعاية الخلفاء والأمراء منذ العصر الفاطمى ، فقد تعاقبت الزيادات على البناء الأصلى حتى تحول الأزهر إلى مركز عظيم للعلم ، وغدا يشغل مساحة كبيرة قدرها ١٢٠٠٠ متر مربع وبلغ عدد أعمدته ٣٧٥ عمودا (٢) .

انشىء الجامع الأزهر ليكون مسجد الدولة الرسمى وموطن الدعوة المذهبية، ولكنه لم يلبث أن أصبح جامعة علمية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب وحدب مختلف العلوم والفنون ، وسبق بذلك غيره من المساجد الأخرى التى كانت تقوم إلى جانبه وظل مدى قرون ولايزال إلى اليوم مقصد طلاب العلم من كافة ارجاء العالم الإسلامى .

---

(١) راجع هذا السجل فى الخطط ج ٤ ص ٤٩ وما يليها .

(٢) القاطميون ص ١٢٧ ، الدكتور عبد الواحد وافى — لمحة فى تاريخ الأزهر ص ٢ و ٥ ، مصطفى بيرم — الجامع الأزهر ص ٦ و ٧

وفى[١] أواخر عهد المعز لدين الله جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ بالجامع الأزهر ، وقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت وهو المسمى بكتاب « الاقتصار » فى جمع حافل من العلماء والكبراء ، وأثبت أسماء الحاضرين[٢] ، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر وكان أبو الحسن على بن النعمان أول من قام بالتدريس . ثم توالت حلقات بنى[٣] النعمان به بعد ذلك وكانت فى الواقع دروسا مذهبية خالصة أعدت للدعاية السياسية والدينية .

وقد أتاح الله لهذا المسجد يعقوب بن كلس[٤] وزير العزيز الفاطمى ، فقد كان هذا الوزير من فحول العلماء ومن خدام هذه الدولة الفاطمية الذين عملوا

---

(١) توفى المعز بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ (وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢) .

(٢) الخطط ج ٤ ص ١٥٦ .

(٣) سبق الاشارة إلى بعض الأساتذة الأعلام الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعاتها وألسنتها الروحية ، والذين استأثروا برياسة القضاء فى ظلها سنين طويلة ، وكان عميدهم أبا حنيفة النعمان الذى قدم مع المعز من المغرب (راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦ وما يليها ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩١) .

(٤) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وكان يهوديا من أهل بغداد محافظا على دينه جميل المعاملة ، اتصل بخدمة كافور الأخشيدى فأظهر خبرة وبراعة ، ولما أسلم بعد ذلك زادت حظوته عند كافور وخلع عليه . ثم إنه سار إلى المغرب وخدم المعز لدين الله وتولى أموره ووزر للعزيز فاستقامت أحواله . ولما اعتل علة الوفاة ركب العزيز اليه عائدا ولما مات سنة ٣٨٠ هـ صلى عليه وانصرف حزينا لفقده وأمر أن تعلق الدواوين أياما بعده وقيل أنه رثاه مائة شاعر . وقد خلف ابن كلس ثروة طائلة وكان فى الحق من أكبر بناة الدولة الفاطمية بمصر (راجع ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ١٩ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٣٣ وما يليها ، الخطط ج ٣ ص ٧ وما يليها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨) .

على نشر دعوتها بكل الوسائل والطرق ، وقد رتب ابن كلس هذا فى داره العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى عليهم الأرزاق ، ونصب له مجلسا يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات . أما يوم الجمعة فكان يقرأ مصنفاته[١] على الناس وكان من بين هاته المصنفات رسالته الوزيرية التى وضعها فى الفقه الشيعى ، وكان يجلس عنده خواص الناس وعوامهم وسائر الفقهاء والقضاة والشعراء والنحاة وأصحاب الحديث ووجوه أهل العلم ، فاذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لإنشاد مدائحهم فيه[٢].

لم يقف أمر نشر الدعوة الفاطمية على يد هذا الوزير عند ذلك ، بل نراه فى سنة ٣٧٨هـ[٣] يسأل الخليفة العزيز فى صلة رزق جماعة من الفقهاء عددهم يربو على الثلاثين[٤] فقيها يحضرون مجلسه ويلازمونه ويأخذون عنه الفقه الشيعى ، وأمر لهم ببناء دار[٥] إلى جانب الجامع الأزهر فإذا كان يوم الجمعة حضروا

---

(١) قال المقريزى (الخطط جـ ٣ ص ٩) : « فمن تآليفه (ابن كلس) كتاب فى القرآات وكتاب فى الأديان ... وكتاب فى آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب فى علم الابدان وصلاحها فى ألف ورقة وكتاب فى الفقه مما سمعه من الامام المعز لدين الله والامام العزيز بالله (الرسالة الوزيرية) » .

(٢) الخطط جـ ٣ ص ٨ و ٩ ، ج ٤ ص ١٥٧ .

(٣) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤٩ .

(٤) ذكر القلقشندى (صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٧) انهم كانوا سبعة وثلاثين فقيها بينما ذهب المقريزى (الخطط جـ ٤ ص ٤٩) الا أن عددهم كان خمسة وثلاثين فقيها .

(٥) لابد أن تكون هذه الدار قد ألحقت بالجامع الأزهر فيما بعد وصارت من أروقته ، ولعل السبب فى اطلاق لقب «مجاورين» على طلبة الأزهر هو سكن علماء الأزهر وطلبته فى مثل هذه الدار المجاورة لهذا المسجد الجامع من قديم الزمان .

إليه وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى صلاة العصر لقراءة الفقه[١] ومدارسة الحكمة وعقائد الدين ، وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة ، وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على البغال احتراما لهم وتقديراً لتعليمهم .

وهكذا بدأت الدراسة بالجامع الأزهر وجاءه طلاب العلم واستطاع بما فيه من هؤلاء الأساتذة الرسميين الذين تجرى عليهم الأرزاق الدائمة والذين يقومون بالتعليم تحت إشرافها — أن يكون معهدا للدرس وان يبدأ حياته الجامعية الحافلة المديدة .

كانت الصبغة المذهبية من غير شك تغلب على الدراسة بالأزهر ولا سيما فى بداية عهده ، فقد كان هذا المسجد مركزا هاما لمجالس الحكمة[٢] التى كان يعقدها الدعاة فيه وبالقصر والتى كانت غايتها بث دعوة الدولة الفاطمية وتوطيد إمامتها — وكانت علوم الشيعة وفقه آل البيت تحتل من حلقاته الدينية المقام الأول والأساتذة به من غلاة الشيعة كذلك .

فأول كتاب درس بالجامع الأزهر كما عرفنا هو كتاب « الاقتصار » الذى وضعه النعمان بن محمد فى فقه آل البيت والذى كان يتولى قراءته وتدريسه بالأزهر ولده أبو الحسن على بن النعمان ، وكان للنعمان كذلك كتب أخرى[٣] فى فقه الشيعة ككتاب « اختلاف أصول المذاهب » وكتاب « ابتداء الدعوة للعبيديين » وكتاب « الأخبار فى الفقه » وهذه المؤلفات

---

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٧ .

(٢) راجع صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٣٧ ، الخطط ج ٢ ص ٢٢٦ — وسنعرض لمجالس الحكمة فى الباب الخامس .

(٣) راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦ .

جميعها لا بد أن تكون قد درست بالأزهر الى جانب كتاب « الاقتصار » حيث أنها تمت اليه بصلة وثيقة ، وكان من بين الأساتذة من غير شك بنو النعمان أنفسهم غلاة الشيعة ودعاتها[١] . هذا بالاضافة الى ما كان من أمر الأساتذة الذين أجرى عليهم العزيز الأرزاق والذين كان عليهم القيام بدراسة الفقه الشيعى بالأزهر .

بيد أن هذه الصبغة المذهبية لم تكن دائما مانعا من دراسة علوم أخرى ، فالأزهر من غير شك كان موطنا لدراسة العلوم الدينية على اختلافها[٢] . بل ان هناك ما يدل على أن الفلسفة والمنطق والطب والرياضات كانت تدرس فيه فى هذا العصر وإن كان ذلك فى حدود ضيقة . فقد ذكر القفطى وابن أبى أصيبعة[٣] أن أبا على محمد بن الحسن بن الهيثم كان فى العصر الفاطمى الأول يشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة فى الجامع الازهر . وكان ابن الهيثم هذا ممن نبغ فى دراسة الرياضيات والفلسفة والمنطق والطب وغيرها من العلوم العقلية الاخرى . وقد رحل الى مصر فى زمن الحاكم بأمر الله وتوفى سنة ٤٣٠ هـ أو بعدها بقليل .

ومن المرجح أيضا أن كتب كثير من أساتذة هذا العصر أمثال العلامة الحوفى إمام العربية والنحو وابن بابشاذ وغيرهما ممن انتهت إليهم الرياسة فى

---

(١) قام كل من على بن النعمان وعبد العزيز بن محمد بن النعمان بتعليم الفقه الشيعى فى زمن الحاكم الفاطمى كما مر بنا ، وكان عبد العزيز بن النعمان يقرأ كتاب جده « اختلاف أصول المذاهب » (راجع رفع الأصر ص ٥٩٦ و ٦٠٠) .

(٢) الخطط ج ٤ ص ٥٤ .

(٣) راجع القفطى — أخبار الحكماء ص ١٦٥ وما يليها ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٠ وما يليها .

العلوم الدينية وآلاتها من نحو وصرف وبلاغة قد درست بالأزهر . يضاف إلى هذا ما كان من تعاون وارتباط وثيق بين أساتذة المعاهد المختلفة فى هذا العصر ، فقد حدثنا ابن خلكان[١] أنه كان بين الحافظ عبد الغنى بن سعيد[٢] وأبى أسامة جنادة بن محمد اللغوى رئيس المؤذنين بجامع عمرو والأستاذ به مؤانسة واتحاد ، وكانا يجتمعان فى دار العلم وتجرى بينهما المذكرات والمفاوضات فى الآداب ، ولم يزل ذلك دأبهما حتى قتل الحاكم أبا أسامة جنادة سنة ٣٩٩ هـ . كما ذكر المقريزى[٣] أن فقهاء الجامع الأزهر كانوا يتحلقون فى جامع الحاكم ، فليس ببعيد إذن أن يكون من بين أساتذة دار العلم وجامع عمرو ممن لهم اهتمام خاص بالعلوم العقلية أو النقلية من يتحلق فى الجامع الأزهر لدراسة هذه العلوم .

ولقد كان لقيام دار العلم فى زمن الحاكم بأمر الله تأثير فى سير الدراسة بالجامع الأزهر ، إذ كانت منافسا له شديد الوطأة لما قام بها من دراسات مختلفة للغة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة[٤] كما سنعرض لذلك فى حينه ولتشجيع الحاكم لطلابها . ولكن الأزهر على أى حال ظل ملاذاً للعلوم الدينية التى كانت تغلب على صفته ولم يقلل قيام دار العلم بما استحدث فيها من

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٧ (راجع كذلك ياقوت — معجم الأدباء جـ ٧ ص ٢٠٩ ، جـ ١٨ ص ٢٦٣) .

(٢) كان امام زمانه فى علم الحديث وحفظه وله مؤلفات منها « المؤتلف والمختلف » وتوفى سنة ٤٠٩ هـ (راجع وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٤٤ ، حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٤٨) .

(٣) الخطط جـ ٤ ص ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

دراسات جديدة من شأنه كمعهد للقراءة والدرس ، سيما أن الدراسة بدار العلم لم تكن مستقرة لما انتابها من اضطرابات مختلفة أخلت بالتعليم فيها .

ومهما يكن من شيء فقد استطاع الأزهر أن يكون جامعة علمية جليلة القدر وأن يوجه الحياة الدينية والعقلية فى العصر الفاطمى الأول إلى جانب جامع عمرو ودار العلم ، وأن ينشر العلوم على اختلافها . واستطاع بما حظى من عطف الخلفاء والأمراء والوزراء أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات على مر السنين ، وأن يكون ملاذاً لطلاب العلوم الاسلامية منذ نشأته ليس فى مصر فحسب بل فى كافة أنحاء العالم الاسلامى . ويكفينا دلالة على هذا أن نسوق فى هذا المقام قول المقريزى[1] : « ولم يزل فى هذا الجامع (الأزهر) منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه ، وبلغت عدتهم فى هذه الأيام (سنة ٨١٨ هـ) ٧٥٠ رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ، ولكل طائفة رواق يعرف بهم ، فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر ، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده فى غيره . وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى ، وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سيما فى المواسم » .

---

(١) الخطط ج ٤ ص ٥٤ .

٣ — التعليم فى جامع الحاكم وغيره من المساجد

ومن بين معاهد التعليم فى مصر فى العهد الفاطمى جامع الحاكم بأمر الله الذى أسسه أبوه العزيز بالله فى سنة ٣٨٠ هـ[١] تحت اشراف وزيره يعقوب ابن كلس ، وخطب فيه العزيز وصلى بالناس الجمعة سنة ٣٨١ هـ قبل أن يتم بناؤه . وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ثم اطلق عليه جامع الحاكم والجامع الأنور[٢] .

ولما ولى الحاكم الخلافة امر باتمام بنائه فى سنة ٣٩٣ هـ فتم له ذلك فى سنة ٤٠٣[٣] هـ . وفى سنة ٤٠٤ هـ حبس الحاكم على هذا المسجد عدة قياس واملاك[٤] .

كذلك أسس الحاكم جامع راشدة فى سنة ٣٩٥ هـ وأقام فيه الجمعة وخطب فيه فى رمضان سنة ٣٩٨ هـ[٥] . كما بنى جامع المقس فى سنة ٣٩٣ هـ[٦] ، وقد وقف الحاكم الاوقاف على مساجد الأزهر ودار العلم وعلى جامعى راشدة والمقس كما تقدم[٧] .

---

(١) ذكره المقريزى عن المسبحى (الخطط جـ ٤ ص ٥٥) وأبو المحاسن (النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٧) والسيوطى (حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٣٣) . وقيل إن وضع أساسه كان فى سنة ٣٧٩ هـ (راجع القلقشندى — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٤ ، الدكتور حسن ابراهيم — الفاطميون ص ١٢٩) .

(٢) الخطط جـ ٤ ص ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٥و٥٦ — وقيل إنه فرغ من بنائه سنة ٣٩٦ هـ (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٤) وقيل فى سنة ٣٩٣ هـ (راجع حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٣٩) .

(٤) الخطط جـ ٤ ص ٥٦ .

(٥) الانتصار جـ ٤ ص ٧٨و٧٩ ، الخطط جـ ٤ ص ٦٣ .

(٦) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٥ .

(٧) الخطط جـ ٤ ص ٤٩ وما يليها .

وكان بمصر عدا هذه المساجد الجامعة الكبيرة مساجد اخرى كثيرة فى المدن المصرية[١] المختلفة ، فقد اشار المقدسى[٢] عند زيارته لهذه البلاد فى زمن العزيز الفاطمى إلى ما مر به من مساجد كثيرة فى مدن مصرية مختلفة كالمحلة الكبرى والاسكندرية والجيزة وغيرها . واتى القلقشندى[٣] كذلك على ذكر هذه المساجد عند كلامه على كور الديار المصرية وقال[٤] ان مساجد الاسكندرية احصيت فى وقت من الاوقات فكانت عشرين الف مسجد . هذا بالاضافة إلى ما امدنا به ابن دقماق فى كتابه « الانتصار لواسطة عقد الامصار » والمقريزى فى كتابه « الخطط » من وصف هذه المساجد العديدة بمصر .

وخلاصة القول ان مصر كانت غاصة[٥] بمساجدها فى العصر الفاطمى الأول ، وكان التعليم بهذه المساجد شاملا وإن كان يقل نشاطا عن التعليم فى الجامع الأزهر أو جامع عمرو ، فقد ذكر المقريزى[٦] عند كلامه على جامع

---

(١) كانت مصر فى زمن الدولة الفاطمية تنقسم الى أربعة ولايات هى — ولاية قوص وهى أعظمها وكانت تشمل الوجه القبلى كله . وولاية الشرقية وهى دون ولاية قوص فى الرتبة وكان متوليها يحكم على عمل بلبيس وقليوب . وولاية الغربية وكانت دون ولاية الشرقية فى الرتبة وكان متوليها يحكم على عمل المحلة ومنوف . وولاية الاسكندرية وهى دون الغربية فى الرتبة وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٧ و ٤٩٨) .

(٢) راجع أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٩٥ وما يليها .

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٩٦ وما يليها .

(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٥) الخطط ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥٥ .

الحاكم أنه يحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون فى الجامع الأزهر ، وذلك بعد بداية بنائه على يد العزيز الفاطمى. وقد أشار[١] إلى هذه الحقيقة كذلك ناصرى خسرو عند زيارته لمصر فى زمن المستنصر الفاطمى ، مما يدل على ان التعليم بجامع الحاكم كان يسير سيراً طبيعيا كما فى غيره من المساجد .

وذكر المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم[٢]: «والرسوم بجوامع هذا الاقليم إذا سلم الامام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفاً يقرأ فيه جزءا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين . . . وبين العشائين جامعهم (جامع عمرو) مغتص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة . ودخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم إلى المجلس، فننظر فاذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد».

ومما يدل على أن التعليم فى مصر لم يكن مقصورا على العاصمة الفاطمية، ما كان من أمر أبى بكر الطرطوشى[٣] الاندلسى الذى نزل الاسكندرية وأقام بها معلما، وكان من أئمة العلم ، وقد تفقه عليه كثيرون منهم سند بن ابراهيم الازدى[٤] الذى جلس فى حلقته من بعده فى بالاسكندرية وأفاد المصريين بها. وما أمدنا

---

(١) راجع Encyclopaedia of Islam, vol. 3, p. 352.

(٢) ص ٤٠٥

(٣) ينتسب الطرطوشى إلى مدينة طرطوشة التى ولد فيها سنة ٤٥١ هـ ، وهى مدينة بالاندلس . وقد تنقل هذا الفقيه فى الحجاز والشام والعراق وتلقى العلم على أئمة العلماء والفقهاء فى أمهات العواصم الاسلامية ، ثم رحل أخيرا لمشاهدة مصر ونزل بالاسكندرية واستوطنها وبقى بها إلى أن مات سنة ٥٢٠ هـ وكانت له بضعة تصانيف (راجع ياقوت — معجم البلدان ج ٦ ص ٤٢، ٤٣ وابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٧٩، ٤٨٠) .

(٤) كانت وفاته سنة ٥٤١ هـ (راجع حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٢) .

به القلقشندى[١] من سجل فاطمى بتدريس جاء به أن بثغر الاسكندرية كثيراً من القراء والفقهاء وطلاب العلم . هذا بالاضافة إلى ماذكره السيوطى[٢] حين ترجمته لمحمد بن حيدرة بن الارقط النحوى المتوفى سنة ٥٤١ هـ من أنه قرأ الادب بأسوان .

ومهما يكن من أمر فانه كان يندر أن تكون المساجد المصرية خالية من مدارسة العلم أثناء النهار ، وعلى الأخص فى المدن ، وكانت أشبه بنواد أو مجتمعات للناس وخصوصاً المساجد الجامعة حيث كان القاضى يجلس فى النهار للحكم بين الناس والعلماء يعقدون مجالس العلم وحلقات التدريس ، وكان يبلغ النشاط فى المسجد أقصاه فى المساء.[٣]

مناهج التعليم ونظمه

١ — صوار الدراسة والكتب الدراسية

كان المسجد معهدا من أكبر معاهد التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول ، وكان يعتبر المدرسة التالية التى يختلف إليها التلاميذ وقد انتهوا من مرحلة الدراسة الاولية بالكتاب أو على يد مؤدب خاص . وأغلب الظن انه لم يكن هناك فى ذلك العصر مراحل متميزة للتعليم كما نراها اليوم ، أو حواجز تفصل بين نوع التعليم والنوع الآخر . فلم يكن هناك مرحلة للتعليم الاولى أو الابتدائى أو الثانوى أو الجامعى ، ولم يكن محظورا على الطالب قراءة أى

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٥٨ .
(٢) بغية الوعاة ص ٣٩ وما يليها .
(٣) متز — الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

كتاب أو الجلوس فى حلقة دون أخرى ، بل كان بالمسجد حلقات يقرىء فيها المعلم صغار التلاميذ إلى جانب حلقات أخرى يقرىء فيها كبار العلماء طلبة أوشكوا أن ينتهوا من الدراسة. ولم يكن أمام الباحث لقياس المستوى العلمى الذى وصل إليه طالب ماالا عدد السنين التى قضاها ذلك الطالب بالكتاب أو المسجد والكتب التى قرأها على أساتذته ، وكلا المقياسين غير دقيق ، فان الطالب فى ذلك العهد لم يكن مقيدا بامتحانات سنوية يظهر فيها مقدار انتفاعه بما درسه. ولكنه على الرغم من ذلك فقد كان من المتعارف بين العلماء والطلبة أن الدراسة بالمسجد تنقسم إلى ثلاث مراحل . مرحلة ابتدائية يحفظ فيها المبتدئون القرآن ويدرسون الكتب السهلة على طائفة من صغار الاساتذة ، ومرحلة ثانوية يدرس فيها الطلبة الكتب المتوسطة على اساتذة أكثر ثقافة من السابقين ، ومرحلة نهائية أوقل عالية يدرس فيها كبار الطلبة أمهات الكتب وأصعبها على طائفة من جهابذة العلماء . وكان الطالب إذا مافرغ من دراسة الكتب الصغيرة وأنس من نفسه القدرة على الانتقال إلى ماهو أرقى منها انتقل من نفسه إليها . وهكذا ينتقل من حلقة إلى أخرى حتى يتم دراسته التى لم تكن تحدد بزمن خاص أو عدد معين من السنين .

وكانت مواد الدراسة فى المساجد متأثرة إلى حد كبير بأغراض التعليم فى القرون الوسطى التى ترمى إلى تهذيب روحانى وإلى تربية دينية أخلاقية ، لا تعد الفرد لهذا العالم الذى يضطرب بأسباب الحياة بل للعالم الآخر ، وترمى كذلك إلى تخريج طلبة عالمين بالأحكام الشرعية ملمين بالعلوم العربية ، محافظين على التعاليم الدينية قادرين على نشرها بين الناس ، وكان ذلك الغرض الدينى

فى عهد الدولة الفاطمية مصطبغا دون شك بصبغة شيعية تعمل على إعداد الفرد إلى جانب ذلك لنشر المذهب الفاطمى والولاء للفاطميين وتقديس مبادئهم كما ذكرنا فى أول هذا الباب . فلم يكن غريبا إذن أن يملى هذا الغرض الدينى المذهبى مناهج الدرس فى المساجد ويوجه الأساتذة إلى ضرورة دراسة العلوم الدينية التى تحتل فيها علوم الشيعة وفقه آل البيت المقام الأول ، وإلى دراسة العلوم الأخرى التى تتعلق بها .

فكانت مواد الدراسة بالمساجد فى هذا العصر إذن هى العلوم الشرعية كعلوم القرآن من تفسير وقراءات ، وعلوم الحديث والفقه والكلام . والعلوم اللسانية من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغيرها ، والقليل من العلوم العقلية كعلوم الطب والرياضة والمنطق والفلسفة وما إليها . ولم تكن الدراسة فى ذلك الوقت دراسة موضوعات محددة فى مناهج موضوعة كما نعهد اليوم ، بل كانت دراسة كتب على أيدى أساتذة ، فكان أساس التعليم الكتاب والأستاذ. وإليك ترجمة بعض الأساتذة الأعلام ممن نبغوا فى هذه العلوم ، وكانت لهم مؤلفات تصدروا لقراءتها فى مجالس العلم بالمساجد الفاطمية المختلفة .

فمن أئمة القرآءات فى ذلك العصر محمد بن على بن محمد أبو بكر الأدفوى المصرى المقرىء النحوى المفسر . برع فى علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصر ، وقد انفرد بالأمامة فى وقته فى قراءة نافع مع سعة علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وتمكنه من علم العربية وبصره بالمعانى ، وله كتاب «التفسير» فى مائة وعشرين مجلداً ومات سنة ٣٨٨هـ[١] .

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٩ ، بغية الوعاة ص ٨١

وكذلك عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون[١] المتوفى سنة ٣٨٩هـ المقرى المحقق مؤلف كتاب « الإرشـــاد فى القرآات » ، وقد رحل إليه مكى بن أبى طالب وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاختلف إليه وإلى غيره من المؤدبين والعلماء ، ثم رجع إلى القيروان سنة ٣٧٩ هـ وحفظ القرآن واستظهر القرآات وغيرها من العلوم بمصر[٢] .

ومن هؤلاء أبو الحسن طاهر المتوفى سنة ٣٩٩هـ ، وقد صنف « التذكرة فى القرآات » ، وعبد الجبار بن احمد الطرسوسى المتوفى سنة ٤٢٠هـ وله كتاب « المجتبى فى القرآات » ، والحسن بن محمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٤٣٨هـ وقد صنف كتاب « الروضة فى القرآات » ، واسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران المتوفى سنة ٤٥٥هـ وقد صنف « العنوان فى القرآات » ، وتصدر للاقراء زمانا ولتعليم العربية وكان رأسا فى ذلك . وغيرهم كثيرون ذكرهم السيوطى فى كتاب « حسن المحاضرة »[٣] .

ومن أئمة الحديث والفقه فى ذلك العصر أبو طاهر الذهلى الذى أشرنا إليه فى الباب الأول عند الكلام على التعليم فى الدولة الإخشيدية ، وقد تفقه فى مذهب مالك كما كان كثير الحديث واسع الذاكرة وظل يكتب عنه الحديث فى بداية الدولة الفاطمية إلى أن وافته المنية سنة ٣٦٧ هـ[٤] . كذلك الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة ، فقد

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٩ .
(٢) معجم الادباء ج ١٩ ص ١٦٧ وما يليها
(٣) ج ١ ص ٢٠٩ وما يليها
(٤) رفع الاصرص ٥٨١ وما يليها

حدث فى أواخر الدولة الاخشيدية وأوائل الدولة الفاطمية ، ورحل إليه على ابن عمر الدارقطنى[١] الحافظ المشهور فى وقت كان فيه ابن حنزابة يريد أن يصنف مسندا ، فلم يزل الدارقطنى عنده حتى فرغ من تأليفه، وتوفى ابن حنزابة فى سنة ٣٩١ هـ فى عهد الحاكم بأمر الله[٢] .

ومنهم عبد الغنى بن سعيد المتوفى سنة ٤٠٩ هـ الامام الحافظ ، وكان من أساتذة دار العلم ومن مؤلفاته « المؤتلف والمختلف » وغيره[٣] .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى، تولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى العصر الفاطمى الأول ، وكان متفننا فى عدة علوم وكتب عدة مصنفات فى الحديث والفقه والتاريخ ، منها كتاب « الشهاب » وكتاب « مناقب الامام الشافعى وأخباره » وكتاب « الأنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء » وله كتاب « خطط مصر » وهو الكتاب المنعوت « بالمختار فى ذكر الخطط والآثار » وتوفى سنة ٤٥٤ هـ فى عهد المستنصر الفاطمى[٤] .

وكان من أئمة فقه الشيعة بنو النعمان الذين مر ذكرهم فى مناسبات كثيرة

---

(١) توفى سنة ٣٨٥ هـ (راجع ترجمته فى وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٣١) .

(٢) راجع معجم الادباء ج ٧ ص ١٦٣ وما يليها ، وفيات الاعيان ج ١ ص ١١٠ وما يليها ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٨ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٣) راجع وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٠٥ ، الخطط ج ٢ ص ٣٣٥ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٤ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) راجع وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٦٢ ، الخطط ج ١ ص ٦ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٩ .

فى هذا الباب . وكانوا جميعا من غلاة الشيعة ودعاتها ، وكان فى مقدمتهم النعمان ابن محمد صاحب التصانيف الكثيرة التى منها كتاب « اختلاف أصول المذاهب » وكتاب « ابتداء الدعوة للعبيديين » وكتاب « الأخبار » فى الفقه وكتاب « الاقتصار » فى الفقه أيضا وغيرها ، وكانت تدرس جميعا فى المساجد والقصور وتوفى سنة ٣٦٣ هـ ، وقام بقراءة كتب الفقه الشيعى من بعده على ابن النعمان المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ومحمد بن النعمان المتوفى سنة ٣٨٩ هـ والحسين ابن على بن النعمان المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وعبد العزيز بن محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤٠١ هـ[١] وغيرهم من الفقهاء . ومن المؤلفات الشيعية كذلك « الرسالة الوزيرية » لابن كلس وقد مر ذكرها ، وكان يجلس لقراءتها بالمساجد كثير من الفقهاء[٢] . وكذلك كتاب « دعائم الاسلام » الذى أمر الخليفة الظاهر الفاطمى الدعاة بتدريسه ورتب لمن يحفظه مالا[٣] . اضف الى ذلك الكثير من كتب الفقه الأخرى التى تنافس فقهاء الشيعة فى وضعها وقراءتها على طلبة العلم فى المساجد وغيرها من دور التعليم الفاطمية .

أما العلوم اللسانية من نحو وصرف وبلاغة فقد كان من أساتذتها وأصحاب التصانيف فيها أبو الحسن على بن ابراهيم بن سعيد الحوفى النحوى اللغوى ، وكان إماما فى العربية والنحو والأدب واشتغل مدة طويلة بالتدريس ، وله من التصانيف كتاب « الموضح فى النحو » وهو كبير حسن وكتاب

---

(١) راجع الكندى — الولاة والقضاة ص ٤٩٥ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦ وما يليها ، رفع الاصر ص ٥٨٦ وما يليها .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٣٥ ، الخطط ج ٤ ص ١٥٧ .

(٣) الخطط ج ٢ ص ١٦٩ .

« البرهان فى تفسير القرآن » فى ثلاثين مجلدا وكتاب « اعراب القرآن » فى عشرة مجلدات ، وقد تنافس العلماء والطلبة فى تحصيل هذه التصانيف جميعها وقراءتها - وتوفى الحوفى سنة ٤٣٠[١] هـ .

ومنهم محمد بن أحمد أبو سعيد العميدى الأديب النحوى اللغوى ، وقد تولى ديوان الانشاء فى أيام المستنصر الفاطمى ، وله تصانيف كثيرة فى الأدب قرأت عليه ، منها كتاب « تنقيح البلاغة » فى عشر مجلدات وكتاب « الارشاد الى حل المنظوم والهداية الى نظم المنثور » وكتاب « انتزاعات القرآن » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافى » وتوفى سنة ٤٣٣[٢] هـ .

ومن أئمة اللغة كذلك أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى الشهير ، وقد اشتغل حينا بديوان الانشاء فى عهد المستنصر الفاطمى ، وكان يتصدر للاقراء والافادة بجامع عمرو كما مر بنا ، وله تصانيف ضخمة مفيدة منها « المقدمة فى النحو » و « شرح الجمل للزجاجى » و « شرح النخبة والتعليق فى النحو » وهو فى خمسة عشر مجلدا وقد سماه تلامذته من بعده « تعليق الغرفة » وكذلك « المحتسب فى النحو » وغيره من التصانيف وتوفى ابن بابشاذ سنة ٤٦٩[٣] هـ .

ومن المرجح أن تكون تصانيف كل من الحسن بن زولاق

---

(١) راجع معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٢١ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٢ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١٢ ، بغية الوعاة ص ١٩

(٣) معجم الأدباء ج١٢ ص ١٧ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٥ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص١٠٥ ، حسن المحاضرة ج١ ص ٢٢٨ ، بغية الوعاة ص ٢٧٢ .

والمسجى المؤرخين المصريين العظيمين قد درست كذلك بالمساجد الفاطمية. فأما الحسن بن زولاق فهو من أعيان مصر وعلمائها ، وكان قد سمع الحديث ورواه ، وله عدة تصانيف فى التاريخ منها كتاب فى « خطط مصر » وكتاب « أخبار قضاة مصر » جعله ذيلا على كتاب أبى عمر بن يوسف بن يعقوب الكندى وكتاب « سيرة محمد بن طغج الأخشيد » وكتاب « سيرة جوهر » وكتاب « التاريخ الكبير على السنين » وكتاب « فضائل مصر » وكتاب « سيرة كافور » وكتاب « سيرة المعز » وكتاب « سيرة العزيز » وغيرها وتوفى سنة ٣٨٦ هـ وقيل سنة ٣٨٧[1] هـ .

أما المسبحي فهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله الحرانى ، وكان من أقطاب الأمراء والعلماء ، اتصل بالحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه وكانت له معه عدة مجالس ومحاضرات ، وقد شغف المسبحى بتدوين التاريخ فألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير « أخبار مصر » ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية ، وذكر نيلها وأشعار الشعراء وأخبار المغنيين ومجالس القضاة والحكام والأدباء وغيرهم ، وكان يقع هذا الكتاب فى ثلاث عشرة ألف ورقة . ومن تصانيفه كتاب « التلويح والتصريح فى معانى الشعر وغيره » وهو ألف ورقة وكتاب « درك البغية فى وصف الأديان والعبادات » ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة و « قصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم » ألف وخمسمائة ورقة وكتاب « الأمثلة للدول المقبلة » يتعلق بالنجوم والحساب خمسمائة ورقة وكتاب « السؤال والجواب »

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥ وما يليها ، وفيات الاعيان ج ١ ص ١٣٤ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ .

ثلثمائة ورقة وكتاب « مختار الأغانى ومعانيها » وكتاب « المصباح وأصناف الفقه والفرائض » وكتاب « العبارة من أمر الوزارة » وغيرها من الكتب الأخرى ، وقد قيل إن عدد الأوراق التى تشتمل عليها هذه المصنفات تسعة وثلاثون ألف ورقة ومائة ورقة . وتوفى المسبحى سنة ٤٣٠هـ[١] .

أما ما صنف فى علم الجغرافيا فى هذا العصر فهو كتاب فى الطرق والمسالك كتبه المهلبى للخليفة العزيز الفاطمى سنه ٣٧٥هـ وهو أول كتاب وصف السودان وصفا دقيقا ، وكان علماء الجغرافيا فى القرن الرابع الهجرى لا يعرفون من أخبار بلاد السودان إلا القليل ، وقد سمى هذا الكتاب « العزيزى » نسبة إلى العزيز الخليفة الفاطمى[٢] . ومما يذكر فى هذا المقام أن خزائن القصور الفاطمية كانت تحتوى على الكثير من التحف الفنية التى تدل دلالة واضحة على ما كان يجده الخلفاء الفاطميون من لذة خاصة فى الجغرافيا والتاريخ ، فقد قيل إن مكتبتهم كانت تحتوى على كرتين سماويتين إحداهما من الفضة والأخرى من النحاس يقال إن صانعها بطليموس الفلكى نفسه[٣] وعلى خرائط جغرافية ثمينة كالتى ذكرها المقريزى فى قوله[٤] : « وصار إلى فخر العرب[٥]

(١) راجع ابن سعيد — المغرب فى حلى المغرب ص ٩٨ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١٥ ومايليها ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ ، حسن المحاضرة ج١ ص ٢٣٨ .

(٢) متز — الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٨ .

(٣) القفطى — أخبار الحكماء ص ٤٤٠ .

(٤) الخطط ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ .

(٥) أى صار الى ابن حمدان زعيم الأتراك فى أيام المستنصر الفاطمى — أما لفظ تسترى فهو نسبة الى تستر أشهر مدن خوزستان . وأما لفظ قرقوبى فهو صفة لقماش مشهور بألوانه اللامعة وكان يصنع غالبا فى دمياط وتنيس (راجع الفاطميون ص ٢٥٧) .

مقطع من الحرير الأزرق التسترى القرقوبى غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير ، كان المعز لدين الله أمر بعمله فى سنة ٣٥٣ هـ ، فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها شبه جغرافيا ، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير ، كما كان بالقصور كذلك كثير من الستور الحرير المزركشة بالذهب تمثل الممالك المختلفة بملوكها وأسمائهم وموجز لحياة كل منهم[١] . وهذه الآثار جميعها من غير شك تبين لنا أن الفاطميين كانوا يلمون بممالك العالم المعروفة فى ذلك العصر ويتعلمون تاريخها وجغرافيتها .

كانت المساجد مراكز هامة للتعليم الدينى المذهبى ولكنها لم تكن تخلو مع ذلك من العناية بتدريس علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وما إليها وإن يكن فى حدود ضيقة . فقد سبقت الإشارة إلى ما كان من أمر اتصال ابن الهيثم بالجامع الأزهر والتعليم به وما كان من الارتباط الوثيق والتعاون بين أساتذة المعاهد المختلفة ، هذا فضلا عن أن الدعاة وهم القائمون بنظارة دار العلم والإشراف على التعليم بها كانوا يجلسون لتعليم فقه آل البيت بالمساجد[٢] ، فليس ببعيد إذن أن يتحلق أساتذة دار العلم التى كانت تعنى إلى جانب مهمتها فى نشر علوم آل البيت بتدريس العلوم العقلية من طب ورياضة ومنطق وفلسفة فى المساجد على اختلافها ليفيدوا الطلبة من هذه العلوم . ومما يدل أيضا على أن العلوم العقلية كانت تدرس بالمساجد أن الحاكم بأمر الله

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ ، ج ١٠ ص ٤٣٧ ، الخطط ج٢ ص ٢٢٦ و٣٣٧)

أمر بنقل الكتب التى كانت بدار العلم إلى مساجد الأزهر والحاكم والمقس، ولا يخفى ما كان بمكتبة دار العلم هذه من كتب الفلسفة والرياضة وغيرها[١]

على أننا نرى أن هذه العلوم وعلى الأخص علوم الطب كانت تدرس فى الغالب بدار العلم[٢] أو بالمارستانات أو على أيدى معلمين خاصين ، ولم تكن محببة لدى الكثيرين من طلبة العلم بالمساجد . وقد أخذ القول بحرمة[٣] تعليمها يتسرب شيئا فشيئا إلى المساجد بعد العصر الفاطمى حتى تركت دراستها وهجرت وصار ينظر إليها بنظر السخط حتى زمن متأخر . ولعل السبب فى ذلك ما كان يعتقده[٤] بعض المسلمين من أن هذه العلوم العقلية تشوش الفكر وتحمل على الريب فى المعتقدات الدينية ونسوا فوائدها العظيمة .

وكان ابن الهيثم الذى مر ذكره من استاذة الجامع الأزهر ، وهو أبو على

---

(١) الفاطميون ص ١٢٧ و١٢٨ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٣٣٤ و٣٣٥ ، طوطح — التربية عند العرب ص ٧٩ ، راجع O Leary: Ahort His. of the Fatimid Khalif ate, pp. 138, 189.

(٣) مصطفى بيرم — الجامع الأزهر ص ٢٤ وما يليها ، الدكتور عبد الواحد — لمحة فى تاريخ الأزهر ص ٢٤ وما يليها ، دائرة المعارف الاسلامية المعربة مجلد ٢ عدد ١ ص٥٧

(٤) يعتقد الزرنوجى (تعليم المتعلم ص ٥) أن علم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع اللهم إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك . وذهب ابن خلدون (المقدمة ص ٦٠٣) الى القول بأن علوم الفلسفة ضررها فى الدين كثير . أما الغزالى (أحياء علوم الدين ج ١ ص ١٦) فيسمح بتعلم الهندسة والحساب إلا لمن يخاف عليه أن يتجاوز بهما الى علوم مذمومة ، ويقول صاحب كشف الظنون (ج ١ ص ٢٩) أن النظر والمطالعة فى علوم الفلسفة يحل بشرطين أحدهما أن لا يكون الانسان خالى الذهن عن العقائد الاسلامية والثانى أن لا يتجاوز المسائل المخالفة للشريعة وان تجاوز فانما يطالعها للرد لا غير .

الحسن ويعرف عادة فى مصنفات الغربيين فى العصو الوسطى باسم الهازن Alhazen وكان علما من أعلام العرب فى الرياضة والطبيعيات ، وكانت له إلى ذلك مشاركة فى الطب فى علوم الأوائل الأخرى وخاصة فى فلسفة ارسطو ، وكان مولده بالبصرة سنه ٣٥٤ هـ ولما بلغ الحاكم الفاطمى — وكان يميل إلى الحكمة — خبره تاقت نفسه إلى رؤيته فسار نحو مصر وأقام بالجامع الازهر واشتغل بالتصنيف والنسخ والافادة به ، وكان ينسخ فى مدة سنة ثلاثة كتب وهى اقليدس والمتوسطات والمجسطى وكان يبيعها بمائة وخمسين دينارا مصرية ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة فى حدود سنة ٤٣٠ هـ . أما تصانيفه فمنها « تهذيب المجسطى » و « مصادرات اقليدس » و « اختلاف منظر القمر » و « استخراج اضلع المكعب » و « كيفية الارصاد » و « شرح قانون اقليدس » و « حل شكوك المجسطى » و « تعليق فى الجبر » وغيرها وقد لخص كثيراً من كتب ارسطو وشرحها وكثيراً من كتب جالينوس فى الطب وغير ذلك من الكتب التى لا حصر لها فى العلوم الرياضية والطبيعية[1]. ولا شك أن هذه المصنفات جميعا على اختلافها وعلى الاخص ما كان ينسخه ابن الهيثم سنويا من اقيلدس أو مجسطى كانت مما يشتغل به طلبة العلم فى معاهد التعليم الفاطمية فى ذلك العصر.

وكان لكل مسجد مكتبة تشتمل على الكثير من الكتب النفيسة النافعة فى مختلف العلوم والفنون . فقد أحب الفاطميون الكتب والاكثار منها وكانت لهم مكتبة[2] بالقصر يضرب بعظمتها الأمثال لكثرة مجلداتها ومصاحفها

(١) راجع القفطى — أخبار الحكماء ص ١٦٥ وما يليها ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٠ وما يليها ، دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ عدد ٥ ص ٢٩٨ ،

(٢) سنعرض لهذه المكتبة فى الباب الخامس .

وما كان فيها من آلاف الكتب فى الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة والحديث والتاريخ والفلك والكيمياء وغيرها . ولم يقنع الفاطميون بمكتبة القصر هذه بل كانوا يأمرون بنقل الكثير من الكتب القيمة إلى المساجد المختلفة كى تكون فى متناول الطلبة والأساتذة يفيدون منها فى القراءة والدرس .

فقد قال المقريزى [١] عن المسبحى أنه فى زمن الحاكم بأمر الله أنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات ، فيها ما هو مكتوب بالذهب ، ومكن الناس من القراءة فيها ، وأنزل إلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا . كما أمر الحاكم بأمر الله [٢] بنقل الكتب التى كانت بدار العلم إلى مساجد الأزهر والحاكم والمقس فخص الأزهر منها ما يقرب من النصف . فكان لا بد إذن من مكتبة بالمسجد تحفظ بها هذه المجلدات وتعمل على نشر العلم والتعليم ، وقد تكون للجامع الأزهر على مر السنين مكتبة عظيمة كانت نواة للمكتبة التى نظمت به سنة ١٣١٤هـ [٣] .

وخلاصة القول أن المسجد كان مصلى ومدرسة ومكتبة .

٢ — أساليب الدراسة بالمساجد :

كان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة الممتازة بالمساجد فى مصر فى العصر الفاطمى الأول . وكان هذا النظام تقليديا توارثته الأجيال منذ

---

(١) الخطط ج ٤ ص ١٢ و ٤٠ .

(٢) الفاطميون ص ١٢٧ و ١٢٨ .

(٣) محب الدين الخطيب — الأزهر ص ٣٢ ، الدكتور عبد الواحد — لمحة فى تاريخ الأزهر ص ٤٧ .

جلس الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد معلما . ولم يك ثمة نظام آخر للدراسة يمكن التفكير فيه فى عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس الحديثة بعد أو انتقل التعليم إلى أماكن بعيدة عن المسجد . وقد استمر هذا النظام مدة طويلة بعد ذلك العهد ، وكان قوام الحياة الجامعية والفكرية فى مصر الإسلامية والعالم الإسلامى .

فإذا أراد الشيخ المدرس قراءة الدرس جلس إلى جانب أحد أعمدة الجامع مستندا إليه بظهره إن أمكن واستقبل القبلة ثم تلتف الطلبة حوله على شكل حلقة ، وإذا ارتسم الشيخ المدرس بموضع من جامع أو مسجد فهو أحق به وإذا قام عنه زال حقه منه[١] . وكان الناس يمنعون استطراق حلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها . قال الماوردى[٢] : « وقد روى عن النبى صلى الله عليه أنه قال: « لا حمى إلا فى ثلاث — ثلة البئر وطول الفرس وحلقة القوم . فأما ثلة البئر فهى منتهى حريمها ، وأما طول الفرس فهو ما دار فيه بمقوده إذا كان مربوطا ، وأما حلقة القـــوم فهو استدارتهم فى الجلوس للتشاور والحديث . » ، وكان يبدأ الشيخ الدرس بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرر الدرس بالدقة ويختمه بقراءة الفاتحة[٣] . وكان على بن الحسن المعروف بالخلعى إذا سمع عليه الحديث يختم مجالسه بهذا الدعاء : « اللهم ما متعت به فتممه وما أنعمت به فلا

---

(١) الماوردى — الأحكام السلطانية ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٠ .

(٣) سليمان رصد = كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ص ١٩٩ ، متز — الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٠٠ .

تسلبه وما سترته فلا تهتكه وما علمته فاغفره[١] » .

وكانت أساليب التدريس تتلخص فى الإمـــلاء والشرح والمناقشة ، فالأستاذ يملى ما لديه ويشرح ما يصعب على الطلبة فهمه ويسمح لهم أثناء الإملاء أو الشرح بالمناقشة فيما يعن لهم . وغير خاف أن هذه الطرق ترجع إلى أسلوبين هما التعليم والتعلم . فالإملاء والشرح هما وسائط تمكن المعلم من أعطاء معلوماته للطلبة وتساعد على التدريس والتعليم ، وكان كثير من الشيوخ المدرسين فى القرن الرابع الهجرى يختصرون فى أماليهم ويطيلون فى تدريسهم وشرحهم ، وكان بعضهم يقتصر أحيانا على تدريس كتاب يقرأ منه الطلبة وهو يشرح[٢] .

أما المناقشة فهى تمكن الطالب من التعلم والاعتماد على النفس وتعوده حسن التفكير والاستنتاج . وكان الاملاء[٣] من غير شك أهم أساليب التعليم فى ذلك العصر لقلة الكتب المنسوخة وغلو ثمنها ، ويدل على هذا ما جاء

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٨ — وكان مولد الخلعى بمصر سنة ٤٠٥ هـ ووفاته بها سنة ٤٩٢ هـ .

(٢) متز — الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٢٩٨ .

(٣) وصف جورجى زيدان فى كتابه تاريخ التمدن الاسلامى (ج ٣ ص ٥١) أسلوب الاملاء فقال : « وذلك أن يتكلم المحدث أو الفقيه والتلميذ يكتب على الرق أو القرطاس أو الكاغد فيبدأ المستملى فى أول القائمة بقوله : مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا ، ويذكر التاريخ ثم يورد المملى باسناده سواء كان حديثا أو خبرا وإذا كان فيه غريب يحتاج الى التفسير فسره وأورد أشعار العرب وغيرها بأسانيدها أو الفوائد اللغوية باسناد أو بغير اسناد على ما يختاره . »

بتراجم الكثير من العلماء المصريين. فقد ذكر ياقوت[١] إن الوزير أبا الفضل ابن حنزابة المتوفى سنة ٣٩١ هـ حدث بمصر مجالس املاء خرجها الدارقطنى وعبد الغنى بن سعيد وكانا كاتبيه ومخرجيه وأن عثمان بن سعيد الدانى المتوفى سنة ٤٤٤هـ قرأ القرآن وكتب الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك . كما ذكر المقريزى[٢] أنه فى سنة ٣٦٥هـ جلس على بن النعمان المتوفى سنة ٣٧٤هـ بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعا عظيما . أما عن القراءة والشرح فقد ذكر المقدسى[٣] عند زيارته لمصر فى زمن العزيز الفاطمى ان الرسوم بجوامع مصر إذا سلم الامام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفا يقرأ فيه جزءا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين . وذكر ابن خلكان [٤] فى ترجمته لأبى الحسن على بن ابراهيم الحوفى النحوى المصرى المتوفى سنة ٤٣٠هـ أنه قرئت عليه كثير من كتب الأدب وقال ابن حجر[٥] فى ترجمته للحسين بن على بن النعمان المتوفى سنة ٣٩٥ هـ أنه بينما هو جالس فى سنة ٣٩١ هـ فى الجامع بمصر يقرأ عليه الفقه أقيمت صلاة العصر فدخل فيها . وكان يتخلل الإملاء والقراءة والشرح مناقشات ومناظرات يثيرها الطلبة من آن لآخر .

ولم يكن هناك جدول خاص يعين أوقات الدروس أو نوعها ولكن فى

(١) معجم الأدباء جـ ٧ ص ١٦٩ ، جـ ١٢ ص ١٢٧ .
(٣) الخطط جـ ٤ ص ١٥٦ .
(٣) أحسن التقاسيم ص ٢٠٥ .
(٤) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٣٢ .
(٥) رفع الأصر ص ٥٩٦ .

الغالب كانت تخصص ساعات البكور[١] والذهن فى نشاطه لدراسة العلوم النقلية التى هى عماد الدين كالتفسير والحديث والفقه والنحو والصرف وغيرها . أما بعد الظهر فكان يخصص لدراسة العلوم الأخرى التى تستند إلى العقل . وأما المساء فجعلوه للاستذكار والحوار والتأمل[٢] . على أن ذلك لم يمنع أن تلقى دروس الفقة أو غيرة من العلوم الأخرى فى أى وقت من أوقات النهار . فقد ذكر المقدسى[٣] ان جامع عمرو كان بين العشائين مغتصا بحلق الفقهاء وأئمة المساجد وأهل الأدب والحكمة . وذكر القلقشندى[٤] أن الفقهاء فى الجامع الأزهر كانوا يتحلقون فيه يوم الجمعة بعد الصلاة إلى أن تصلى صلاة العصر وكانوا يتكلمون فى الفقه . وكان الطالب ينتقل من حلقة إلى أخرى تبعا لنشاطه وعدد العلوم التى يرغب فى دراستها .

وكانت مدة الدراسة بالمسجد غير محددة بزمن ، ولم يكن طالب العلم فيه مقيداً بعدد خاص من السنين أو عدد معين من الكتب يتعين عليه قراءتها فكان له أن يترك الدراسة متى شاء . ولكن يغلب على الظن أن الطالب كان يحتاج إلى اثنتى عشرة سنة لكى يتمم منهج الدراسة بالمسجد . فقد روى ياقوت[٥] أن مكى بن أبى طالب رحل إلى مصر سنة ٣٦٧ هـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة واختلف إلى الكثير من المؤدبين والعلماء ثم رجع إلى القيروان

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٢٠٥ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية المعربة المجلد الثانى . العدد الأول ص ٥٨ .

(٣) أحسن التقاسيم ص ٢٠٥ .

(٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٧ — وقد ذكره المقريزى بالخطط ج ٤ ص ١٥٧

(٥) معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٦٧ وما يليها .

سنة ٣٧٩ هـ وقد حفظ القرآن واستظهر القراءات وغيرها من الآداب . بيد أن كثيراً من الطلبة قد شجعهم على طول الاقامة بالمسجد والانقطاع لطلب العلم ما كان يدر عليهم من العطاء ويجرى عليهم من الأرزاق . وكانت تتخلل الدراسة عطلات[١] تختلف طولا وقصرا باختلاف الأعياد والمواسم الرسمية والدينية التى أشرنا إليها عند كلامنا على التعليم بالكتاب .

أما عن الامتحانات التى تعقد فى مدارس اليوم لقياس مقدرة الطالب العلمية أو الدرجات التى تمنحها الجامعات لمن أتم الدراسة فيها فكانت مفقودة فى المساجد ، وكان الشيخ والكتاب هما أساس قياس المستوى العلمى للطالب . فعلى قدر عدد الكتب التى قرأها الطالب على مشايخه وعلى قدر شهرة أساتذته وعدد السنين التى قضاها الطالب فى المسجد يتوقف مستواه العلمى ومقدرته فى العلوم التى تخصص فيها . وكان المدرس يضع خطه على الكتب التى قرأها عليه تلامذته وذلك اعترافاً منه بأن هذا الطالب أو ذاك قد قرأ عليه هذا الكتاب وأتم فهمه على يديه وأنه يستطيع أن يقوم بقراءته وتدريسه متى أراد وأين شاء . وقد ذكر ياقوت[٢] فى ترجمته لمحمد بن أحمد العميدى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ ، وكان يتولى ديوان الإنشاء فى أيام المستنصر الفاطمى

---

(١) لم تفصر المصادر التى بين أيدينا الى أن هناك كانت أيام عطلة دراسية . ولكن مما ذكره المؤرخون عند كلامهم على مواسم الدولة الفاطمية وأعيادها نستطيع أن نرجح أن الدراسة كانت تعطل بالمساجد والمكاتب عند حلول هذه المواسم والأعياد . ولا شك أنه كانت هناك أيضا عطلات طويلة فى شهر رمضان وفى أشهر الصيف حيث يشتد القيظ ويستعصى الدرس على التلاميذ والطلاب كما هو الحال فى الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الأخرى فى الوقت الحاضر .

(٢) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١٢ .

أن له تصانيف فى الأدب منها كتاب « تنقيح البلاغة » ويقع فى عشرة مجلدات ، رآه بدمشق وعليه خط العميدى وقد قرىء عليه فى شعبان سنة ٤٣١ هـ . وذكر ابن خلكان[١] فى ترجمته لأبى الحسن بن على الحوفى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ أنه « اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به » وأنه رأى خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لأربابها بالقراءة كما جرت عادة المشايخ .

فلم تكن الامتحانات والإجازات هى المقاييس التى يقاس بها ما حصله الطالب من العلم ومقدار انتفاعه بما درسه من كتب وإنما كان الأستاذ هو الذى يجيز الطالب ويأذن له بالفتيا أو التدريس أو الرواية أو غير ذلك من المناصب العلمية الأخرى . ويقول القلقشندى[٢] فى هذا الصدد : « أما الإجازة بالفتيا فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس ان يأذن له شيخه فى أن يفتى ويدرس ويكتب له بذلك » . وكان خط الشيخ أو إذنه يختص بكتاب واحد قرأه الطالب وأتقنه عليه ، فلكى يستطيع الطالب دراسة عدة علوم عليه أن يلزم عدة أساتذة يقرأ عليهم كتباً عدة فى علوم مختلفة .

وكان الخلفاء الفاطميون ينيبون عنهم فى رعاية المساجد وإدارتها والانفاق عليها والإشراف على جميع شئونها قاضى القضاة ، وهو من أجل أرباب الوظائف وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً . وقد أمدنا القلقشندى[٣] بعهد صدر

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٣٢ .

(٢) صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٢٢ .

(٣) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٣٨٤ وما يليها .

عن الحاكم بأمر الله الفاطمى للحسين بن على النعمان الذى سبق الإشارة إليه فى مناسبات عدة بقضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب مضافاً إلى ذلك النظر فى دور الضرب والعيار وأمر الجوامع والمساجد جاء به مايلى :

«هذا ما عهد عبد الله ووليه المنصور ابو على الحاكم بأمر الله امير المؤمنين للقاضى حسين بن على بن النعمان حين ولاه الحاكم بالمعزية القاهرة ومصر والاسكندية وأعمالها والحرمين حرسهما الله تعالى وأجناد الشام وأعمال المغرب وإعلاء المنابر وأئمة المساجد الجامعة والقومة عليها والمؤذنين بها وسائر المتصرفين فيها وفى غيرها من المساجد والنظر فى مصالحها جميعا ... وأمره أن يشارف أئمة المساجد والقومة عليها والخطباء بها والمؤذنين فيها وسائر المتصرفين فى مصالحها مشارفة لايدخل معها خلل فى شىء يلزم مثله من تطهير ساحتها وافنيتها والاستبدال بما تبدل من حصرها فى أحيانها وعماراتها بالمصابيح فى اوقاتها والانذار بالصلوات فى ساعاتها واقامتها لاوقاتها وتوفيتها حق ركوعها وسجودها مع الحافظة على رسومها وحدودها من غير اختراع ولا اختلاع لشىء منها (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً) ...

وكتب فى يوم الاحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ هـ »

وقال كذلك ابن حجر[1] عن المسبحى فى ترجمته للقاضى حسين بن على بن النعمان هذا أن الحاكم فوض إليه فى الحكم بجميع المملكة وكذلك الخطابة والامامة بالمساجد الجامعة والنظر عليها وعلى غيرها من المساجد ، وولاه الدعوة وقراءة المجالس بالقصر وكتابتها . فكان هذا القاضى إذن يشرف

---

(١) رفع الأصر ص ٥٩٧ .

على الدعوة بالقصر وبالمساجد ويرعى جميع شئون المساجد بالديار المصرية .

وذكر المقريزى[١] أن قاضى القضاة كان يتولى أمر الجوامع والمشاهد وأن القضاة كانوا إذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة لنظر حصرها وقناديلها وعمارتها وما زال الأمر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية .

٣ — المتعلمون :

كان الطلبة يلتحقون بالمساجد بعد أن يلموا بالقراءة والكتابة ويحفظوا ما تيسر من القرآن الكريم . ولم تكن هناك قواعد موضوعة للانتظام فى الدراسة بل كان أساس ذلك رغبة الطالب نفسه واستعداده الخاص وظروفه ، وهو الذى يختار دروسه ويختار أستاذه ويأتى إلى المسجد متى أراد وينقطع عنه متى شاء[٢] . وكانت السن التى يبدأ عندها الطالب التزود من العلم تختلف كذلك باختلاف المتعلمين أنفسهم ، وإنما يغلب على الظن أن الطالب كان يأتى إلى المسجد فى سن المراهقة أو البلوغ ، فقد ذكر ياقوت[٣] فى ترجمته لمكى بن أبى طالب أنه رحل إلى مصر سنة ٣٦٧هـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة واختلف بها إلى المؤدبين والعلماء .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٨٣ وما يليها .

(٢) ظل هذا النظام متبعا بالأزهر الى زمن متأخر ، فقد جاء بتقرير لجنة اصلاح الجامع الأزهر سنة ١٣٢٨ هـ = سنة ١٩١٠ م (ص ٣) مايلى :— هذا هو الأزهر وذلك هو كل ما كان فيه من النظام يدخله الطالب مختارا بلا قيد ولا شرط ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ويبقى فيه ما شاء أن يقيم » .

(٣) معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٦٨ .

وقد اعتاد طلبة العلم الإقامة على مقربة من الجامع أو المسجد الذى يؤمونه للدراسة ، وحدث فى عهد العزيز الفاطمى أنه أمر ببناء دار بجانب الجامع الأزهر لإقامة الفقهاء بها على نفقة الدولة الفاطمية [١] ، فكان بذلك أول من بنى مسكنا لطلبة الأزهر والمتحلقين فيه ووضع نواة لإنشاء الأروقة [٢] التى ألحقت بالأزهر بعد ذلك والتى أشار إليها المقريزى فى كلامه عن الجامع الأزهر . وسهل هذا النظام من غير شك على الطلبة الغربة ومايلاقونه من متاعب فى سبيل طلب العلم .

وكان الطلاب الذين يدرسون فى هذه المساجد لايؤدون عن تعليمهم أية نفقة ، بل كثيرا ما رتبت لهم ولأساتذتهم إلى جانب هذه الدراسة الحرة أعطية وأرزاق تكفى للانفاق عليهم فى حياتهم الخاصة ، فقد عرفنا ماقرره العزيز من إجراء الأرزاق على فقهاء الجامع الأزهر وماكان من أمر وقفية الحاكم بأمر الله الشهيرة التى صدرت سنة ٤٠٠ هـ بحبس بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن لينفق من ريعها على طلاب العلم بالجامع الأزهر وجامع المقس وراشدة ودار العلوم .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٤٩ .

(٢) قد ألحقت هذه الدار التى أمر العزيز ببنائها بالجامع الأزهر بعد ذلك وصارت من أروقته . والرواق هو عبارة عن منزل يعد لسكن الطلبة ولا سيما الغرباء منهم وقد نشأ نظام الأروقة هذا فى عصر مبكر جدا ذهب المقريزى الى أنه بدأ منذ بناية الأزهر وصار على مر الأيام لكل جهة من جهات القطر المصرى ولكل اقليم من الأقاليم الاسلامية رواق خاص . وقد أطلق على الطلبة اسم المجاورين لسكناهم فى هذه المنازل أو الأروقة التى ألحقت بالأزهر كما تقدم ذكره (راجع الخطط جـ ٤ ص ٥٤ ، دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٢ عدد ١ ص ٥٥ و ٥٦ ، تقرير لجنة اصلاح الجامع الأزهر سنة ١٣٢٨ هـ = سنة ١٩١٠ م ص ٢) .

أضف إلى هذا ما كان يوزع على طلبة العلم من مال النجوى [١] وهى جعل اختيارى قدره ثلاثة دراهم وثلث يؤديه إلى داعى الدعاة من شاء من المستمعين لمجالس الحكمة ، وكان يحصل منها مال كثير ينفق على الدعاة ويؤدى بعضه إلى المساجد المختلفة ليفرق فى فقراء الطلاب كى ييسر لهم سبل العيش، فقد ذكر المقريزى [٢] : « وأطلق حاصل الصناديق التى تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق فى الجوامع الثلاثة الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة . »

ولا ننسى أن نشير فى هذا المقام كذلك إلى نصيب الطلبة مما كان يوزعه أولى الأمر والكبراء من الأطعمة والحلوى فى المساجد المختلفة فى المواسم والأعياد، فقد كان العزيز الفاطمى يقيم سماطا فى الجامع لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان [٣] . وكانت لحوم الأضحية يفرق معظمها على الطلبة بدار العلم وعلى المتصدرين بجوامع القاهرة وكانت تفرق الأطعمة والحلوى فى ليالى الوقود وبوم المولد النبوى الكريم على أرباب الرسوم والقراء والخطباء والمتصدرين بجوامع القاهرة [٤] .

وقد شجعت هذه العناية بطلاب العلم وتوفير أسباب الراحة لهم واجراء الارزاق عليهم اقبال المصريين على التعليم فى ذلك العصر وحثت الكثيرين من أبناء الاقطار الشقيقة على الرحلة إلى مصر ، وساعد على ذلك ما كانت

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٢ و ٣٠٠ و ٣٤٥ .

عليه القاهرة ومصر من الحضارة وما كان فيهما من مشاهير العلماء والمدرسين ، ولأن لغة الممالك الإسلامية واحدة وعاداتها متقاربة . هذا فضلا عن أن طالب العلم كان عليه أن يتحمل النصب والمشقة وترك الاهل والوطن فى سبيل طلب العلوم والمعارف .

رحل إلى مصر فى طلب العلم كثيرون نذكر من بينهم على سبيل المثال على بن الحسين الامدى [١] النحوى فقد خرج إلى مصر وأقام بها منقطعا إلى الوزير أبى الفضل بن حنزابة ومكى بن أبى طالب القيروانى [٢] فقد جاء إلى مصر سنة ٣٦٧هـ واختلف بها الى الكثيرين من المؤدبين والعلماء ، وعثمان بن سعيد الدانى [٣] المقرىء الذى رحل إليها حوالى سنة ٣٩٧ هـ وقرأ بها القرآن وكتب الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك ، ومحمد بن يحيى بن الحذاء التميمى [٤] الاندلسى جاء الى مصر وأخذ بها عن الحافظ عبد الغنى وغيره ثم رجع إلى الأندلس وولى القضاء بها وتوفى سنة ٤١٠هـ . هذا عدا العلماء الذين رحلوا إلى مصر للتعليم بها وسنعرض لهم عند الكلام على المعلمين .

وكان من عادة المتعلمين تعظيم المعلم وتوقيره والامتثال لأمره والاذعان لنصيحته وتعظيم الكتاب والعناية به ومطالعة الدرس بالدقة قبل الحضور

---

(١) معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٦١ .
(٢) المصدر نفسه ج ١٩ ص ١٦٧ .
(٣) المصدر نفسه ج ١٢ ص ١٢٤ وما يليها .
(٤) المصدر نفسه ج ١٩ ص ١٠٨ .

على الشيخ أن أمكن ذلك حتى اذا حضروا إلى استاذهم كانوا على بينة مما سيلقى[١] عليهم .

٤ — المعلمون

أصبح التعليم فى العصر الفاطمى الأول صناعة وفنا اختصت به طبقة خاصة من الناس ، ولكن لم تكن هناك مؤهلات معينة تشترط فيمن يريد أن يتصدر للتدريس بالمساجد . فاذا ماقرأ الطالب عددا كبيرا من الكتب على اساتذته ووضعوا عليها خطهم وأنس من نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلس الى التدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على الراغبين من الطلبة ، فاذا انسوافيه الكفاية العلمية وسعة الاطلاع التفوا حوله وأقبلوا عليه واذا رأوه غير ذلك انصرفوا عنه[٢] على أنه كان يلزم المدرس فى الجوامع وكبار المساجد الاستئذان من الخليفة أو من ينوب عنه حتى يمنع من التدريس من ليس أهلا له كما أشار إلى ذلك كل من الماوردى وابن خلدون[٣] .

وكان الخلفاء احيانا يعينون أساتذة بالجوامع المختلفة كما حدث فى عهد العزيز بالله الفاطمى فقد عين اساتذة بالجامع الأزهر كما تقدم واجرى عليهم الأرزاق . ولم يكن داعى الدعاة ونقباؤه ونوابه الا اساتذة رسميين عينتهم

---

(١) على مبارك — الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٦ .

(٢) على مبارك — الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٦ ، أحمد أمين — ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٨ .

(٣) راجع الأحكام السلطانية ص ١٨٠ ، المقدمة ص ٢٤٤ .

الدوله لتعليم المذهب الفاطمى فى القصر وفى المساجد على اختلافها[١] . وقد أمدنا القلقشندى[٢] بوثيقة هامة هى سجل فاطمى بتعيين مدرس بالاسكندرية فى عهد الظافر الفاطمى[٣] (٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) ، وعلى الرغم من أن تاريخ صدورها لا يرجع إلى العصر الفاطمى الأول الذى نحن بصدده فانها من غير شك تلقى ضوءا ساطعا على التعليم والمعلمين والجلوس فى المساجد للتدريس وما كان من عناية الفاطميين بطلبة العلم وتوفير أسباب الراحة لهم وادرار الأرزاق عليهم . وقد جاء بهذه الوثيقة ما يلى : « . . . ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الاسكندرية — حماه الله تعالى — على غيره من الثغور فانه خليق بعناية تامة لا تزال تنجد عنده وتغور . لأنه من أو فى الحصون والمعاقل والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوى والناقل وهو يشتمل على القراء والفقهاء والمرابطين والصلحاء . وإن طالبى العلم من أهله من الواردين اليه والطارئين عليه متشتتو الشمل متفرقو الجمع — أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلددين ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين وخرجت أوامره بانشاء

---

(١) راجع صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٣٧ ، ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٥٤٨ و ٤٥٩

(٣) لم يذكر القلقشندى تاريخ صدور هذا السجل ولكن يحتمل أن يكون فى عهد الظافر الفاطمى ، فقد صدر هذا السجل المذكور بتعيين أبى الطاهر الذى يغلب على الظن أنه هو أبو الطاهر السلفى الذى أسند اليه ابن السلار وزير الظافر عمادة مدرسة شافعية أنشأها بثغر الاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ ، لعلها هى بعينها المدرسة الحافظية التى جاءت بهذا السجل . وأبو الطاهر هذا هو الحافظ أبو الطاهر أحمد السلفى من أهالى أصبهان وكان حافظا غزير العلم شافعى المذهب رحل إلى الاسكندرية سنة ٥١١ هـ ولما استقر به المقام اختلف اليه كثير من أهالى البلاد النائية يستمعون دروسه (راجع وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١ وما يليها و ص ٣٧٠ وما يليها ، الفاطميون ص ٢٧٧)

المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وإنعاما ومستقرا لهم ومقاما ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلا لكافتهم وسكنا ، فجدد السيد الأجل الأفضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين فى أن يكون ما ينصرف إلى مئونة كل منهم والقيام بأوده وإعانته على ما هو بسبيله وبصدده من عين وغلة مطلقا من ديوانه واسترفد أمير المؤمنين المثوبة فى ذلك فأجابه جريا على عادة إحسانه . واستقرت التقدمة فى هذه المدرسة لك أيها الفقيد الرشيد جمال الفقهاء أبو الطاهر لنفاذك واطلاعك وقوتك فى الفقه واستضلاعك ولأنك الصدر فى علوم الشريعة والحال منها فى المنزلة الرفيعة والمشتغل الذى اجتمع له الأصول والفروع ومن إذا اختلف فى المسائل والنوازل كان اليه فيها الرجوع . هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقى وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصا على عقبه مخفقا . وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين وخرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك شداً لأزرك وتقوية لأمرك ورفعا لذكرك .

فأخلص فى طاعة الله سراً وجهراً فانه تعالى يقول فى كتابه (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) واعتمد التوزيع المطلق عليهم وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدى اجتهادك اليه ويوقفك نظرك عليه . وقرب من ارتضيت طريقته وابعد من أنكرت قضيته فقد وكل ذلك اليك وعدق بك من غير اعتراض فيه عليك ، فمن قرأه أو قرىء عليه من الأمير المظفر والقاضى المكين — أدام الله تأييدهما — وكافة الحماة والمتصرفين والعمال والمستخدمين فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن احتوت عليه من الطلبة وإعزازهم

والاشتمال عليهم والاهتمام بمصالحهم والتوخى على منافعهم وليتل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنه إنشاء الله عز وجل ».

وكان للمعلمين [١] فى المساجد فى العصر الفاطمى الأول مقام اجتماعى رفيع وكرامة واحترام كبير عند عامة القوم وخاصتهم . فقد خرج المعز والحزن يبين عليه يوم وفاة النعمان بن محمد سنة ٣٦٣هـ وصلى عليه وأضجعه فى التابوت بنفسه [٢] ، وعاد العزيز يعقوب بن كلس يوم اعتل علة الوفاة [٣] . وخرج الحاكم للقاء ابن الهيثم يوم وصل الديار المصرية وأمر بإنزاله وإكرامه واحترامه [٤] . أضف إلى ذلك عطف الخلفاء الفاطميين على العلماء فى المواسم والأعياد وإجراء الأرزاق عليهم ودفع المرتبات الدائمة لهم على ما تقدم .

أما عن أثر الشيخ فى التعليم فكان عظيما للغاية وكان طالب العلم لا يفخر بالمسجد الذى يجلس فيه بقدر ما يفخر بالشيخ الذى يحضر عليه . وتراجم العلماء خير دليل على هذا ، فقد ذكر ياقوت [٥] فى صدد ترجمته للقاسم بن محمد ابن مباشر الواسطى أنه رحل إلى مصر واستوطنها وأخذ عند أبو الحسن طاهر

---

(١) بينا فى الباب الثانى مقام معلم الكتاب الاجتماعى والفرق بينه وبين المعلم فى المسجد وبينا كذلك ألقاب المعلمين جميعهم .

(٢) المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ٩٩

(٣) ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٣ ، المقريزى — الخطط ج ٣ ص ١٠

(٤) القفطى — أخبار الحكماء ص ١٦٦ ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٠ و ٩١

(٥) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٥

ابن بابشاذ ، وبه تخرج ، ولم يشر إلى المسجد الذى كان يجلس فيه والذى فيه تخرج كما نفعل ذلك اليوم . وكان مستقبل الطالب فى الواقع يتوقف على مقدار شهرة الشيخ وقدرته فهو الذى كان يهتم بشأنه لا إدارة المسجد الذى يدرس فيه أو يتعلم به .

وقد دفعت هذه العناية بالمعلمين والمتعلمين الكثيرين إلى الرحلة إلى مصر للافادة والتعليم بمساجدها ، فممن رحل اليها ابراهيم بن محمد من أهل الكوفة وكانت وفاته سنة ٤٦٦ هـ [١] ويحيى بن على التبريزى وهو إمام فى النحو وقرأ عليه بمصر ابن بابشاذ النحوى وكانت وفاته سنة ٥٠٢ هـ [٢] ، وكذلك القاسم بن محمد بن مباشر الواسطى الذى تكلمنا عليه من قبل وكانت وفاته بمصر . هذا بالإضافة إلى ابن الهيثم الذى جاء مصر فى عهد الحاكم بأمر الله وتحلق بالجامع الأزهر وغيره من العلماء الذين يضيق المقام عن ذكرهم .

ومن أشهر العلماء الذين تصدروا للتدريس بالجوامع الفاطمية فى هذا العصر أو كانت لهم بها علاقة علمية على بن النعمان (٣٧٤ هـ) والوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس (٣٨٠ هـ) والحسن بن زولاق (٣٨٧ هـ) ومحمد أبو بكر الادفوى (٣٨٨ هـ) ومحمد بن النعمان (٣٨٩ هـ) وعلى بن محمد الشابشتى (٣٩٠ هـ) [٣] وهو

---

(١) معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٠ وما يليها

(٢) المصدر نفسه جـ ٢٠ ص ٢٥ وما يليها

(٣) كان أديبا فاضلا واتصل بخدمة العزيز الفاطمى فولاه خزانة كتبه وكان يقرأ له الكتب ويجالسه ويناديه وله عدة تصانيف منها كتاب الديارات وكتاب مراتب الفقهاء وكتاب مراسلات وديوان شعره وكتاب فى الزهد والمواعظ وغيرها وكانت وفاته فى سنة ٣٩٠ وقيل فى سنة ٣٩٩ هـ وقيل غير ذلك . (راجع معجم الأدباء — جـ ١٨ ص ١٦ و ١٧ ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٣٨) .

صاحب خزانة الكتب بالقصور الفاطمية والوزير أبو جعفر المعروف بابن حنزابه (٣٩١هـ) والحسين بن على بن النعمان (٣٩٥هـ) وابو اسامة جنادة الهروى (٣٩٩هـ) وعبد العزيز بن محمد النعمان (٤٠١هـ) وعبد الغنى بن سعيد (٤٠٩هـ) ومحمد بن عبد الله المسبحى (٤٢٠هـ) وابو الحسن على بن الحوفى (٤٣٠هـ) والحسن بن الهيثم (٤٣٠هـ) ومحمد بن سلامة القضاعى (٤٥٤هـ) وابو الحسن طاهر بن بابشاذ (٤٦٩هـ) وغيرهم وقد اشرنا اليهم جميعا وذكرنا شيئا من تاريخ حياتهم .

وكان من عادة المعلمين فى ذلك العصر الشفقة على المتعلمين وإبداء النصح لهم عن طريق التعريض لا التصريح .

الباب الرابع

التعليم فى دار العلم

تأسيس دار العلم

ولع الخلفاء الفاطميون بنشر المذهب الفاطمى . ففى عهد العزيز بالله جعل الجامع الأزهر مقراً لفقهاء الشيعة وطلابها . وفى عهد الحاكم بأمر الله شاءت الخلافة الفاطمية أن تحقق هذه الغاية على يد معهد دراسى خاص يقوم إلى جانب الجامع الأزهر ، فأنشأت بالقاهرة فى العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ جامعة للدرس ونشر المذهب الشيعى واطلقت عليها دار العلم أو دار الحكمة (١).

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٤ ، الفاطميون ص ١٣٧ ، متز — الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٢٩٤ ، راجع

Stanley Lane— Poole: A Hist. of Egypt in the Middle Ages, p. 130.

وقد ذهب كل من صاحب النجوم الزاهرة (جـ ٤ ص ٢٢٢) وصاحب حسن المحاضرة (جـ ٢ ص ١٥١) إلى أن تأسيس دار العلم كان سنة ٤٠٠ هـ وخالفا بذلك المقريزى وابن حجر وغيرهما من المؤرخين ، فقد فوض الحاكم النظر على دار العلم إلى عبد العزيز بن النعمان الذى ولى القضاء من سنة ٣٩٤ هـ إلى سنة ٣٩٨ هـ مما يدل على أن هذه الدار كانت قد أنشأت قبل سنة ٤٠٠ هـ (راجع الكندى — الولاة والقضاة ص ٤٩٥ ، ابن حجر — رفع الأصرص ٥٩٩ وما يليها .) ودليل آخر على ذلك ماذكره ابن خلكان عن المسبحى (جـ ١ ص ١١٧) من أنه كانت بين عبد الغنى بن سعيد المحدث وأبى الحسن على بن سليمان المقرى النحوى الانطاكى وأبى أسامة جنادة بن محمد القزوينى مؤانسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون فى دار العلم وتجرى بينهم مذاكرات ومفاوضات فى الأدب ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرى الانطاكى فى يوم واحد وهو من ذى القعدة سنة ٣٩٩ هـ وهذا يؤكد أن دار العلم تأسست سنة ٣٩٥ هـ

ولقد أفردت للجامعة الجديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الغربى وعنى بتأثيثها وزخرفتها عنايه فائقة وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وعين لخدمتها قوام وخدام وفراشون . وحملت إليها من خزائن القصور المعمورة بمجموعات عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون مما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك ، وبذلك أصبح لدار العلم مكتبة عظيمة تساعد الطلبة على المراجعة والبحث العلمى . ورصدت للانفاق عليها وعلى أساتذتها وموظفيها أموال[١] ضخمة . وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر[٢] .

وقد أمدنا المقريزى[٣] بميزانية هذا المعهد العلمى وذكر أنه كان ينفق عليه فى كل عام ٢٥٧ دينارا منها .

٩٠	دينارا	ثمن ورق
١٢	«	« الماء
١٢	«	لمرمة الكتب
١٠	«	ثمن الحصر العبدانى
٥	«	« لبود للفرش فى الشتاء
٤	«	« طنافس فى الشتاء .
١	«	لمرمة الستارة

(١) سبق الاشارة إلى وقفية الحاكم بأمر الله الشهيرة التى حبس فيها بعض أملاكه على دار العلم وبعض مساجد القاهرة .

(٢) يحيى الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ١٨٨ ، الخطط ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٣٥ .

٤٨	دينارا	للخازن
١٥	»	للفراش
١٢	»	للناظر فى الورق والحبر والأقلام

وقد ظلت هذه الجامعة مفتوحة الأبواب تقوم بتأدية رسالتها وتنافس الجامع الأزهر فى مهمته العلمية طوال العصر الفاطمى الأول . بيد أن عصر ازدهارها لم يطل فقد اضطربت شئونها وفتر نشاطها منذ منتصف القرن الخامس الهجرى حين اضطربت شئون الخلافة الفاطمية فى أيام المستنصر الفاطمى وسرت الفوضى الى كل شئون الدولة ومرافقها . وفى سنة ٥١٦ هـ نمى إلى الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الآمر بأحكام الله (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ) أن رجلين يعتنقان عقائد الطائفة المعروفة بالبديعية التى يدين أشياعها بمذاهب السنة الثلاثة وهى الشافعى والحنفى والمالكى يترددان على دار العلم وأن كثيرين من الناس أصغوا إليهما واعتنقوا مذهبيهما وأخرجوا عن الصواب . فأمر الأفضل باغلاقها لأن وجودها أصبح لا يتفق مع الغرض الذى أنشئت من أجله وهو بث عقائد المذهب الشيعى ، ولخوفه من اجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب والأخذ بالمذهب النزارى[1] .

---

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٦٦ ، الخطط ج ٢ ص ٣٣٥ وما يليها ، الفاطميون ص ١٣٨ . أما المذهب النزارى فهو القول بأحقية نزار بن المستنصر الفاطمى بالخلافة من بعده — وكان المستنصر قبل وفاته قد شرع فى أخذ البيعة له غير أن وزيره الأفضل ماطله حتى توفى قبل أن يتم مبايعته وبادر بتولية أخيه أبى القاسم احمد ولقبه « المستعلى بالله » فسار نزار (٤٨٧ — ٤٩٥ هـ) إلى الاسكندرية وبايعه أهلها ولكنه قتل بعد قليل وكان =

وبعد وفاة الأفضل أصدر الخليفة الآمر أمرا باعادة دار العلم الى ما كانت عليه واشترط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى الناظر فيها . فأعيدت سنة ٥١٧ هـ بعد أن نقلت الى دار جديدة بجوار القصر الكبير الشرقى وأقيم فيها متصدرون برسم قراءة القرآن ولم تزل عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية[١] . وعندما أفضت الحكومة الى صلاح الدين بن أيوب غير نظمها وجعلها مدرسة للشافعية وذلك لمكافحة مذهب الشيعة ولأنه يريد أن يفتح المدارس التى تؤيد مذهب السنة[٢] .

التعليم فى دار العلم

يقول متز فى كتابه « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى »[٣] إن مجرد اسم دار العلم يدل على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة ، وان دار الكتب قديما كانت تسمى خزانة الحكمة وهى خزانة كتب ليس غير أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم وخزانة الكتب جزء منها وتزيد على دور الكتب بالتعليم وباجراء الأرزاق على من يلازمها . ودار العلم التى نحن بصددها ينطبق عليها هذا القول فقد كانت جامعة حقه تضم عدة

= من أثر تدخل الأفضل فى تولية المستعلى أن قام النزاع بين الاسماعيلية أنصار الفاطميين فى مصر ، فذهب فريق منهم إلى أحقية المستعلى بالخلافة كما أصبح فريق آخر يعتقد فى أحقية أخيه نزار . (راجع صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٦ وما يليها ، الخطط ج ٣ ص ٢٧٦ وما يليها ، النظم الاسلامية ص ١٢٢)

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ ، الخطط ج ٢ ص ٣١٣ و ٣٣٦ .

(٢) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١١

(٣) ج ١ ص ٢٩٢ و ٢٩٤ .

حلقات دينية وأدبية وعلمية وجلس فيها القراء والفقهاء وأصحاب النحو واللغة والمنجمون والأطباء والفلاسفة[١] . وكانت الى جانب ذلك تضم مكتبة عظيمة حوت الكثير من الكتب فى سائر العلوم والآداب من فقه ونحو ولغة وكيمياء وطب .

كانت دار العلم إذن مكتبة وجامعة ولعل هذا هو السبب فى تسميتها بدار الحكمة وبدار العلم[٢] ، فقد جمعت بين ما كانت تقوم به خزائن الحكمة كدور للكتب وما كانت تقوم به دور العلم من تعليم . وساعدت الطلبة والناس على اختلاف طبقاتهم على المطالعة والنسخ والتأليف وزودت من أجل ذلك بالحبر والمحابر والأقلام والورق وقامت الى جانب ذلك بعملها الرئيسى ووظيفتها الثانية وهى التعليم والتثقيف ، وقد أمدنا كثير من مؤرخى الدولة الفاطمية بوصف ضاف لما كانت تقوم به دار العلم كمكتبة وكمعهد للتعليم . فقال يحيى بن سعيد الانطاكى فى تاريخه[٣] : « وأورد (الحاكم) بالقاهرة دار علم وحمل إليها من خزائنه كتبا كثيرة تحتوى على سائر العلوم والآداب وأقر فيها خزانا وبوابين وأجرى عليهم الأرزاق من ماله وأباح سائر الناس كافة نسخ ما أحبوا وأرادوا قراءته ورتب فيها أيضا قوما يدرسون الناس العلوم » .

ومن قول المقريزى[٤] : « وحصل فى هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها إليها من سائر العلوم

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٤ ، جـ ٤ ص ١٥٨ .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٤ و ٣٣٥ ، جـ ٤ ص ٥٠ و ١٥٨ .

(٣) جـ ٢ ص ١٨٨ .

(٤) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٤ .

والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر » .

أما ابن حجر[١] فقد قال فى ترجمته لعبد العزيز بن محمد بن النعمان : «وفى ولايته فوض الحاكم إليه النظر على دار العلم التى أنشأها وكان الحاكم بناها وأتقنها وجعل فيها من كتب العلوم شيئا كثيرا وأباحها للفقهاء وأن يجلسوا فيها بحسب اختلاف أغراضهم من نسخ ومطالعة وقراءة » .

وقد اتخذت هذه الجامعة فى البداية طابعا حرا فدعى إليها الأساتذة الذين يعتنقون المذهبين الشيعى والسنى وقرأت بها فضائل الصحابة ، ولكن أبعد عنها الأساتذة السنيون بعد قليل من الزمن وقتل[٢] بعضهم ، وتحقق بذلك الغرض الأول الذى أنشئت من أجله وهو أن تكون موطنا[٣] يقوم فيه داعى الدعاة ونقباؤه ونوابه ببث الدعوة الفاطمية بطريقة علمية منظمة تعتمد على المنطق وتقوم على النظريات الفلسفية[٤] لتكون أبعد أثرا فى غزو الأذهان والعقائد من مجالس الحكمة التى كان يعقدها هؤلاء الدعاة

---

(١) رفع الاصر ص ٦٠٠

(٢) راجع النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥١ .

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ ، الخطط ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٦ راجع :
Santley Lane- Poole: a His. of Egypt in the Middle Ages, p. 204.

فى القصر أو فى الجامع الأزهر . وأسندت نظارتها والاشراف على سير الدراسة بها الى داعى الدعاة[١] نفسه حتى يستطيع بذلك أن يحقق هذه الغاية ويكون المسئول الأول عنها أمام الحاكم بأمر الله أو من يتبعه من الخلفاء الفاطميين .

أما عن الحلقات الدراسية التى كانت بدار العلم فقد كانت كثيرة مختلفة ، وكان الطلبة يتلقون الى جانب علوم آل البيت وفقه الشيعة الكثير من علوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم والفلسفة والمنطق وغير ذلك[٢] . وهكذا اختلفت مناهج التعليم فى هذه الجامعة عن مناهج التعليم بالمساجد الفاطمية المعاصرة ، إذ كانت تغلب عليها الصبغة العلمية بينما كانت تغلب على مناهج المساجد الصبغة الدينية ، وكان بين أساتذة دار العلم كثير من أهل الحساب والمنطق والطب والنجامة . ولعل السبب فى ذلك أن الحاكم بأمر الله نفسه صاحب هذه الجامعة ومنشئها كان يميل كل الميل الى علوم الحكمة[٣] . ولذلك قرب رجالها والقائمين بأمر تعليمها من أمثال ابن يونس المنجم وابن الهيثم وعلى بن رضوان وغيرهم كما سيأتى عند كلامنا على معلمى دار العلم . فمنهج هذه الجامعة إذن يكمل منهج المساجد ويساعد على تخريج طائفة من الأطباء والفلاسفة يعملون الى جانب الفقهاء الذين يتخرجون فى المساجد ولا يخفى ما كان فى ذلك من الفائدة العظمى للمصريين فى ذلك العصر .

---

(١) فوض الحاكم بأمر الله النظر على دار العلم إلى عبد العزيز بن محمد بن النعمان وكان قد قلد وظيفة القضاء والدعوة (راجع صبح الأعشى ج٣ ص٣٦٧ ، الخطط ج ٤ ص ٦٩ ، رفع الاصر ص ٤٠٠)

(٢) الخطط ج ٢ ص ٣٣٤ و٣٣٥، رفع الأصر ص ٦١٠ ، راجع
O'Leary: a short his. of the Fatimid Khalifate, p. 139.

(٣) القفطى — أخبار الحكماء ص١٦٦، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٠

ولكن على الرغم مما لاحظناه من الفرق بين مناهج الدرس فى دار العلم والمساجد فان أساليب التعليم ونظمه كانت متشابهة فى هذه المعاهد جميعها . فكان أساسها الحلقة ووسيلة التعليم فيها الاملاء أو الشرح أو المناظرة والمناقشة ، وكان يؤمها الطلبة فى أية سن يشاؤون وينصرفون عنها فى أى وقت يودون ، ولم تكن هناك مقاييس علمية أو اختبارات سنوية أو درجات جامعية بل كان الطلبة يتمتعون كاخوانهم فى المساجد بالتعليم الحر على نفقة الدولة وباجراء الارزاق عليهم فى جميع الاوقات وعلى الأخص فى المواسم والاعياد[1] . ولم تكن دار العلم مجهزة بمعدات دراسية تفوق ما فى المساجد فقد كان جلوس الطلبة على الأرض متربعين حول أستاذهم ، وعلى الجملة فلم تختلف دار العلم عن المسجد كمعهد للتعليم إلا فى ناحيتين هامتين وهما أنها كانت لها مكتبة عظيمة لا تدانيها إلا مكتبة القصر ذاته وهذه كانت خاصة بالخلفاء وبعيدة عن عامة الشعب ، وكانت مكاتب المساجد تقل عنها أهمية فلم يكن لها ما لدار العلم من ذلك العدد الضخم من الكتب فى سائر العلوم والفنون من دينية وعقلية .

والناحية الأخرى أنها كانت مدرسة عليا لتعليم الطب والفلسفة والمنطق فى حرية كاملة لا تتقيد بما للمسجد من آداب أو حرمة دينية .

ومهما يكن من شىء فقد كان من أثر دعاية الفاطميين لهذه الجامعة الحاكمية وما أغدق على الأساتذة والطلاب فيها من أرزاق دائمة وما أعدوه لهم من حبر وورق وما حمل اليها من مؤلفات نادرة — أن نمت وازدهرت وهرع اليها طلاب الفلسفة والحكمة فى مصر وفى غيرها من البلدان الاسلامية

(١) الخطط جـ ٢ ص ٣٠٠

واجتذبت الكثيرين من محبي المناظرة والبحث الحر فى المذاهب على اختلافها ، وظلت مدة طويلة تخرج الأطباء والفلاسفة والفقهاء وعلماء اللغة وتقوم إلى جانب مجالس الحكمة بالقصر وبالجامع الازهر أو غيره من المساجد يتلقين الدعوة الفاطمية بطريقة تمتزج فيها الآراء الفلسفية بالمبادىء المذهبية لطبقة مستنيرة من الشعب . وفى سنة ٥١٦ هـ أمر الأفضل كما تقدم باغلاقها لأن دراستها الفلسفية أفسدت عقول جماعة من الناس ثم أعيد فتحها بعد عام تقريبا بعد أن تم نقلها إلى مكان جديد ، وأمر بأن يكون متوليها رجلا دينيا ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن[١] . ولما جاء صلاح الدين غير نظامها وبذلك قضى على مدرسة الحكمة والفلسفة والرياضيات والطب والعلوم الطبيعية بمصر واستعاض عنها بمدارسه التى كانت لا تتصل بهذه العلوم بسبب وكانت تدرس فيها العلوم النقلية فقط .

المعلمون بدار العلم

كان داعى الدعاة هو كبير المعلمين بدار العلم والمشرف على أساتذتها الذين يعملون على بث الدعوة الفاطمية وتلقينها للطلبة وكان يلى قاضى القضاة فى الرتبة والاعتبار وهو يتولى قراءة مذاهب آل البيت والاشراف على تنظيم الدعوة الفاطمية وأخذ العهود على الداخلين فيها وينتخب من بين كبار العلماء المتضلعين فى فقه الشيعة وفى أسرار الدعوة[٢] . وقد أوضح القلقشندى

---

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ .

(٢) سنعرض لمراتب الدعوة الفاطمية وسريتها فى الباب القادم .

والمقريزى عمل الداعى والاساتذة المساعدين له ، فقال القلقشندى[١] : « داعى الدعاة — وكان عندهم يلى قاضى القضاء فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار العلم ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم » .

أما المقريزى فقد قال[٢] : « وأما داعى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ، ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم ، وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نواب كنواب الحكم فى سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة » .

وممن أسندت اليه نظارة دار العلم وقام بالدراسة فيها عبد العزيز بن محمد ابن النعمان وتبعه فى نظارتها غيره من الدعاة حتى نهاية الدولة الفاطمية[٣] .

ومن معلمى دار العلم الحافظ عبد الغنى بن سعيد المتوفى سنة ٤٠٩ هـ[٤] وكان إمام زمانه فى علم الحديث وحفظه ، وصاحب كتاب « المؤتلف والمختلف » وكان معه جماعة آخرون لاشك أنهم كانوا يقومون بتعليم علوم القرآن والفقه والنحو واللغة فى المساجد الفاطمية وفى دار العلم وذلك لاتصال أساتذة

---

(١) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٨٧ .
(٢) الخطط جـ ٢ ص ٢٢٦
(٣) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٧ ، رفع الأصر ص ٦٠٠
(٤) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٠٥ ، الخطط جـ ٢ ص ٣٣٥ .

المعاهد المختلفة بعضهم ببعض كما تقدم . ونذكر منهم على سبيل المثال أبا أسامة جنادة بن محمد اللغوى المتوفى سنة ٣٩٩ هـ رئيس المؤذنين بجامع عمرو والأستاذ به[١] وأبا الحسن على بن سليمان المقرى النحوى الانطاكى ، وكانت بين عبد الغنى بن سعيد وهذين الأخرين مؤانسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون بهذه الجامعة وتجرى بينهم مذاكرات ومفاوضات فى الآداب ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم أبا أسامة والأنطاكى المذكورين سنة ٣٩٩ هـ واستتر الحافظ عبد الغنى خوفا من القتل[٢].

وقام بالتعليم فى دار الحكمة إلى جانب هؤلاء الدعاة والفقهاء والنحاة واللغويين كثير من المنجمين والرياضيين والفلاسفة والأطباء المعاصرين كعلى بن يونس المنجم المتوفى سنة ٣٩٩هـ وكان عالما فى علم النجوم والحساب وألف للحاكم الزيج الكبير المعروف بالحاكمى[٣] . وكذلك أبو على الحسن ابن الهيثم وكان عالما فى الرياضة والطبيعيات وقام بالتعليم فى الجامع الأزهر كما مر بنا . إذ لابد أن يكون لابن يونس وابن الهيثم وهما المختصان بالحاكم والمقربان اليه اتصال بجامعته التى أنشأها لتكون معهد الدراسة علوم النجامة والحكمة وكلاهما نابغة فيها — على الرغم من أن أصحاب التراجم من المؤرخين لم يذكروا ما يؤيد هذا .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٦٣ .

(٢) معجم الأدباء جـ ٧ ص ٢٠٩ وما يليها ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٧ .

(٣) القفطى — أخبار الحكماء ص ١٣١ و ٢٣٠ ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٩ ، كشف الظنون جـ ١ ص ٤٦١ .

ومن أطباء هذا العصر الذى نحن بصدده ممن يحتمل أن يكونوا قد علموا الطب والفلسفة فى دار العلم والمارستانات على بن سليمان وكان طبيبا متقناً للحكمة والعلوم الرياضية متميزا فى صناعة الطب وأحكام النجوم وقد عاصر العزيز والحاكم ولحق أيام الظاهر ، وله تصانيف عديدة منها كتاب « الحاوى فى الطب » وكتاب « الأمثلة والتجارب » وكتاب « الخواص الطبية المنتزعة من كتب ابقراط وجالينوس وغيرهما » وكتاب « التعاليق الفلسفية » وغيرها(١)

ومن هؤلاء الأطباء أيضا أبو الحسن على بن رضوان كبير أطباء الحاكم بأمر الله وكان مولده ومنشؤه بمصر وبها تعلم الطب والفلسفة . وكان يتكسب بصناعة القضايا بالنجوم وبصناعة الطب وبالتعليم وله شهرة عظيمة بالطب . وكان ابن رضوان كثير الرد على معاصريه من الأطباء وغيرهم وكذلك على كثير ممن تقدمه ، ولابن بطلان (٢) الطبيب البغدادى معه مجالس ومحاورات ومناظرات ، فقد دخل مصر سنة ٤٤١ هـ وخرج عنها مغضبا لما جرى بينه وبين ابن رضوان المصرى من المناظرة . ومما يذكر عن ابن رضوان أنه لم يكن له فى صناعة الطب معلم ينتسب إليه وله كتاب فى ذلك يتضمن أن تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين ، وقد رد عليه ابن بطلان البغدادى هذا الرأى وغيره فى كتاب مفرد وذكر فصلا فى العلل التى لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف . ولابن رضوان تصانيف عديدة نذكر منها كتاب « الأصول فى الطب » و « رسالة فى علاج الجذام » و « مقالة

(١) ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٠

(٢) القفطى — أخبار الحكماء ص ٢٩٤ وما يليها ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٤١ وما يليها .

فى مذهب ابقراط فى تعليم الطب وترتيب كتب جالينوس فى الطب ،ومقالة فى فضيلة الفلسفة ، وكان كثير الاطلاع على كتب الفلاسفة القدماء عارفا بها . ولم يزل ابن رضوان بمصر متصدراً لافادة علوم الطب والفلسفة إلى أن توفى سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٣هـ فى خلافة المستنصر الفاطمى(١) .

ومن هؤلاء أيضا الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها . أخذ علوم الهيئة والعلوم الرياضية عن الحسن ابن الهيثم واشتغل بصناعة الطب ولازم على بن رضوان . وله تصانيف جليلة فى المنطق وكتب سيرة المستنصر فى ثلاثة مجلدات وقرأ عليه تلاميذ كثيرون وكانت له خزائن كتب عظيمة وعاش فى أيام الظاهر والمستنصر(٢) .

وكان الحاكم يعنى كثيراً بمعلمى هذه الجامعة فقد ذكر المقريزى(٣) انه فى سنة ٤٠٣ هـ . أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله ، وكانت كل طائفة تحضر على إنفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ، هذا بالإضافة إلى ما كان من إجراء الأرزاق عليهم فى عهد الحاكم ومن تبعه من الخلفاء الفاطميين .

وهكذا أستطاعت هذه الجامعة المصرية الفاطمية بفضل هؤلاء المعلمين وبفضل أساليبها الفلسفية وماكان لها من مناهج منوعة جمعت الكثير من

(١) القفطى — أخبار الحكماء ص ٤٤٣ وما يليها ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٩٩ وما يليها

(٢) معجم الأدباء جـ ١٧ ص ٧٧ ، أخبار الحكماء ص ٢٦٩ ، طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٩٨ وما يليها .

(٣) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٥ .

علوم الشيعة والمذاهب الأخرى وعلوم اللغة والنحو والطب والفلك والرياضة والفلسفة والمنطق ـ أن تتبوأ مركز الزعامة فى الدراسات العلمية والفقهية الممتازة وأن تجتذب كثيراً من أعلام المشرق كالشاعر والرحالة الفارسى ناصرى خسرو والفيلسوف الحسن بن الصباح اللذين وفدا على مصر فى زمن المستنصر الفاطمى وانتظما حينا بين تلاميذ دار العلوم وتفقها فى الدعوة الفاطمية على يد أساتذتها وعلى رأسهم داعى الدعاة . وقد كان لمنهج هذه الجامعة أكبر الأثر فيهما بعد ذلك فقد تحولا داعيين للفاطميين خارج الديار المصرية .

موازنة بين دار العلم وغيرها من معاهد التعليم فى الشرق والغرب

كان انشاء دار العلم فى عهد الحاكم بأمر الله خطوة جريئة فى تاريخ تطور المدرسة فقد اتخذت لنفسها مكانا مستقلا خاصا بالدرس بعيداً عن المسجد الذى أعد لعبادة الله سبحانه وتعالى . وكان منهجها علمياً أدبياً كاملا جمع بين دراسة علوم الدين والدنيا وأعد المتعلم لهذه الحياة والحياة الأخرى ، ولم تغلب عليها الناحية الدينية كما كان الحال بالمسجد الذى قام فيه رجال الدين بالتعليم . ولقد كانت دار العلم قريبة الشبه ببيت الحكمة الذى سبقها إلى الوجود بالشرق زمن الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) والمدرسة النظامية التى كان انشاؤها على يد نظام الملك سنة ٤٥٧هـ وكذلك الجامعات الأوربية التى قامت فى القرن الثانى عشر الميلادى .

أشرنا فيما تقدم إلى ماقاله متز فى الفرق بين خزائن الحكمة ودور العلم وبينا أن المؤسسات القديمة كانت دور كتب ليس غير ، أما دور العلم فكانت معاهد للتعليم ودوراً للكتب معاً . ويظهر هذا الفرق جليا إذا ماقارنا بين دار العلم الفاطمية وبيت الحكمة العباسى الذى على مثاله[١] انشأ الحاكم هذه الجامعة وأطلق عليها دار العلم أو دار الحكمة أسوة ببيت الحكمة المذكور . ولكنه على الرغم من هذا الاختلاف فان هاتين المؤسستين يتشابهان فى عدة أوجه فكل منهما كانت مكتبة عظيمة حوت الكثير من كتب الطب والرياضيات والمنطق والفلسفة واللغة والنحو والفقه ، واختلف اليهما العلماء والأدباء للنسخ والترجمة والتأليف والمطالعة والدرس . وكانت بينهما قرابة فى التسمية فجامعة الحاكم هى دار الحكمة وهذه الخزانة العباسية هى بيت الحكمة وكلتا التسميتين تدل على ما كان فيهما من كتب الفلسفة والحكمة[٢] التى عنى بنقلها عن فلاسفة اليونان وغيرهم . هذا بالاضافة إلى انهما كانا عاملين قويين فى نشر الثقافة بين أفراد الشعب وباعثا هاما على دراسة علوم الفلسفة والرياضيات والطب والفلك وما وراء الطبيعة وغيرها من العلوم العقلية التى لم يكن لها نصيب كبير من الدرس فى المساجد ، فبينما كانت دار العلم معهداً يؤمه الطلبة لتعلم هذه المواد كان بيت الحكمة يؤمه الأساتذة للنسخ والتجليد[٣] ونقل التآليف العلمية اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية إلى العربية[٤].

---

(١) الفاطميون ص ١٣٧ ، طوطح — التربية عند العرب ص ٢٨

(٢) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٤

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٥

(٤) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٧

أما المدرسة النظامية (١) فقد أنشئت فى الشرق لمكافحة المذهب الشيعى وتأييد المذهب السنى واستخدم فيها عدد وافر من العلماء والفقهاء وأجرى عليهم وعلى الطلبة الأرزاق . وهذه المدرسة إذن تشبه دار العلم وان كان الغرض من تأسيسها القضاء على الفاطميين ، فكلا المعهدين يرمى إلى ترويج سياسة مذهبية عن طريق تعليم الطبقة المستنيرة من الشعب وكان عامل المال فيهما من غير شك داعيا لنجاحهما فقد أوقف الحاكم ونظام الملك الأوقاف على هذين المعهدين وعهدا بالتعليم فيهما إلى أساتذة مختارين موثوق فيهم . فهما معهدان رسميان أميريان لهما ميزانيتان ثابتتان وأنشئا من أجل التعليم، وهما على الرغم

---

(١) أجمع المؤرخون المسلمون تقريبا على أن أول من بنى المدارس فى الاسلام نظام الملك الطوسى وزير السلطان ملك شاه السلجوقى فى أواسط القرن الخامس للهجرة . ولكن يغلب على الظن أن هناك عدة مدارس أنشئت فى بلاد إسلامية مختلفة قبل زمن نظام الملك كالمدرسة البيهقية (نسبة إلى البيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ) بنيسابور عاصمة خراسان والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضا وهى التى بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى الشهير وغيرهما . فهذه المدارس جميعها كان تأسيسها قبل المدرسة النظامية ببغداد .

ولكن السبب فى اشتهار أسبقية نظام الملك فى انشاء المدارس الإسلامية أنه أول من بنى مدرسة كبرى فى بغداد وجعل التعليم فيها مجانا وفرض لتلاميذها الأرزاق ويرجع السبب فى إنشائها إلى استرضاء الشعب بنصر التعليم الدينى وأجراء الأرزاق على الأساتذة والتلاميذ ولتأييد المذهب السنى والقضاء على مذهب الشيعة . ومن المرجح أنه لم تنشأ بمصر مثل هذه المدارس النظامية قبل زمن صلاح الدين بن أيوب وان كنت أرى أن المدرسة الشافعية التى أنشأها ابن السلار سنة ٥٤٦ هـ فى الاسكندرية والتى أشرنا اليها فى الباب السابق هى من هذا النوع « النظامى » المناوىء لمذهب الشيعة (راجع ابن جبير — الرحلة ص ٢٣٠ و٢٣١ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٤٣ وما يليها ، الخطط ج ٤ ص١٩٢ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٩ وما يليها ، تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠١ ، طوطح — التربية عند العرب ص ١٧ وما يليها)

من اختلاف الغرض من انشائهما واختلاف مناهج[١] الدرس فيهما قد استطاعتا أن تخطوا بالتعليم خطوة عظيمة وتقرباه من المدرسة الحديثة التى تؤسسها الدولة وتشرف عليها وتعين لها الأساتذة وتعنى بطلبتها وتقوم بالانفاق الدائم عليها .

وتشبه دار العلم كذلك الجامعات الأوروبية فى نشأتها فقدعرفنا أن التعليم فى أوروبا كان فى أول الأمر يرتبط بالدين ارتباطا وثيقا وكانت الأديرة مراكز الدراسة بها والاحبار هم قادة الفكر ، بيد أنه لما تقدمت الحركة الفكرية وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئاً فشيئاً ولم تلبث الجامعة الأوروبية أن نشأت بعيدة عن الأديرة وأمكنة العبادة كما كان الحال فى تأسيس دار العلم . وكان خريج الجامعة الفاطمية لا يقل من ناحية مستواه العلمى وثقافته المدنية عن خريج الجامعة الأوروبية وذلك للمناهج العالية التى كانت تدرس فيها والتى كانت تعد الطالب لأن يكون طبيبا أو فيلسوفا أو فقيها وتساعده بذلك على كسب قوته وإرضاء الله سبحانه وتعالى . فهى جامعة بمعنى الكلمة لا تختلف عن جامعات اليوم وإن اختلفت وسائل الدراسة وطرق التعليم ونظمه فى كل . وصفوة القول أن الحاكم استطاع أن يكفر عن سيئاته العديدة وسياسته الدموية الممقوتة بانشاء هذه الجامعة التى فاقت الكثير من معاهد التعليم المعاصرة كما

---

(١) بينما كانت تدرس فى دار العلم العلوم العقلية والنقلية من فلك ورياضيات وطب وفلسفة وفقه ونحو ولغة نجد المدرجة النظامية ترجع إلى الوراء قليلا فتهمل العلوم الطبيعية على فائدتها وتعلم العلوم الشرعية واللغوية ليس غير . (راجع التربية عند العرب ص ٧٦ وما يليها) .

فاقت غيرها من معاهد التعليم السابقة واللاحقة .

رأينا فى نظم التعليم فى المساجد ودار العلم

وقفنا فى البابين الثالث والرابع على نظم التعليم فى المساجد ودار العلم وعرفنا أنها تختلف كل الاختلاف عن نظم التعليم فى المدارس الحديثة وذلك لأنها ترجع إلى عصور بعيدة لم يكن قد تقدم فيها العلم أو نظم الدراسة تقدما عظيما أو عرف الإنسان فن الطباعة والكهرباء أو غير ذلك من المخترعات الحديثة التى خطت به سريعا نحو المدنية والحضارة وغيرت كثيراً من أساليب العلم والتعليم ، بيد أن هذه النظم على قدمها لها محاسنها ولها عيوبها شأن كل شىء فى الحياة .

فمن عيوب نظم التعليم فى ذلك العصر الذى نحن بصدده سيطرة العلوم النقلية وهى علوم الدين واللغة على المناهج الدراسيه . لأنه وان كان للعلوم العقلية من طب ورياضيات مقام فى هذه المعاهد فانها لم تكن لها المقام الاول اللهم الا فى دار العلم كما تقدم ، اما فيما عداها من المعاهد الاخرى فكان نصيب هذه العلوم العقلية الاهمال فى غالب الأحيان على الرغم من فوائدها العقلية والحيوية العظيمة . هذا فضلا عن المبالغة فى العناية بعلوم اللسان العربى والمناقشة فى الالفاظ مع التوسع الزائد فى ذلك ويرجع السبب فى هذا أن التعليم كان بالمسجد وهو بيت الله سبحانه وتعالى وكان القائمون به هم رجال الدين انفسهم الذين يرمون بالتعليم إلى ارضاء الله عز وجل واعداد النشء للحياة الأخرى ويرون أن فى ابعاد علوم الفلسفة وغيرها سلامة وخيرا

كبيراً فهى على حد ظنهم تشوش الأفكار وتبعث على الريب فى المعتقدات الدينية (١).

ومن المآخذ على هذه النظم التعليمية كذلك الاعتماد على الذاكرة وكثرة الحفظ فالعلوم النقلية على اختلافها تتوقف فى تعلمها على الحفظ ، هذا بالاضافة إلى أن وسائط التعليم فى ذلك العصر كانت تحتم الاعتماد على الذاكرة إذ لم يكن لدى الطالب الكثير من المطبوعات كالموسوعات والمصورات الجغرافية والقواميس اللغوية والجداول التاريخية وغيرها من التأليف الكثيرة التى تزخر بها اليوم من عناء الاستظهار والاعتماد على الذاكرة إلى حد قد يقلل من قوة التفكير والابتكار . وقد اشرت فى الباب الثانى عند الكلام على التعليم بالكتاب إلى مضار الاعتماد على الذاكرة وكثرة الحفظ التى تضعف عند الطالب قوة التجديد ، على أنه مما يدعو إلى السرور ان اسلوب التعليم فى هذه المعاهد كان يتضمن الكثير من المناقشة والمناظرة الامر الذى يعوض على الطالب ماخسره بكثرة الحفظ .

ومما يؤخذ على هذه النظم عدم وجود حواجز تفصل بين مراحل التعليم المختلفة أوقوانين تحدد السن التى يبدأ عندها الطالب الدراسة بالمسجد أو بدار العلم أو مقاييس علمية تبين مستوى الطالب الدراسى ومقدار ماحصل من العلوم (٢)، حتى لقد أثقل هذا النظام الحركاهل المدرس وتعارض مع أبسط قواعد

---

(١) راجع تقرير لجنة إصلاح الأزهر ص ٣٨ ، مصطفى بيرم — الجامع الأزهر ص ٧٢

(٢) لم تستحدث الامتحانات فى الجامع الأزهر إلا فى سنة ١٢٨٨ هـ عندما تصدر للتدريس من لا أهلية له فقد كان التصدر للتدريس حراً لا يتقيد بقانون خاص أو امتحان معين (راجع مصطفى بيرم — الجامع الأزهر ص ٤٣ وما يليها) .

التعليم وأصول التربية إذ لاريب أن اختلاف أعمار التلاميذ يتبعه اختلاف فى مداركهم ومقدار تحصيلهم فكيف يتسنى للمدرس أن يفيد مثل هذا الجمع المتحلق حوله وقد اختلفت مداركه وتفاوتت أعماره فى حين أن تقارب أعمار الطلبة فى الدرس الواحد من شأنه أن يسهل على المدرس افادتهم بطريقة واحدة منتظمة من غير ماعناء أو جهد .

هذا فضلا على أن مدة الدراسة بهذه المعاهد لم تكن محددة بزمن فكان الطلبة يتخذونها ملجأ لهم يقضون فيها أعمارهم وساعد على هذا اعطاؤهم الرواتب الشهرية واجراء الارزاق عليهم ، فكانت هذه المنح على الرغم من أنها أعظم فضائل هذه النظم التعليمية سيئة من سيئاتها من شأنها ان تشجع عددا ليس بقليل على الالتجاء إلى هذه المعاهد لالطلب العلم بل للتعيش والارتزاق . وكان أولو الأمر أنفسهم لايرون عيبا فى هـــذا فقد أوقفوا الأوقاف وأجروا الارزاق لاتخاذ هؤلاء العلماء والطلبة أداة لنشر الدعوة لهم ولمذهبهم مما أضر ببعض هؤلاء الطلبة وقلل من اعتمادهم على أنفسهم فى طلب الرزق وكسب العيش .

بيد أنه على الرغم من هذه العيوب وتلك المآخذ التى يرجع أغلبها إلى ما كان سائدا فى هذه العصور من سيطرة رجال الدين وماكان من سياسة الفاطميين المذهبية — فان هذه النظم بعينها لها محاسن كثيرة إذ حثت الكثيرين على طلب العلم واجتذبت هذه المعاهد عددا كبيرا من التلاميذ لان الشعور الدينى كان قويا متسلطا على النفوس والعقول . وكان التفقة فى الدين ارضاء لهذا الشعور وكان التلاميذ المترددين على هذه المعاهد احرارا فى الذهاب

إليها أو الانقطاع عنها ذلك لانها لم تكن لها لوائح تحدد مناهج الدراسة والفرق الدراسية ومدة الدراسة كما تقدم ، فالتعليم فى هذه المعاهد كان يتمتع بحرية مطلقة وكانت هذه المساجد ودار العلم مباحة الورود لجميع الطبقات ، وكان لهذه الحرية المطلقة الفضل فى تكوين اعلام المفكرين ونبوغ الكثيرين من العلماء والادباء .

وساعدت هذه النظم التعليمية الحرة على التخصص فى العلوم التى يميل إليها الطالب فقد كان حرا يحضر الحلقة التى يراها تتفق وميوله الخاصة ويقبل على الوان الدراسة التى تهفو إليها نفسه وعلى الاساتذة الذين يميل إليهم ، فهو يجلس إلى هذا الاستاذ أو ذاك ويقرأ هذا الكتاب أو ذاك وهذا بعينه ماتطالب به التربية الحديثة . إذ من العبث ان يدرس الإنسان الطب وهو لايميل إليه أو يقبل على دراسة الآداب وهو لايستطيع تذوق الشعر فهذه النظم الفاطمية قريبة الشبه بنظم الجامعات الحديثة التى تشجع على التخصص فى العلم وتساعد على النبوغ والانتاج .

أما الرحلة إلى الأقطار المختلفة للتزود من العلم فكانت ميزة عظيمة لهذه النظم وحسنة كبيرة من حسناتها ، فالرحلة والسفر من أفضل العوامل لنزع الغرور من نفوس الطلبة إذ كثيراً ماظن الطالب نفسه نابغة فى بلده وبين عشيرته حتى إذا مارحل إلى بلد آخر واتصل بأهل العلم فيه عرف مقدار نفسه . والرحلة فضلا عن هذا توسع المدارك وتساعد على التعاون بين علماء الدول المختلفة وقد بين ابن خلدون فى مقدمته [١] وحاجى خليفة فى كتابه

(١) ص ٦٣٤

« كشف الظنون[١] ، فضائل الرحلة وفوائدها الجليلة .

ومما يسترعى النظر اننا لانزال حتى اليوم نشجع الرحلة ونبعث البعوث إلى أوروبا وأمريكا وغيرهما من البلدان للوقوف على مقدار تقدم هذه البلاد العلمية والافادة من ذلك .

ويجدر بنا قبل أن نختم هذا الباب أن نشير إلى فضيلة بارزة من فضائل هذه النظم وهى استقلال الأستاذ وقيمته فى التعليم وشهرته التى كانت تفوق شهرة المعهد الذى يتحلق فيه ، فقد كان الأستاذ هو عماد التعليم وعليه تتوقف حياة الطالب العلمية . وقد اهتمت به جموع الطلبة وجاءوه من كافة انحاء البلاد لتلقى العلم على يديه وافتخروا بامضائه على الكتب التى قرءوها عليه . وكان المدرس حراً مستقلا يدرس مايشاء من غير تقييد بمنهج خاص تقرره الدولة أو كتاب خاص تختاره الوزارة اللهم إلا إذا تعارض هذا المنهج أو ذاك الكتاب وسياسة الدولة المذهبية ، ومع ذلك فقد كان الفاطميون يعضدون سياسة التسامح الدينى فى بعض الأحيان فى عهود كثير من الخلفاء إذا استثنينا عهد الحاكم بأمر الله .

فهذه هى نظم التعليم فى العصر الفاطمى الأول وهى على الرغم من عيوبها (التى هى عيوب العصر ذاته) فانها جديرة بكل احترام وتقدير .

---

(١) ج ١ ص ٢٧ .

الباب الخامس

التعليم فى القصر

عناية الفاطميين بالعلم والأدب

لا شك أن شخص المعلم هو أهم العوامل فى التعليم فهو أهم من البناء والأثاث والمعدات . والتعليم الحقيق يقوم فى أى مكان متى وجد المعلم والتلميذ ، ومما امتاز به ذلك العصر الذى نحن بصدده عدم التكلف فى طلب العلم فقد ورد المصريون مناهله ما وجدوا إليه سبيلا فى جامع أو منزل . وكان للخلفاء الفاطميين ميل شديد إلى العلم والعلماء فكانوا يعقدون المجالس بالقصور[1] يحضرها أهل الفقه والأدب والشعر والطب[2] يحادثون الخليفة فيما يلذ له سماعه من أخبار العرب ونوادرهم وأشعارهم ويتناظرون فى الفقه والأدب والشعر وغير ذلك من العلوم الأخرى . وكانت مجالس الأدب والشعر والمناظرة هذه من أهم معاهد العلم ولم تكن تقل قيمتها التعليمية عن

---

(١) وصف المقريزى قصور الفاطميين فى اسهاب ، وقد ذكرنا فيما تقدم أن جوهراً وضع أساس القصر الكبير الشرقى فى نفس الليلة التى اختط فيها القاهرة . واستمر العمل فى أقسامه المتعددة عشر سنين . واشتمل هذا القصر على عدة مناظر وقاعات وقصور صغيرة . ولما آلت الخلافة إلى العزيز أمر ببناء القصر الصغير الغربى . وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ، وكان بين القصرين فضاء متسع أطاق عليه بين القصرين ، وكان يسع عشرة آلاف من الجند وكانت تعقد فيه حلق لقراءة السير والأخبار وإنشاد الأشعار والتفنن فى أنواع اللعب واللهو .

(راجع الخطط ج ٢ ص ٢١٤ وما يليها ، ج ٣ ص ٤٤)

(٢) الخطط ج ٢ ص ٣٣٥ .

مجالس الدرس بالمساجد أو دار العلم وكانت تعقد فى دور الوزراء والأغنياء إلى جانب القصور الزاهرة .

وساعد على ازدهار هذه المجالس شغف المصريين بالعلم وإقبال الادباء على المناظرة طمعا فى منح الخلفاء والأمراء والوزراء ونيل الحظوة عندهم . هذا بالإضافة إلى أن الخلفاء أنفسهم كانوا من طلبة العلم والمقبلين على دراسته ، فقد كان المعز[١] كما عرفنا، من أعلم الخلفاء المسلمين وما رئى فى مجلس أو عابر طريق إلا وبيده كتاب حتى خرج إماما وفقيها وعلما من أعلام الدين والادب بليغ الاسلوب ملما بكثير من اللغات . وكان هو وكثير من أسرته من بعده وعلى رأسهم حفيده الحاكم بأمر الله يشتغلون بعلم النجوم[٢] ويميلون إلى علوم الأوائل ويقربون إليهم أهلها ويفرضون العلم على أولادهم ومماليكهم .

ومن الوزراء الفاطميين العلماء يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وقد سبقت الاشارة اليه وإلى علمه وفضله فى مواطن عدة ، وذكر المقريزى[٣] انه رتب فى داره الكتاب والأطباء وجعل فيها العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى عليهم الأرزاق وألف كتبا عدة فى الفقه والقرآن ونصب له مجلسا فى داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل

---

(١) المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ٦٠ و ٦١ و ٦٥ و ٧٤ ، الخطط ج ٢ ص ١٦٤ وما يليها و ص ٢٠٧

(٢) ابن الأثير — ج ٨ ص ٢٦٣ ، الخطط ج ٤ ص ٧٤ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٠ وما يليها و ص ١١٦ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢ وما يليها .

(٣) الخطط ج ٣ ص ٧ — ١٢ ، ج ٤ ص ١٥٧ . وذكره كذلك يحيى الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ١٦٤ و ١٧٢ وما يليها ، ابن منجب الصيرفى — الإشارة إلى من نال الوزارة ص ١٩ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٣ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٨

يتناظرون بين يديه .. وكان فى داره كذلك عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الآدب وغيرها من العلوم ، فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت ، حتى لقدرثاه يوم وفاته مائة شاعر اجيزوا جميعهم .

وقد بالغ الفاطميون فى الاهتمام بالشعر وتقريب الشعراء على اختلاف مذاهبهم واستطاع كثير منهم قرضه[١] حتى كان من بين أبناء المعز شاعر كبير هو تميم[٢]، وقام الشعراء بدور هام فى حياتهم لأنهم اتخذوهم أداة لنشر دعوتهم وتحقيق سياستهم ومنازلة العباسيين أعدائهم واكثروا من مدح الخلفاء والاشادة بمجد الفاطميين وانتشر الغلو فى شعر الشعراء وكثيرا مادفع بهم هذا الغلو إلى الكفر والالحاد[٣] .

ومن الشعراء الذين اتصلوا بخدمة الفاطميين ابن هانىء[٤] الاندلسى شاعر

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١١٣

(٢) كان مولده بالمهدية سنة ٣٣٧ هـ وكان شاعراً ماهرا لطيفا وتوفى سنة ٣٧٤ هـ. (راجع ابن خلكان ج ١ ص ٩٧ ، الخطط ج ٣ ص ٢٦٠ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١).

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٧ ، الفاطميون ص ١٥٢

(٤) هو أبو القاسم محمد بن هانىء الاندلسى . ولد بالأندلس ودرس بقرطبة . وجلب عليه سوء سيرته وصراحته فى القول سخط الناس فأتهموه بالأخذ بآراء الفلاسفة اليونان فرحل إلى إفريقية ولحق بجوهر ، ثم استدعاه الخليفة الفاطمى المعز وألحقه ببلاطه وأسبغ عليه نعمته . ولما ذهب المعز إلى مصر شيعه ابن هانىء وعاد إلى المغرب لاحضار أسرته واللحاق بمولاه . لكنه قتل وهو فى طريقه إلى برقه عام ٣٦٢ هـ . ولما بلغ المعز خبر قتله حزن عليه وقال : «هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك» وعلى الرغم من الغلو الكثير فى مدائح ابن هانىء التى من أجلها يتهمه الفقهاء بالكفر فانه يتمتع بشهرة واسعة . (راجع وفيات الأعيان — ج ٢ ص ٤ وما يليها ، كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٣ ، الفاطميون ص ١٥٣ وما يليها ، دائرة المعارف الإسلامية المعربة — مجلد ١ عدد ٥ ص ٢٨٩ وما يليها .

المعز الذى أراد أن يحاكى به الشعراء العباسيين ويبدهم ، وإذا تصفحنا ديوانه ألفينا أن أكثره قد نظم فى مدح المعز وأسرته . وكان هذا الشاعر شيعيا متحمسا وقد يكون ذلك استدرارا لكرم الفاطميين .

ومن الشعراء الذين اتصلوا كذلك بخدمة الخلفاء والوزراء أبو حامد الانطاكى[١] الذى امتدح المعز والعزيز والحاكم بأمر الله وشاد بذكر جوهر والوزير يعقوب بن كلس، وكانت وفاته سنة ٣٩٩هـ ، محمد بن القاسم بن عاصم[٢] شاعر الحاكم وأبو الحسن على بن عبد الواحد البغدادى المعروف بصريع الدلاء.[٣] وقد قدم مصر سنة ٤١٢هـ ومدح الظاهر وكانت وفاته فى السنة التى قدم فيها . وأبو الحسن على بن نوبخت[٤] وهو شاعر مجيد وكانت وفاته سنه ٤١٦هـ .

ومن قدم إلى مصر رجاء التمتع بسخاء الفاطميين ورجال بلاطهم الشاعر عبد الوهاب بن نصر المالكى[٥] وهو من أهل بغداد وكان فقيها مالكيا مبرزا ثقة فى الحديث ، وقد استقبل بالقاهرة على الرغم من اعتناقه المذهب السنى احسن استقبال ، واستطاع أن ينعم برغد العيش بمصر بعد أن عانى

---

(١) كان يعرف بأبى الرقعمق وهو من أهل انطاكية بالقرب من مدينة حلب وكان من مشهورى الشعراء وقد أقام بمصر زمانا طويلا ومعظم شعره قد نظم فى مدح أمرائها ورؤسائها (راجع وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠ وما يليها ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١، الفاطميون ص ١٥٩ .)

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٩ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٨ .

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ ، الفاطميون ص ١٦٠ وما يليها .

الكثير من المشاق والمتاعب فى عاصمة العباسيين . وكانت وفاته بمصر سنة ٤٢٢هـ فى خلافة الظاهر الفاطمى .

وكما عنى الخلفاء الفاطميون بالشعراء والادباء عنوا كذلك بالأطباء فكانوا كثيرا مايكرمونهم ويغدقون عليهم الاموال ويولونهم الوظائف والمناصب وكان أكثرهم من اليهود والنصارى . وكانت لهم فى البلاط الفاطمى على الرغم من ذلك منزلة كبيرة وقد ساعدت هذه العناية العظيمة بهذه الطبقة من العلماء على تقدم دراسة علم الطب وخاصة فى المارستانات[1] الفاطمية التى خصها[2] الحاكم بأمر الله بالكثير من ماله . وكانت هذه المشافى إلى جانب أثرها الخيرى جامعات طبية تلقى فيها الدروس النظرية إلى جانب الدروس العملية ويتخرج فيها الأطباء والجراحون والكحالون . وكان من عادة الطبيب فى ذلك العصر أن يكون ملما بالكثير من علوم الفلسفة واللغات الأجنبية كالسريانية أو اليونانية إلى جانب إلمامه بعلم الطب . ويدلنا على ذلك

---

(١) المارستان أو البيمارستان لفظ فارسى معناه مكان المرضى . وكانت المارستانات تشمل فى العادة مدارس الطب والمستشفيات معا وتعالج فيها الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية . ولكن الآن تطلق كلمة مارستان على مصحة المجانين فقط . وكان بالمارستان فى العادة أقسام خاصة بالذكور وأقسام خاصة بالاناث وكان مجهزاً بما يحتاجه الأطباء من أدوات جراحية وأدوية وخدم من الرجال والنساء للعناية بالمرضى . هذا فضلا عن أنه كان به مايحتاج اليه تلاميذ الطب من كتب دراسية تساعدهم على الدرس والمطالعة .

ومن المارستانات المصرية المشهورة مارستان احمد بن طولون والمارستان الكافورى ، أما فى زمن الفاطميين فكان بمصر كثير من المارستانات التى عنى بها الخلفاء . (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤٧ و ٣٦٩ ، الخطط ج ٤ ص ٢٥٨ وما يليها ، الدكتور احمد عيسى تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ٣ — ٤٣ و ٦٦ — ٧٦ .)

(٢) الخطط ج ٤ ص ٨٤ .

ما أورده ابن القفطى وابن أبى أصيبعة من تراجم الأطباء المصريين فى ذلك العصر كابن رضوان والمبشر بن فاتك وقد تقدم ذكرهما فى الباب السابق .

وكان من أطباء المعز موسى بن العازار [١] الاسرائيلى المشهور بالتقدم والحذق فى صناعة الطب وله عدة مؤلفات فيها . وسعيد التميمى المقدسى [٢] الطبيب ، وكان من بيت المقدس وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن الأخرى ثم انتقل إلى الديار المصرية . وقد أدرك الدولة العلوية بمصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وصنف له كتابا كبيرا فى عدة مجلدات سماه « مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء » ، ولقى الأطباء بمصر وحاضرهم وناظرهم واختلط بأطبـــاء [٣] الخاص القادمين من بلاد المغرب فى صحبة المعز عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها ، وكان هذا الطبيب بمصر فى حدود سنة ٣٧٠ هـ وله عدة مؤلفات .

ومن أطباء العزيز أبو الفتح منصور بن مقشر النصرانى [٤] وكان من الاطباء المتقدمين وله منزلة سامية عند العزيز حتى انه لما اعتل فى سنة ٣٨٥هـ وتأخر عن الركوب كتب إليه العزيز عندما تماثل للشفاء كتابا رقيقا يدل على مبلغ عناية العزيز به والاهتمام بأمره . ومات هذا الطبيب فى عصر الحاكم بأمر الله .

---

(١) القفطى — أخبار الحكماء ص ٣٢٠ ، ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٦

(٢) أخبار الحكماء ص ١٠٥ — ١٠٦ ، طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٧ — ٨٩

(٣) كان يصرف لكل من أطباء الخاص خمسون دينارا فى الشهر ولمن دونهم من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٥ ، الخطط ج ٢ ص ٢٤٣)

(٤) أخبار الحكماء ص ٣٣٤ — ٣٣٥ ، طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٩ .

ومن الأطباء الآخرين الذين كانوا فى خدمة الفاطميين كيسان بن عثمان أبو سهل[١] الطبيب المصرى وكان بمصر فى أيام المعز والعزيز وتوفى سنة ٣٧٨هـ . وأبو الحسن سهلان بن كيسان[٢] أخوه وكان طبيبا نصرانيا ارتفع جاهه فى الأيام العزيزية وكانت وفاته سنة ٣٨٠هـ ويوسف النصرانى[٣] وكان عارفا بصناعة الطب فاضلا فى العلوم وقد صيره العزيز بطريركا على بيت المقدس فى السنة الخامسة من خلافته ، وعمار[٤] بن على الموصلى وكان كحالا مشهوراً ومعالجا مذكوراً له خبرة بمداواة أمراض العين وكان قد سافر إلى مصر وأقام بهـــا فى أيام الحاكم بأمرالله وله من الكتب كتاب « المنتخب فى علم العين » ألفه للحاكم بأمر الله ، هذا بالاضافة إلى كثير من الأطباء الآخرين الذين ترجم لهم ابن القفطى وابن أبى أصيبعة وأشرنا إلى بعضهم فى الباب السابق .

ديوان الانشاء

وثمة مظهر آخر يدل على مقدار اهتمام الفاطميين بالعلم والتعليم والعلماء هو عنايتهم بديوان الإنشاء[٥] واختيار كتابه من بين أماثل العلماء وبلغائهم

(١) أخبار الحكماء ص ٢٦٧ — ٢٦٨
(٢) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٩
(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٦
(٤) « « ج ٢ ص ٨٩
(٥) كان يطلق عليه ديوان الرسائل والكتابة كذلك . ولم يكن للمصريين عناية بديوان الإنشاء قبل زمن الدولة الطولونية . (راجع ابن خلدون — المقدمة ص ٢٧٣ . صبح الأعشى ج ١ ص ٩٥)

لكى يساعدوا على نشر مذهبهم وإذاعة ما بلغتـــه خلافتهم من أبهة وسلطان ويحيطوا أنفسهم وأولادهم بطبقة خاصة من العلماء والفقهاء الذين نبغوا فى علوم الفقه والدين واللغة حتى يفيدوا منهم فى مكاتباتهم وخطبهم ويعملوا على زيادة ثقافتهم وتعليمهم ، لذلك نرى الخلفاء الفاطميين يجالسون هؤلاء الكتاب ويتلقون العلم عنهم ويستشيرونهم فى أهم الأمور. وكان ديوان الانشاء يعد بمثابة مدرسة بالقصر تعلم فن[١] الكتابة والأدب فكان كتاب الانشاء إذن معلمين لفن الكتابة للخليفة ولأولاده ولغيرهم من أبناء الامراء وأرباب الدواوين وكان الخلفاء يجزلون لهم العطاء ويجودون عليهم بالخلع[٢].

وقد صرح القلقشندى[٣] بأن الفاطميين لما ولوا الديار المصرية صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الانشاء وكتابه، فارتفع بهم قدره وشاع فى الآفاق ذكره وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمى. وكانت الكتابة فى ذلك العصر تلى الوزارة فى الرتبة، فقد كانت إحدى المناصب العالية التى كان الخلفاء لا يسندونها إلا لمن أنسوا فيهم الكفاية والقدرة على معالجة الأمور كما كانت الخطوة الأولى للوزارة إذا ما حاز صاحبها رضاء الخليفة[٤].

---

(١) ذكر ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٨) فى ترجمته ليوسف بن محمد المعروف بابن الحلال صاحب ديوان الانشاء بمصر فى عهد الحافظ الفاطمى (٥٢٤ — ٥٤٤هـ) ان فن الكتابة بمصر فى زمن الدولة الفاطمية كان غضا طريا وكان فى العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويستمع أشياء من علم الأدب .

(٢) الفاطميون ص ١٥١ و ١٥٢ .

(٣) صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ .

(٤) النظم الاسلامية ص ١٨٢

وكان على كاتب ديوان الانشاء أن يتصف بعدة صفات ، فقد عقد ابن منجب الصيرفى الذى تقلد ديوان الرسائل فى العصر الفاطمى الثانى فصلا ضافيا فى كتابه « قانون ديوان الرسائل[١] » ، بين فيه الأحوال التى يجب أن يكون عليها الكاتب[٢] وما ينبغى أن يكون حاصلا عليه من العلوم والمعارف والأخلاق. فقال إن أول ما يجب أن يتصف به رئيس ديوان الرسائل ومتولى الكتابة عن حضرة الخليفة أن يكون ذا دين وورع وأمانة فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يتحكم فى أرواح الناس وأموالهم ، ويفضل أن يكون دينه الاسلام لأنه من الخليفة بمنزلة الوزير ولأنه فى حاجة إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى فى أثناء محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيه وأوامره والذكر لقوارعه وزواجره وهو حلية الرسائل وزينة الانشاءات والحجة التى لا تدحض والحقيقة التى لا ترفض . فإذا كان الكاتب من أهل الذمة لم يكن لديه من ذلك شيء وأنت كتبه خالية من أفضل الكلام وما يتبرك به أهل الايمان والاسلام ويجب أن يكون الكاتب متمذهبا بالمذهب الذى عليه الخليفة ليكون مجتهدا فى خدمته مبالغا فى نصحه .

ويجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة أو أسنى منزلة فإنه لسان السلطان الذى ينطق به ويده التى بها يكتب . وأن يكون مضطلعا بفنون الكتابة عالما بأصولها وفصولها مستقلا باعبائها حافظا لكتاب الله تعالى أو

---

(١) ص ٩٤ — ١٠٨ .

(٢) أشار إلى صفات الكاتب كذلك كل من ابن خلدون فى مقدمته (ص ٢٧٥ — ٢٧٩) والقلقشندى فى كتابه صبح الأعشى (ج ١ ص ١٤٨ وما يليها) والقلقشندى عدا ذلك مقامة اشتملت على بيان ما يحتاج اليه كاتب الإنشاء من المواد جاءت بكتابه المذكور (ج ١٤ ص ١١١ وما يليها) .

قيما بقراءته إذا قرأه فإنه شديد الحاجة إليه ، ويكون حافظا لأخبار الرسول والأئمة من ذريته قيما بها أو باكثرها راويا لاخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم وأخبار العجم وسائر الامم وما جرى فى أيام الملوك الماضين وما حدث من وزرائهم وكتابهم وقوادهم وأخبارهم فإنه أحوج الناس إلى ذلك . وربما دفعته مضايق الكتابة إلى الاستشهاد بشىء منه . ويجب أن يكون حافظا للاشعار راويا للكثير منها يستشهد بما عساه يحسن الاستشهاد به فى بعض المواضع فان للمنظوم من البهجة فى النفس والوقع فى القلب ماليس للمنثور ، ويجب أن يكون قد قرأ من العربية والتصريف واللغة [1] أكثرها فانه أحوج الناس إلى هذه العلوم فان كان مبرزا فيها قيما بها على الكمال فزيادة فى فضله .

ويجب أن يكون الكاتب أصيلا فى قومه رفيعاً فى حسبه وأن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللسان لأنه كثيراً مايراه الخليفة، وأن يكون حليما وقوراً مؤثراً للجد على الهزل شديد الذكاء متوقد الفهم حسن الكلام إذا حَدَّث حسن الاصغاء إذا حُدث رءوفا بأهل الدين ساعيا فى مصالحهم محبا لذوى العلم والأدب راغبا فى نفعهم . ويكون من كتمان السر بالمنزلة التى لا يدانيه فيها أحد ولا يقاربه فيها بشر حتى يقرر فى نفسه أمانة كل حديث يعلمه وتناسى كل خبر يسمعه . ويجتهد فى أن يصير له ذلك طبعا مركبا وأمرا

---

(١) ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٥) أن مما يحتاج اليه الكاتب إلى جانب معرفته باللغة العربية والنحو والصرف والبيان والبديع الالمام باللغة العجمية وهى كل ما عدا العربية من التركية والفارسية والرومية والفرنجية والبربرية والسودان إذ لايخفى أن الكاتب يحتاج فى كماله إلى معرفة لغة الكتب التى ترد عليه للخليفة ليفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها فان ذلك أصون لسر الخليفة .

ضروريا ، فإنه إذا كان بهذه المنزلة أنتفع به الخليفة وإذا كان بضدها أستضر هو والخليفة جميعاً .

وكانت أهم[١] وظائف الكتاب بديوان الإنشاء ثلاثا - الأولى منها هى صحابة ديوان الإنشاء والمكاتبات وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل وكان يقال له كاتب الدست الشريف[٢] وإليه تسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة بيده ، وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره .

أما الوظيفة الثانية فهى التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم[٣] وهى رتبة جليلة تلى رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات ويكون صاحبها جليسا للخليفة فى أكثر أيام الأسبوع فى خلوته يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الإنبياء والخلفاء الماضين ويقرأ عليه ملح الشعر ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ويقوى يده فى تجويد الخط وغير ذلك ، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقع عليها بما يقتضيه الحال .

أما الوظيفة الثالثة فهى التوقيع بالقلم الجليل[٤] وموضوعها الكتابة

---

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٠

(٢) صبح الاعشى ج ١ ص١٠٢ و ١٠٣ ، ج ٣ ص ٤٩٠ ، الخطط ج ٢ص٢٤٤ ، الفاطميون ص ١٥١ .

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩١ ، الخطط ج ٢ ص ٢٤٤ ، الفاطميون ص ١٥١

(٤) ولو أن هذه العبارة تدل على أن هذا الموظف كان أعلى فى المرتبة من صاحب القلم الدقيق إلا أن مرتبته كانت فى الواقع أدنى من مرتبة صاحب القلم الدقيق إذ كانت تسمى الخدمة الصغرى (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩١ ، الخطط ج ٢ ص ٢٤٤ الفاطميون ص ١٥٢)

بتنفيذ ما يوقع به صاحب القلم الدقيق وبسطه فكانت مهمته تسلم رقاع المظالم من صاحب القلم الدقيق ووضعها فى الصيغة القانونية قبل أن تعرض على الخليفة للتصديق عليها . فإذا رفعت قصص المظالم حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ثم تحمل إلى الخليفه فيوقع عليها ثم تخرج إلى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه .

ولقد أتى لنا القلقشندى[١] ببيان رواتب هؤلاء الموظفين ومنه يتبين لنا أن الكتاب كانوا يتقاضون رواتب كبيرة فضلا عما كان يغدق عليهم من هبات ويدفع لهم من أرزاق . فكان صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات يتقاضى راتبا شهريا قدره ١٥٠ دينارا . وكان يتقاضى كل كاتب من الكتاب الذين يعملون تحت إدارته ثلاثين ديناراً . أما صاحب القلم الدقيق فكان راتبه ١٠٠ دينار كل شهر وصاحب القلم الجليل ٣٠ دينارا .

وقد أتخذ الخليفة المعز لدين الله الفاطمى[٢] جوهر الصقلى كاتبا له سنة ٣٤١ هـ وذلك لأن جوهرا كان كاتبا بليغا كما كان عفا جم الأدب فى فى كتابته . وكتب للعزيز بالله أبو منصور إبن سوردين[٣] النصرانى ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات فى أيامه، فكتب للحاكم القاضى أبو الطاهر البهركى[٤] ثم كتب بعده لابنه الظاهر . وكتب للمستنصر القاضى ولى الدين بن خيران[٥] ومما ذكره[٦] عنه ياقوت أن رزقه كان فى كل سنة ثلاثة آلاف دينار —

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ . وقد ورد ذلك بالخطط ج ٢ ص ٢٤٣
(٢) النظم الاسلامية ص ١٨٣ .
(٣) و (٤) و (٥) — صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦
(٦) معجم الأدباء ج ٤ ص ٥

وأبو سعيد العميدى [١] وكان أديبا نحويا استخدم فى صفر سنة ٤٣٢ هـ وله تصانيف فى الأدب منها كتاب « تنقيح البلاغة » .

ومن كتاب الإنشاء كذلك فى العصر الفاطمى الأول ممن سبقت الإشارة اليهم القضاعى [٢] المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ، وأبو الحسن طاهر بن بابشاذ [٣] المتوفى سنة ٤٦٩ هـ . فإنه كان فى عهد المستنصر الفاطمى متأملا فى ديوان الإنشاء بالقاهرة يتأمل ما يصدر فيه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ .

خزائن الكتب

لاشك أن خزائن الكتب الفاطمية كان لها أثر بعيد فى التعليم فى العصر الفاطمى ، ففضلا عن أنها كانت تساعد الخليفة على الوقوف على مختلف العلوم والفنون فانها كثيرا ما كانت تمد معاهد التعليم الفاطمية بالكتب القيمة والمؤلفات النادرة لكى تكون فى متناول الطلبة والمعلمين يفيدون منها ما شاءوا الإفادة فى العلوم والآداب . وهى بالاضافة إلى ذلك دليل واضح على مقدار تقدم العلم والتعليم فى ذلك العصر وإنتشار الآداب والعلوم . فقد

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١٢ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ ، بغية الوعاة ص ١٩

(٢) كان يكتب عن الوزير نجيب الدولة على بن احمد الجرجرائى فى عهد الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى وكان الحاكم قد أمر بقطع يدى هذا الوزير فى سنة ٤٠٤ هـ (راجع ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٥ و ٣٦ ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦٢ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٨ ، النظم الاسلامية ص ١٨٣ و ١٨٤) .

(٣) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٧ وما يليها ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٥ ، بغية الوعاة ص ٢٧٢ .

عنى الخلفاء الفاطميون بجمع أكبر عدد من الكتب والحصول على أندر المؤلفات فى جميع العلوم .

ومما ذهب إليه ابن الأثير والمقريزى[١] أن عبيد الله المهدى عميد الفاطميين ومؤسس دولتهم حمل معه من سلمية عدة كتب وملاحم لآبائه ولكنها سرقت منه وهو فى طريقه إلى سجلماسة فى مكان يقال له الطاحونة بالقرب من طرابلس . وقد أستطاع ابنه أبو القاسم أن يستعيد ما فقده أبوه من كتب ووثائق وهو فى طريقه لغزو مصر للمرة الأولى سنة ٣٠٠ هـ .

ولقد ساعد على عظم هذه المكتبة الفاطمية بمصر ماحمله المعز[٢] عند رحيله اليها من الكتب الكثيرة التى كانت فى مكتبته الخاصة ، وماكان من رغبة الفاطميين فى منافسة الدولة العباسية وتشجيع العلم والتعليم وسياستهم فى تقريب العلماء والأدباء والشعراء الأمر الذى كان من شأنه أن يشجع الدرس والتحصيل والبحث والتأليف ونسخ الكتب ومعارضتها ونقدها وكتابة الذيول لها وإقتناء المؤلفات والمخطوطات ، فضلا عن أن المكتبات كانت قد أنتشرت فى العالم الإسلامى فى ذلك العصر وأدرك المسلمون فائدتها[٣].

وكان الخلفاء الفاطميون يجمعون فى خزائنهم نسخاً كثيرة من المؤلف الواحد لكى ينفردوا بالفخر بها ، فقد ذكر المقريزى[٤] عن المسبحى أنه

---

(١) الكامل ج ٨ ص ١٥ ، اتعاظ الحنفا ص ٣٥ .
(٢) الفاطميون ص ١٣٤
(٣) الدكتور زكى حسن — كنوز الفاطميين ص ٣١
(٤) الخطط ج ٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٥

ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد [١] فأمر خزان دفاتره فاخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن أحمد نفسه، وحمل اليه رجل نسخة من تاريخ الطبرى أشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه. وكان من عجائب هذه الخزانة أن فيها ١٢٠٠ نسخة من هذا الكتاب الأخير.

وتدل هذه الحكاية الطريفة التى أمدنا بها المقريزى فى كتابه «اتعاظ الحنفا» [٢]، على مقدار شغف الفاطميين بجمع الكتب والاحتفاظ بها والاهتمام بأمرها، فقد حمل أبو جعفر مسلم من أشراف مصر إلى المعز المصحف الكبير الذى يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك وكان قد أشتراه بأربعمائة دينار فلما رآه المعز قال: «أراك معجبا به وهو يستحق الإعجاب ولكن نفاخرك نحن أيضاً: فدعا بمصحف نصفين ما رؤى أحسن منهما خطا وإذهابا وتجليدا. فقال هذا خط المنصور [٣] واذهابه وتجليده بيده، فقال له مسلم، فثم مصحف بخط مولانا المعز لدين الله عليه السلام فقال: نعم. وأخرج له نصفين، فقال ما رأيت أصبح من هذا الخط».

وكثيراً ما كان الخليفة يزور خزانة الكتب فيجيء راكبا ثم يترجل ويتخذ مجلسه فوق دكة منصوبة ويمثل بين يديه أمين المكتبة ويأتيه بمصاحف

---

(١) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن احمد وهو غاية فى استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس وهو أول من استخرج العروض وخص به أشعار العرب. وتوفى بالبصرة سنة ١٧٠ هـ (راجع الفهرست لابن النديم ص ٤٢ وما يليها)

(٢) ص ٩٩

(٣) والد المعز (٣٣٤ — ٣٤١ هـ)

كثيرة مكتوبة بأقلام مشاهير الخطاط وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده[١] . وممن تتولى امر خزانة الكتب الفاطمية فى عهد العزيز أبو الحسن على بن محمد الشابشتى الأديب الفاضل صاحب كتاب « الديارات » ، وكان يقرأ للعزيز الكتب ويجالسه وينادمه .

ولم يكن وزراء الفاطميين أقل حماسة فى إقتناء الكتب والحصول عليها من الخلفاء ، فقد كان الوزير يعقوب بن كلس[٢] يحث العلم ويجمع بداره العلماء كما تقدم . وكان فى داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون ينسخون كتب الحديث والفقه والأدب والطب ثم يعارضونها ويشكلونها وينقطونها . وقد خلف برجوان[٣] أستاذ الحاكم من الكتب ما لا حصر له . كما كان للمبشر بن فاتك[٤] وهو من أمراء مصر وافاضل علمائها خزائن كتب عظيمة . وكان فى اكثر اوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده .

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٣٤ ، الخطط ج ٣ ص ٩

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٨ ، الخطط ج ٣ ص ٥

(٤) سبقت الاشارة اليه فى الأبواب السابقة . وكان المبشر بن فاتك من تلاميذ ابن الهيثم وممن اشتغل بصناعة الطب ونبغ فى علوم الحكمة . وكانت له تصانيف جليلة فى المنطق وغيره من العلوم الأخرى . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة أنه لما توفى المبشر بن فاتك نهضت زوجته هى وجواريها معها إلى خزائن كتبه ، فجعلت تندبه وفى أثناء ذلك ترمى الكتب فى بركة ماء فى وسط الدار وذلك لما فى قلبها من الكتب ولأنه كان يشتغل بها عنها . ولما نقلت الكتب بعد ذلك من الماء كان قد غرق أكثرها . وقد عاش هذا الأمير المصرى فى أيام الظاهر والمستنصر (راجع معجم الأدباء ج ١٧ ص ٧٧ ، طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩) .

وذكر ابن أبي اصيبعة [١] أن رجلا من العراق كان قد اتى إلى الديار المصرية ليشترى كتبا ويتوجه بهـــا وأنه اجتمع مع افرائيم بن الزفان وكان من الأطباء المشهورين بديار مصر ، واتفق الحال فيما بينهما أن اباعه افرائيم هذا من الكتب التى عنده عشرة آلاف مجلد فلما سمع بذلك الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى أراد أن تبقى تلك الكتب فى الديار المصرية ولا تنتقل إلى موضع آخر . فبعث إلى افرائيم من عنده بجملة المال الذى كان قد اتفق عليه بين افرائيم والعراقى ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل وكتب عليها القابه . ومما يذكر أن هذا الوزير لما توفى سنة ٥١٥ هـ صادر الخليفة الآمر (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ) كافة ممتلكاته فكان من بينها خمسمائة ألف مجلد نقلت كلها إلى مكتبة القصر [٢] وقد خلف افرائيم بن الزفان الطبيب المذكور من الكتب مايزيد على عشرين ألف مجلد . وكانت له همة عالية فى تحصيل الكتب وبداره النساخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم وعنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها [٣] .

وقيل ان عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة . وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف مقطعـــة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات عدا الكتب الأخرى. وقد اشتملت هذه الكتب على مصنفات فى جميع المذاهب واللغة العربية والحديث والتاريخ والسير والفلك والدين

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠٥
(٢) الفاطميون ص ١٤١
(٣) طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠٥

والكيمياء. هذا عدا المصاحف التى احتوتها المكتبة ومجموعة القوائم المكتوبة بخط ابن مقلة [١] وابن البواب [٢] وغيرهما من مشاهير الخطاطين [٣].

وكان فى خزانة الكتب الفاطمية مخطوطات محلاة بالذهب والفضة فى جلود جميله النقوش بديعة الصناعة، نسج المماليك على منوالها فى صناعة التجليد فى عصرهم وأخذ الغربيون عنهم فى العصور الوسطى كثيرا من أساليبهم فى هذا الميدان [٤].

وذكر ابن القفطى [٥] أنه فى سنة ٤٣٥هـ عندما تولى القاضى أبو عبد الله القضاعى عمل فهرست لدار الكتب الفاطمية كان بها من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكرة نحاسا من عمل بطليموس وكرة أخرى فضة زنتها ثلاثة آلاف درهم.

وكانت هذه الخزانة الفاطمية ثالثة [٦] الخزائن فى الاسلام التى اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها. أما أولى هذه الخزائن فهو بيت الحكمة العباسى

---

(١) هو أبو على محمد بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور. كان مولده ببغداد وكان خطه جميل وتوفى سنة ٣٢٨هـ. (راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ٦١ و٦٢.)

(٢) هو أبو الحسن على بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور وقد اشتهر فى حياته بجودة الخط وتوفى ببغداد سنة ٤١٣ هـ وقيل سنة ٤٢٣ هـ (راجع وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٤٥ — ٣٤٦).

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٥٥

(٤) الدكتور زكى حسن — كنوز الفاطميين ص ٢٨ و ٢٩

(٥) أخبار الحكماء ص ٤٤٠

(٦) صبح الأعشى ج ١ ص ٤٦٦

ببغداد وقد أسسه هرون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) وجمع من كتب العلم مالا يحصى كثرة . ولم يزل على ذلك إلى أن استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ فذهبت هذه الخزانة العباسية فيما ذهب وذهبت معالمها وعفت آثارها (١) .

أما الخزانة الثانية فهى خزانة خلفاء بنى أمية بالأندلس، وكانت من إنشاء الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) وكان محبا للعلم جماعا للكتب على أنواعها ،فأنشأ فى قرطبة هذه المكتبة وجمع إليها الكتب من جميع أنحاء العالم فكان يبعث فى شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتقريب العلماء والكتاب . وقد اجتمع له من الكتب عدد عظيم فكانت مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠,٠٠٠ مجلد (٢) .

على أن هاتين الخزانتين لم تصلا فى عظمتهما وجلالهما إلى مبلغ ما وصلت إليه خزانة الفاطميين ، فقد وصفها المقريزى (٣) بأنها كانت من عجائب الدنيا وأنه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها وأنها اشتملت على مليون وستمائة ألف كتاب (٤) وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة .

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم — تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩.

(٢) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى ج٣ ص٢٠٨ و٢٠٩ ،
راجع Nicholson : A Literary His. of the Arabs,p.419.

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) اختلف المؤرخون فى مسألة عدد الكتب التى كانت بمكتبة القصر فى ذلك الوقت . ولكن الدكتور حسن ابراهيم يرجح أنه كان بها ٦٠٠,٠٠٠ مجلد أو ما يقرب من هذا العدد (راجع الفاطميون ص ١٤٠ و ١٤١ .)

على أنه مما يدعو إلى الأسف حقا أن تتلاشى أغلب هذه المجلدات التى امتلأت بها خزائن القصور الفاطمية الزاهرة فى غضون الشدة العظمى التى حلت بالبلاد سنين طويلة فى عهد المستنصر ، فقد نزع من هذه المكتبة ما يقرب من ألفين وأربعمائة ختمة مكتوبة بخط محلى بماء الذهب والفضة أخذها الاتراك فى مقابل ما كان متأخرا لهم من الارزاق[١] . هذا بالاضافة إلى ما ذهب إليه المقريزى[٢] من أن عددا غير قليل من الكتب الجليلة المقدار قد اتخذ بعض العبيد والإماء من جلودها نعالا وأحذية ثم أحرقوا أوراقها زعما منهم أنها تحوى كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم وأن عددا آخر كبيرا من الكتب غرق أو تلف وما بقى سفت عليه الرياح والتراب فصار تلالا عرفت بتلال الكتب .

ولكن رغم هذه المحنة التى حاقت بكثير من الكتب الفاطمية فان الفاطميين سرعان ما عوضوا ما فقدوه منها واستطاعوا أن يكون لهم خزانة كتب عظيمة فى عصر العاضد آخر خلفائهم . وقد بيعت هذه الكتب التى غصت بها خزانة الفاطميين عندما استولى صلاح الدين بن أيوب على القصور الفاطمية الزاهرة ، واستغرق بيعها لكثرتها عدة أعوام[٣] .

ومهما يكن من شىء فان هذه المكتبة الفاطمية الزاهرة ساعدت الخلفاء على نشر عقائد مذهبهم وتلقينها للناس وساعدت المعلمين والعلماء على الدرس والتحصيل والنسخ والتأليف . واستطاع الفاطميون لعنايتهم بها وحرصهم

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٥٤

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٥٤

(٣) صبح الاعشى ج ١ ص ٤٦٧ ، الخطط ج ٢ ص ٢٥٥ ، الفاطميون ص ١٤٠

على اقتناء المجلدات النادرة أن يبذوا غيرهم من أصحاب المكاتب فى البلدان الاسلامية الأخرى . بيد أننا نأسف لضياع بعض هذه المجاميع القيمة من الكتب النادرة إبان الشدة العظمى وضياع الجانب الآخر على أيدى الأيوبيين السنيين الغلاة الذين كانوا أعداء ألداء للشيعة ،فلم يعملوا على القضاء على الشعائر الشيعية فحسب بل عملوا على القضاء على كل معالم الحضارة الفاطمية وثقافتها وتراثها .

الدعوة الفاطمية فى القصر

وكان يعقد فى القصر الفاطمى إلى جانب مجالس الأدب والشعر والمناظرة مجالس الحكمة حيث تلقن الدعوة الفاطمية . فكان القصر بمثابة مدرسة عامرة بالمعلمين والتلاميذ ، والمعلمون هم الدعاة والتلاميذ هم الشيعيون على سائر طبقاتهم يقبلون على مجالس الحكمة هذه بالقصور الزاهرة يتلقون فيها محاضرات فى أصول الدعوة الفاطمية لا تخلو من دراسة للقرآن وفقه آل البيت وغيره من العلوم الدينية الأخرى . وكانت تلقن هذه الدعوة بطريقة منظمة يراعى فيها أذهان التلاميذ ومستوى ثقافتهم فلا يتلقى العامة منها سوى مبادئها الأولية بينما يرتفع الدعاة المحاضرون بالخاصة والمستنيرين الى مراتبها وأسرارها العليا التى سنقف عليها فيما يلى .

قامت الدولة الفاطمية على أسس الدعوة الشيعية واتشح الخلفاء الفاطميون بثوب الامامة وردوا نسبتهم إلى على بن أبى طالب وفاطمة وساقوا أمامتهم إلى اسماعيل بن جعفر الصادق من ولد الحسين بن على واستطاعوا بذلك

أن يبسطوا سلطانهم على كثير من البلدان . فليس بغريب اذن أن تبالغ الدولة الفاطمية فى بث دعوتها المذهبية وفى العمل على توطيد دعائمها ، إذ أن فى هذا حفظا لكيانها وتوطيدا لنفوذها وسلطانها .

ولما استقر الفاطميون بمصر شعرت الخلافة الفاطمية بالحاجة إلى مضاعفة جهودها المذهبية ذلك أنها لم تجد فى مصر كما وجدت فى قفار المغرب مهدا خصبا لدعوتها فلم تقف جهودها فى بث دعوتها عند حد الاعتماد على سن القوانين الجائرة بل أكثرت من عقد مجالس الحكمة حتى تحشد تحت لوائها ذوى الأذهان المستنيرة من المصريين .

كانت الدعوة الفاطمية تتخذ منذ البداية صبغة رسمية ، ومنذ قامت الدولة الفاطمية بمصر كانت تنتظم فى القصر الفاطمى وتتخذ صورة الدعوة إلى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها . وكانت تلقن فى القصر أحيانا والجامع الأزهر أحيانا أخرى . بيد أن هذه الدعاية المذهبية الظاهرة كانت ستاراً وتمهيدا لدعاية أخرى كانت تحاط بنوع من التحفظ والتكتم ، وكان يشرف على هذه الدعاية ظاهرها وباطنها وعلى تنظيمها وتلقينها زعيم دينى كبير يشغل منصبا هاما فى القصر ويلقب بداعى الدعاة ويلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه ويتمتع بمثل امتيازاته . وكانت وظيفتا قاضى القضاة وداعى الدعاة تسندان فى كثير من الأحيان إلى رجل واحد [1] ينتخب من بين أكابر فقهاء الشيعة المتضلعين فى العلوم الدينية وفى أسرار الدعوة الفاطمية ويعاونه فى نشر الدعوة أثنا عشر نقيبا وعدة كثيرة من النواب يمثلونه فى سائر النواحى . وكانت

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٤٦ ، الفاطميون ص ١٤٢

هذه الدروس الخاصة تعرض قبل القائها على الخليفة فيقرها ويذيلها بامضائه ثم تلقى فى مكانين بالقصر ،للرجال على كرسى الدعوة بالإيوان الكبير وللنساء بمجلس الداعى وكان يقال له المحول . وإذا فرغ الداعى من إلقاء محاضرته على المؤمنين والمؤمنات أقبلوا عليه يقبلون يده فيمسح رؤوسهم بالجزء الذى عليه امضاء الخليفة ويأخذ العهد على الراغبين فى دخول المذهب . وله أخذ النجوى منهم ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث[١] . فيجتمع من ذلك شىء كثير يحملة الداعى الى الخليفة فيفرض له الخليفة ما يعينه لنفسه وللنقباء ، وقد أطلق على مجالس الدعوة هذه مجالس الحكمة[٢] .

وذكر المقريزى[٣] أن هذه المجالس كانت تفرد للناس كل حسب طبقته ، فكان لآل على مجلس وللخاصة وشيوخ الدولة ولمن يتصل بالقصور من الخدم وغيرهم مجلس ،وللعامة والطارئين من البلاد الأجنبية مجلس وللحرم وخواص نساء القصور مجلس خاص بهن ،وكان النساء يحضرن بالجامع الأزهر ولهن به مجلس .

وقد أورد لنا القلقشندى[٤] وثيقة هامة هى سجل فاطمى بإقامة داعى الدعاة وبيان مهمته واختصاصاته وما يجب عليه اتباعه لاذاعة الدعوة والحث

---

(١) كان بعض سراة الاسماعيلية من يدفع النجوى ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثى دينار فيمتاز بذلك على غيره فى المحول ويعطى رقعة مذيلة بامضاء الخليفة فيدخر ذلك ويفخر به (راجع الخطط ٢ جـ ٢ ص ٢٢٦)

(٢) راجع صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٨٧ ، الخطط جـ ٢ ص ٢٢٥ وما يليها ، الفاطميون ص ١٤٢ وما يليها

(٣) الخطط جـ ٢ ص ٢٢٦

(٤) راجع صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٤٣٤ وما يليها .

على إطاعة أمير المؤمنين وطرق تعليم المؤمنين الدعوة والتدرج معهم فى تلقينهم العلم ، واحترام العلماء والعطف عليهم وعدم احتقار الجهلاء إلى غير ذلك من الأشـــياء التى توضح لنا واجبات الداعى وسرية الدعوة وجمع النجوى واستخدام النقباء والنواب الذين نعتوا بشيوخ علم الحكمة . وقد جاء بهذا السجل ما يلى :

« . . . وإن أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة وأورثه من منصب الامامة والأئمة وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين وتبصير من اعتصم بحبله من المؤمنين وتنوير بصائر من استمسك بعروته من المستجيبين — يعلن بإقامة الدعوة الهادية بين أوليائه وسبوغ ظلها على أشياعه وخلصائه وتغذية أفهامهم بلبانها وارهاف عقولهم ببيانها وتهذيب أفكارهم بلطائفها وإنقاذهم من حيرة الشكوك بمعارفها ، وتوقيفهم من علومها على ما يحلب لهم سبل الرضوان ويفضى بهم إلى روح الجنان وريح الحنان والخلود السرمدى فى جوار الجواد المنان . . . حتى أداه الاجتهاد إليك ووقفه الارتياد عليك فأسندها منك إلى كفئها وكافيها ومدرها المبرز فيها ولسانها المترجم عن حقائقها الخفية ودقائقها المطوية ثقة بوثاقة دينك وصحة يقينك وشهود هديك وهداك وفضـــل سيرتك فى كل ما ولاك ومحض اخلاصك وقديم اختصاصك وأجراك على رسم هذه الخدمة فى التشريف والحملان والتنويه ومضاعفة الاحسان .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين مستشعراً للتقوى عادلا عن الهوى سالكا سبيل الهدى ... وخذ العهد على كل مستجيب راغب وشد العقد على كل منقاد

ظاهر ممن يظهر لك اخلاصه ويقينه ويصح عندك عفافه ودينه وحضهم على الوفاء بما تعاهدهم عليه . . . وكف كافة أهل الخلاف والعناد وجادلهم باللطف والسداد ، واقبل منهم من أقبل إليك بالطوع والانقياد ولا تكره أحدا على متابعتك والدخول فى بيعتك . . . ولا تلق الوديعة إلا لحفاظ الودائع ولا تلق الحب إلا فى مزرعة لا تكدى على الزارع ، وتوخ لغرسك أجل المغارس وتوردهم مشارع ماء الحياة المعين وتقربهم بقربان المخلصين وتخرجهم من ظلم الشكوك والشبهات إلى نور البراهين والآيات — واتل مجالس الحكم التى تخرج إليك فى الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات فى قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة . وصن أسرار الحكم إلا عن أهلها ولا تبذلها إلا لمستحقها ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله ولا تستقل أفهامهم بتقبله . واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول ودل على اتصال المثل بالممثون ، فإن الظواهر أجسام والبواطن أشباحها والبواطن أنفس والظواهر أرواحها وإنه لا قوام للاشباح إلا بالأرواح ولا قوام للارواح فى هذه الدار إلا بالأشباح ولو افترقا لفسد النظام وانتسخ الايجاد بالاعدام . . .

واتخذ كتاب الله مصباحا تقتبس أنواره ودليلا تقتفى آثاره واتله متبصرا ورده متذكرا وتأمله متفكرا وتدبر غوامض معانيه وانشر ما طوى من الحكم فيه ، وتصرف مع ما حلله وحرمه ونقضه وأبرمه فقد فصله الله وأحكمه ، واجعل شرعه القويم الذى خص به ذوى الألباب وأودعه جوامع الصلوات ومحاسن الآداب سببا تتبع جادته وتبلغ فى الاحتجاج محجته .

وتمسك بظاهره وتأويله ومثله ولا تعدل عن منهجه وسبله ، واضمم نشر المؤمنين واجمع شمل المستجيبين وارشدهم إلى طاعة أمير المؤمنين . وسوِّ بينهم فى الوعظ والارشاد . . . وزد لهم من الفوائد والمواد على حسب قواهم من القبول وما يظهر لك من جودة المحصول . ودرجهم بالعلم ووفِّ المؤمن حقه من الاحترام ولا تعدم الجاهل عندك قولا سلاما كما علم رب السلام . وتوخ رعاية المؤمنين وحماية المعاهدين وميزهم من العامة بما ميزهم الله من فضل الايمان والدين . وألن لهم جانبك وأحسن عليهم والطف . . . وإذا ألبس عليك أمر وأشكل وصعب لديك مرام وأعضل فانهه إلى حضرة الأمامة . . ليخرج إليك من بصائر توقيفها ومراشد تعريفها مايقفك على مناهج الحقيقية ويذهب بك فى لاحب الطريقة . واقبض مايحمله المؤمنون لك من الزكاة والجزى والاخماس والقربات وما يجرى هذا المجرى وتتقدم إلى كاتب الدعوة باثبات أسماء أربابه . واحمله إلى أمير المؤمنين لينتفع مخرجوه بتنقيله له ووصوله إليه وتبرأ ذممهم عند الله منه . واستنب عنك فى أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن تثق بديانته وتسكن فيه إلى وفور صناعته . واعهد إليهم كما عهد إليك وخذ عليهم كما أخذ عليك واستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ويحمل ثقلهم عن أهل دعوته . واستخدم كاتبا دينا أمينا مؤمنا بصيرا عارفا حقيقا بالاطلاع على أسرار الحكمة التى أمر الله بصيانتها وكتمانها عن غير أهلها ، تقيا حصيفا لطيفا ينزلهم فى مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل . . . »

قد انهى إلينا المقريزى [١] تفاصيل هذه الدعوة الشيعية الفاطمية وهى تعرض دون شك لمسائل النبوة والإمامة والعقيدة الدينية وتوضح لنا مذهب الإسماعيلية الذى يدين به الفاطميون وتدعو إلى دراسة فلسفة أفلاطون وأرسطو وغيرهما من فلاسفة اليونان القدماء وإلى الأخذ بالأدلة العقلية ، ولكنها تستحيل فى النهاية إلى عقيدة فلسفية حرة ممعنة فى الانكار والإلحاد. وتجرى فى مراتب تسع متدرجة فى الأهمية وعلى الدعاة أن يعرضوا هذه المراتب بالتعاقب طبقا لاستعداد التلاميذ وأهليتهم لتلقيها والإيمان بها فلا يصل إلى مراتبها العليا إلا من كان موضع الثقة والإفضاء حريصاً على السر وكان من الأولياء المخلصين ، وقد أشير إلى ذلك فى السجل الفاطمى الذى تقدم ذكره . وعلى معلى هذه الدعوة كذلك أن يتعرفوا الطريقة المثلى التى يبدءون بها تعليمهم وهذه الطريقة لاشك تختلف باختلاف ثقافة التلاميذ ومذاهبهم ، وكان أجل تلاميذهم هم الفلاسفة إذ كانوا يصلون بهم إلى مراتب هذه الدعوة العليا دون مشقة أو جهد . فعقيدة الاسماعيلية تدعو فى النهاية إلى تعاليم الفلاسفة القدماء ومذاهبهم [٢] . وإليك خلاصة لهذه الدعوة كما جاءت بالمقريزى :

يفتتح الداعى الدعوة الأولى أو المرتبة الأولى بسؤال المدعو إلى المذهب الفاطمى عن بعض المشكلات الدينية والشرعية وبعض المسائل الطبيعية ، فإذا

---

(١) الخطط جـ ص ٢٢٧ وما يليها ، راجع كذلك
O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp. 24. — 29.
الذى علق على مراتب هذه الدعوة التسع وبين ما اشتملت عليه من الدعوة لمذاهب الفلاسفة اليونانيين وما كانت ترمى اليه من نسخ عقائد الاسلام وما وردت به الكتب المقدسة وما نزل على الأنبياء جميعهم عليهم أزكى الصلاة والسلام .

(٢) راجع O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp. 30—32.

كان المدعو عارفا ملما بهذه المسائل أقره الداعى وإلا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له : يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف . فيتشوق حينئذ المدعو إلى معرفة ماعند الداعى من العلم ، فاذا علم منه الاقبال أخذ فى ذكر معانى القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التى نزلت بالأمة وشتتت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها ، غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا فى الأمور بعقولهم وأتبعوا ماحسن فى رأيهم وقلدوا سفلتهم وأطاعوا سادتهم اتباعا للملوك وطلبا للدنيا وغيروا فى كتاب الله وسنة نبيه وخالفوا دعوته وعملوا على فساد شريعته وخالفوا الأئمة من بعده — فسدت أحوالهم وانحدروا إلى أنواع الضلالات ، فإن دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما عرفته دهماء العامة ولكنه علم خفى غامض ستره الله فى حجبه ، فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد مؤمن أصطفاه الله . وقد جاء فى كتاب الخطط المقريزية[1] كثير من الأسئلة التى يسألها الداعى المدعو لكى يشككه ويثير فيه حب الاستطلاع وكلها تتعلق بأصل الخليقة والعالم الآخر وتركيب جسم الإنسان وتأويل القرآن وتفسير السنن والأحكام ، فإذا سأله المدعو عن الجواب استمهله الداعى حتى يجىء وقت الافضاء ثم يتلو عليه بعض

(١) ج ٢ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

الأيات فى الوفاء بالعهد وتوكيد الايمان ويطالبه بالعهد الذى يجب أن يعطيه كل مدعو عن نفسه بالوفاء والكتمان وإلا يفشى لهم سرا ولا يظاهر عليهم أحداً ولا يوالى لهم عدواً ، فاذا أعطى المدعو العهد يطالبه بعد ذلك الداعى بمبلغ من المال يكون رسما للدخول فى الدعوة ومقابل كشف الأمور له وتعريفه اياها . فان أمتنع المدعو أمسك عنه الداعى ووقف به عند المرتبة الأولى للدعوة وإن أجاب وأعطى الجعل المطلوب وأنس فيه الداعى قبولا ووثق بحرصه وكتمانه نقله إلى الدعوة الثانية .

وفى هذه الدعوة أو المرتبة الثانية يقول الداعى للمدعو ان الله تعالى لم يرض فى إقامة حقه وماشرعه لعباده إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراد الله تعالى ، ويستدل الداعى على ذلك بعدة أدلة وردت بكتب الشيعة ، فإذا أيقن أن المدعو قد أقتنع بنظرية الأمامة انتقل به إلى الدعوة الثالثة .

وفى هذه الدعوة الأخيرة يلقن المدعو أن الائمة سبعة وهم على بن ابى طالب والحسن بن على والحسين بن على وعلى بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان . ويعرفه أن الشيعة مختلفون فى هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسماعيل .

فاذا تقرر عند المدعو أن الائمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من

الشيعه القائلين بامامة اثنى عشر[١] اماما وسار الى معتقد الاسماعيلية بان الامامة انتقلت الى اسماعيل ثم الى ولده محمد ، وان محمد بن اسماعيل هذا عنده علم المستور وبواطن الامور وعلم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور. وان دعاتهم هم الوارثون لعلمهم دون سائر طوائف الشيعة ويؤيد الداعى ذلك بكثير من ادلة الاسماعيلية .

أما الدعوة أو المرتبة الرابعة فهى بدء التحول الى المراتب العليا ولا ينتقل اليها الداعى بالمدعو الا اذا وثق من حسن انقياده وايمانه بما تقدم ، وفيها يلقنه مرة أخرى أن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق هو الذى انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع فى تفسيرها دون غيره ، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية فى موافقته واتباعه والضلال والحيرة فى العدول عنه . فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل به الداعى الى الدعوة الخامسة وفيها يقرر الداعى انه لابد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى الارض .

---

(١) يقول الاثنا عشرية بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة أخيه الأكبر اسماعيل فى حياة أبيه . فأول أئمتهم أمير المؤمنين على المرتضى ثم ابنه الحسن المجتبى ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ثم على السجاد زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه على الرضا ثم ابنه محمد التقى ثم ابنه على النقى ثم ابنه الحسن الزكى المعروف بالعسكرى ثم ابنه محمد الحجة وهو المهدى المنتظر . فهم والاسماعيلية مشتركون فى أئمتهم حتى جعفر الصادق ثم من بعد ذلك يختلفون ، فمنهم من يعتقد بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وهم الاسماعيلية ومن يقول بامامة أخيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق كما تقدم وهم الاثنا عشرية . (راجع الشهرستانى — الملل والنحل ج ٢ ص ٥ و ٢٧ وما يليها ، ابن خلدون — المقدمة ص ٢٢٣ و ٢٢٤ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٢٩) .

وفى الدعوة السادسة يتحدث الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بامور مخالفة للظاهر ، وانها وضعت على سبيل الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الارض . فاذا اعتقد المدعو صحة ذلك وأن أحكام الشريعة وضعت على سبيل الرمز وأن لها معانى أخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام افلاطون وارسطو وفيثاغورس وغيرهم . ويعلمه كذلك أن منطق العقل هو المعول عليه فى فهم الأمور وانه يجب أن لا يؤخذ بالاخبار والأشياء المنقولة وانما يجب الأخذ بالأدلة العقلية دون غيرها . ويحتاج المدعو لتعلم أركان هذه الدعوة السادسة وما شملته من دراسة فلسفية الى زمن طويل .

ثم ينتقل المدعو الى الدعوة السابعة والدعوة الثامنة وهما من نوع الدعوة السادسة . أما الدعوة أو المرتبة التاسعة والأخيرة فهى النتيجة التى يحاول الداعى بتقرير جميع الدعوات السابقة رسوخها فى نفس المدعو . فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز احاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهى وغير ذلك من العلوم الفلسفية . حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعى قناعه وقال للمدعو إن ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معانى المبادىء وتقلب الجواهر وأن الوحى انما هو صفاء النفس فيجد النبى فى فهمه ما يلقى اليه وينزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم

به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة فى سياسة الكافة . ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف المستنير فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته ، وأن الأنبياء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة الى غير ذلك من التعاليم الفلسفية والشروح الالحادية . ومما لا شك فيه أن المدعو ينتهى فى هذه المرتبة الأخيرة بفقد العقيدة الاسلامية والعقيدة الدينية بأسرها ويستعيض عنها بقول الفلاسفة القدماء[١] . وظاهر أن هذا هو كل ما كانت ترمى اليه الدعوة الفاطمية .

هذه خلاصة الدعوة الفاطمية[٢] التى كانت تلقن فى مجالس الحكمة

---

(١) يقول أوليرى دى ليسى أن مذهب الاسماعيلية الذى يتلخص فى هذه الدعوة قد أخذ شيئا كثيراً عن مذهب الافلاطونية الحديثة واستخدم ما نقله اخوان الصفا فى رسائلهم من هذا المذهب الأفلاطونى (O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalfate, pp. 139, 140, 257, 258.)

(٢) لم تكن هذه الدعوة جديدة فى الواقع ولم يبتدعها الفاطميون ولكنها اشتقت من الدعوة الباطنية التى نظمت فى أواخر القرن الثانى للهجرة فى جنوب فارس وأسفرت عن ثورة القرامطة فى البحرين ثم غزت افريقية بعد ذلك وأسفرت عن قيام الدولة الفاطمية فى أواخر القرن الثالث للهجرة .

وقد نشأت الدعوة الباطنية على يد جماعة من الثوريين الملاحدة بزعامة أبى شاكر ميمون بن ديصان البوانى المعروف بالقداح . وكان فارسيا مجوسيا من سبى الاهواز تظاهر بالاسلام والتشيع والدعوة لآل البيت ثم وضع هو واصحابه دعوتهم الباطنية التى انتشرت فى البلاد الاسلامية على يد دعاته وكانوا جميعهم يتظاهرون بالتشيع ويعملون فى الخفاء على بث مبادئهم الالحادية وهدم العقيدة الاسلامية .

وقد وصف عبد القاهر البغدادى (الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ وما يليها) الباطنية بقوله انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ويعتمدون على الفلاسفة==

بالقصور الزاهرة وبديهى أن مراتبها العليا التى تدعو إلى الفلسفة الالحادية كانت سرية لا يطلع عليها أو يأخذ بها إلا الخاصة المقربون المستنيرون الذين يستطيعون تفهم المذاهب اليونانية القديمة . أما عامة الشعب فكانوا يلقنون الدعوة فى مراتبها الأوليـــة التى تقف عند الاعتقاد بالامامة والاخلاص للأئمة وبالدعوة للاسماعيلية دون الاثنا عشرية ، فلم يكن المدعو فى هذه الحال يتجاوز المرتبة الثالثة . ولاشك ان هذه الدعوة قد صيغت بمنتهى الزكاء والمهارة ونظمت مراتبها بدقة مدهشة ساعدت الخلافة الفاطمية على حشد كثير من المصريين تحت لوائها واستطاعت عن طريق الدين وعن طريق الفلسفة أن

= فى نشر مذهبهم وقد جعلوا دعوتهم الى بدءتهم على مراتب تسع سموها : التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان والعهود وآخرها الخلع والسلخ . وهى لا تختلف فى قليل أو كثير عن الدعوات التسع التى لخصناها عن كتاب الخطط للمقريزى

أما صاحب كتاب الفهرست فقد ذكر (ص ١٨٦ وما يليها) أن الدعوة الاسماعيلية كانت على سبع درجات من الاتباع ولكل طبقة كتاب يتضمن ما تعرفه — يسمى بالبلاغ . وهى كتاب البلاغ الأول للعامة وكتاب البلاغ الثانى لفوق هؤلاء قليلا وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنين وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين وكتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب أربع سنين وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر . وقد قرأه ابن النديم فرأى فيه أمرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها .

وقد عرفت دعوة ابن ميمون هذه بالدعوة الباطنية نسبة إلى قول دعاتها بالامام الباطن أو المستور أو لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا . وربما عرفوا بذلك أيضا لأنهم كانوا يكتمون مبادءهم ويلقونها سرا . أما اطلاق الدعوة الاسماعيلية عليها فلقول دعاتها بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق كما مر بنا (راجع كذلك الشهرستانى — الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩ ابن خلدون — المقدمة ص ٢٢٣ ، الخطط ج ٢ ص ٢٢٩ و ٢٣٣ وما يليها .) .

تؤثر فى عقول عامة الشعب وخاصتهم (وهذه الدعوة فى جميع مراتبها تنم عن أن أصحابها والقائمين بأمر تعليمها من الدعاة كانوا يعتمدون فى صوغها وتعليمها أو تلقينها على دراسة كثير من العلوم النقلية والعقلية، وهم بالقائها على تلاميذهم كانوا يوقفونهم على هذه العلوم ويزيدون فى تعليمهم وثقافتهم. وكان ذلك يتم بطريقة تربوية منظمة يتدرجون فيها من السهل إلى الصعب ومن الواضح إلى الغامض.)

ويظهر أن الفاطميين هم أول من أفرد للدعاة مكانا كبيراً فى القصر. ويقول متز[١] فى هذا الصدد أن دولة الفاطميين أوجدت هيئة شبيهة بالكهنوت تعترف بهم رسميا وتعطيهم أرزاقا وهو مالم يحدث قط فى الاسلام. وقد أورد لنا المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفا[٢] نص الكتاب الذى بعث به المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم زعيم القرامطة حين أغار على مصر قبيل رحيل المعز إليها. وفيه مايدل دلالة واضحة على مقدار اهتمام الفاطميين بأمر الدعوة والدعاة فقد جاء به يلى[٣]: «فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون باسنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الالسن. وفى كل جزيرة وأقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون وهو قول الله عز وجل: وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم.»

وقد لاقت الدعوة الفاطمية نجاحا عظيما فى عهد الحاكم بأمر الله[٤] وانشئت

---

(١) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٦٢، ٦٣. (٢) ص ١٣٣ — ١٤٣.

(٣) اتعاظ الحنفا ص ١٣٩ وما يليها.

(٤) الخطط ج ٤ ص ١٥٨

فى عهده كذلك دار العلم لتقوم الى جانب القصر ببث الدعوة الفاطمية بطريقة علمية تمتزج فيها الفلسفة بالدين وتكون أجل أثرا فى غزو الاذهان والتأثير عليها من مجالس الحكمة فى القصر ، اذ أن الفرق كبير بين الذين يقبلون على المجالس بالقصر والذين يقبلون على هذه الجامعة ، فهؤلاء الأخيرون لاشك اكثر ثقافة وعلما وأقدر على استيعاب النظريات الفلسفية التى هى أساس هذه الدعوة المذهبية وعماد مراتبها العالية . وكان يشرف داعى الدعاة على سير الدراسة بدار العلم ويعين لها الدعاة والاساتذة .

وكان عهد الحاكم بالاضافة الى ذلك مليئا بطائفة من الدعاة يدعون فى جرأة الى ألوهيته ، فمنهم داع عجمى يسمى محمد بن اسماعيل ويلقب بالدرزى[1] وهو من الباطنية القائلين بالتناسخ ، ظهر فى سنة ٤٠٨ هـ واتصل بخدمة الحاكم فاحسن اليه وأنعم عليه ، وكان من أمر هذا الداعى أن دعا الناس إلى أن يعتقدوا أن الحاكم هو الله صانع العوالم ومبدع الخلائق وأعلن دعوته وكشف عن مذهبه فلم ينكر الحاكم عليه قوله[2] . وصنف له كتابا ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى على بن أبى طالب وأن روح على انتقلت إلى أبى الحاكم ثم انتقلت إلى الحاكم ، وبين فيه أصول مذهبه وشرح دعوته . وقرىء هذا الكتاب بجامع القاهرة فثار الناس عليه وقصدوا

---

(١) راجع الانطاكى — تاريخه ج٢ ص ٢٢٠ وما يليها، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٤ ، O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp. 176,177

(٢) ذكر الانطاكى (تاريخه ج ٢ ص ٢٢٠ و٢٢١) فى هذا المقام أن آباء الحاكم بأمر الله دعوا إلى مذهب لا يختلف عن هذا الذى يدعو إليه الدرزى وهو أنهم آلهة حلوا فى الأرض فى أشباح بشرية ولم يزالوا يكتمون مذهبهم هذا عن من يخالفهم إلى أن كان زمان الحاكم بأمر الله فعول على إظهار مذهبه وإشهار ما كان آباؤه يسترونه ويخفونه .

قتله فهرب منهم وأنكر الحاكم أمره خوفا من الرعية وبعث إليه فى السر مالا وأمره بالخروج إلى الشام ونشر الدعوة فى الجبال فإن أهلها سريعو الانقياد. فخرج الدرزى إلى الشام ونزل بوادى تيم الله بن ثعلب غربى دمشق من أعمال بانياس ودعا إلى ألوهية الحاكم بأمر الله وأذاع فى الناس دعوته فكانت أصل مذهب الدروز الشهير الذى سمى باسمه[١].

وكان من أعظم دعاة الحاكم بأمر الله وأشهرهم داع آخر عجمى هو حمزة ابن على الزوزنى[٢] وهو من مقاطعة زوزن ببلاد فارس ويلقب بالهادى، وقد ظهر فى القاهرة فى سنة ٤٠٨هـ[٣] ودعا إلى الوهية الحاكم بأمرالله وشرح دعواه فى عدة كتب ورسائل. والظاهر أن حمزة هذا كان يقوم ببث دعوته سرا قبل سنة ٤٠٨ هـ وكان على اتصال وثيق بالحاكم بأمر الله يتلقى وحيه ويستظل برعايته. وكان يلازم الجلوس بمسجد تبر بظاهر القاهرة يدعو فيه إلى عبادة الحاكم وينادى بالتناسخ فى الأديان والشرائع وبالحلول. وقد اجتمع إليه طائفة كبيرة من غلاة الشيعة الإسماعيلية وانتشرت دعاته ورسله فى بلاد كثيرة. ويغلب على الظن أن محمد بن اسماعيل الدرزى كان من تلاميذ حمزة[٤] بن على هذا الذى يعد المؤسس الحقيقى لدعوى ألوهية الحاكم بأمر الله.

---

(١) راجع صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٨ و ٢٤٩

(٢) راجع الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ ، O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, pp. 178, 179.

(٣) يعتقد الدروز أن حمزة بن على هو مؤسس مذهبهم ويرجعون تاريخهم إلى مبدأ ظهوره فى سنة ٤٠٨ هـ . راجع O'Leary: A Short His of the Fatimid Khalifate. p. 178.

(٤) عنان — الحاكم بأمر الله ص ١١٤ ، راجع O'Leary : A Short His of the Fatimid Khalifate, p. 178.

وقد حدث فى أواخر أيام الحاكم بأمر الله أن ركب جمع من أصحاب حمزة بن على الى الجامع العتيق وتقدموا برقعة الى قاضى القضاة احمد بن محمد ابن عبد الله بن أبى العوام وأمروه بالاعتراف بالوهية الحاكم واذاعة ذلك فى الكافة فثار الناس ووثبوا على دعاة حمزة بن على وقتلوهم . ولما بلغ ذلك الحاكم شق عليه وانكر على قاضى القضاة ما جرى[1] .

أما مصير حمزة بن على فيقول يحيى بن سعيد الانطاكى[2] أنه فر بعد فقد الحاكم ثم قتل بعد ذلك وقبض على جماعة من الدعاة الى مذهبه واستتيب من رجع منهم عن مذهبه وقتل من أبى الاقلاع عنه وصلب وهلك منهم خلق كثير لاصرارهم على الثبات على كفرهم . وهكذا انهارت دعوة هؤلاء الالحاديين بمصر بانتهاء عهد الحاكم بامر الله الذى كان يحميهم . وقد خلف هؤلاء الدعاة مجموعة كبيرة من الرسائل معظمها من انشاء حمزة بن على ، وهى تحتوى على كثير من أصول الدعوة الحاكمية ووسائل بثها وتعليمها وتشير الى بعض احداث العصر . وتحتفظ دار الكتب المصرية بطائفة من هذه الوثائق الخطية التى تلقى ضوءا ساطعا على بعض النواحى الغامضة فى عصر الحاكم بأمر الله .

---

(١) راجع الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ٢٢٤ ; ابن حجر — رفع الاصر ص ٦١٢ وقد ذكر صاحب النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٨٣) ان الذى ركب الى الجامع العتيق هو الاخرم أحد دعاة الحاكم بأمر الله فى خمسين رجلا من أصحابه ، وذكر أن الاخرم هذا دخل الجامع راكبا دابته ومعه أصحابه على دوابهم وقاضى القضاة ابن أبى العوام جالس ينظر فى الحكم وسلموا للقاضى رقعة فيها فتوى وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم . فلما قرأها رفع صوته منكرا واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو .

(٢) تاريخه ج ٢ ص ٢٣٧ .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام قبل أن نختم هذا الباب الى أن الدعوة الفاطمية على الرغم مما كانت تذهب اليه من الانكار والالحاد لم تذهب الى ما ذهبت اليه فى عهد الحاكم من الاغراق والتهجم على قداسة الالوهية . بل هناك ما يدل على أن الدعوة الفاطمية كانت تنكر هذه الدعوة الحاكمية الجديدة وكان أصحاب حمزة بن على اذا لقوا أصحاب داعى الدعاة ختكين لعن بعضهم بعضا ورمى كل فريق صاحبه بالمروق والكفر[١] . هذا فضلا عن أن أولئك الدعاة الذين اصطفاهم الحاكم لبث دعوته لم يكونوا من المصريين بل كانوا فى الغالب من أبناء الشعب الفارسى الذى يضطرم بغضا للاسلام والعرب والذى وقف جهوده مدى قرون لمناوأة الاسلام وتقويض أسسه وسلطانه السياسى[٢] . وقد قاوم الشعب المصرى هؤلاء الدعاة وفتك بمعظمهم واضطرهم الى الفرار ولم يستطع واحد منهم أن يكون له بمصر حزب من الأنصار كما حدث فى بلاد الشام حيث نشأت طائفة الدروز التى لا تزال قائمة الى اليوم[٣] .

وقد جاهرت الخلافة الفاطمية ذاتها بعد وفاة الحاكم بأمر الله بزمن قليل ببغضها لهذه السياسة الحاكمية وأوضحت موقفها من الدعوة والدعاة فى عهد الحاكم فى سجل رسمى[٤] صدر فى عهد الظاهر لاعزاز دين الله

---

(١) يحيى بن سعيد الانطاكى — تاريخه ج ٢ ص ٣٢٤

(٢) ابن حزم — الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٢ ص ١١٥ وما يليها

(٣) راجع O'Leary : A Short His of the Fatimid Khalifate, pp. 259,260.

(٤) راجع تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى — ج ٢ ص ٢٣٦ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ .

الفاطمى ، ومن ثم رجعت الى سياستها المذهبية القديمة وعادت الى تحفظها القديم .

ومهما يكن من شىء فان الدعوة الفاطمية على الرغم مما اتصفت به من كفر والحاد فانها ساعدت فى مراحلها الأولى ومراتبها البدائية على تثقيف عدد كبير من أفراد الشعب المصرى لما تطلبته منهم من دراسة علوم الفقه واللغة والفلسفة ، وكانت بذلك من أسباب نشر العلم والتعليم فى العصر الفاطمى .

خاتمة

خاتمة

قامت الدولة الفاطمية بمصر والحركة الفكرية تجوزطورا من أطوار قوتها ، فقد كانت الدولة الإخشيدية التى استخلص الفاطميون منهاتراث مصر نصيرة للعلوم والآداب ونبغ فى ظلها عدد وافر من العلماء والفقهاء كابن يونس وأبى بكر الحداد وأبى عمر الكندى وأبى جعفر النحاس والحسن بن زولاق . ولقد ازدهرت هذه الحركة الفكرية فى عهد الدولة الفاطمية بقيام الجامعة الأزهرية وتأسيس دار العلم وتشجيع الطلاب والعلماء وإجراء الأرزاق عليهم وعقد مجالس المناظرة بينهم والانفاق على معاهد التعليم المختلفة وتزويدها بما تحتاج إليه من كتب وأدوات . فنبغ فى العصر الفاطمى الأول عدد كبير من العلماء أمثال بنى النعمان والمسبحى وابن الهيثم والقضاعى والحوفى وابن بابشاذ وغيرهم . ووفد على مصر كثير من الشعراء كابى حامد ابن محمد الانطاكى وأبى الحسن على بن عبد الواحد المعروف بصريع الدلا. وغيرهما .

ولقد كان لسياسة الدعوة للمذهب الفاطمى أكبر الأثر فى حياة الفاطميين فقد أكثروا من بناء المساجدالتى كانت دوراً ممتازة للتعليم ووقفوا الاوقاف عليها وأنشأوا مكتبة عظيمة نافست مكاتب بغداد وقرطبة ، وشجعوا العلماء والشعراء والأدباء بالهبات الوافرة والخلع والاعطيات كى يشيدوا بذكرهم ويدعوا إلى مذهبهم . واستطاعت هذه الدولة الفتية بفضل دعاتها تارة

وبقوة السيف وبذل المال، تارة أخرى أن تحقق كثيرا من أغراضها كنشر مذهبها الدينى وبث عقائد الاسماعيلية وحشد عدد كبير من المصريين تحت لوائها وبسط سلطانها على كثير من البلدان[١]. وأمكنها إلى جانب ذلك أن تنهض بالتعليم والعلم والآدب وتتفوق فى هذه الناحية على كثير من من الدول المصرية السابقة واللاحقة. وكان للمرأة فى ذلك العهد نصيب كبير من العلم، فقد كانت تعقد للنساء[٢] مجالس خاصة بمركز الداعى بالقصر وبالجامع الأزهر لكى يلقن الدعوة الفاطمية، ولا يخفى ما كان يتبع ذلك من تثقيفهن وتعليمهن كثيراً من العلوم الدينية واللغوية. أما أهل الذمة فكان جل تعليمهم فى الكنائس والأديرة.

على أن الروح المذهبية والتعصب للمذهب الفاطمى كانا فى كثير من الأحيان عقبة كأداء فى سبيل حرية التعليم والتعلم وسببا فى اضطهاد كثير من العلماء أو قتلهم لمجرد عدم الاذعان لمبادىء الدولة وتعاليمها وميولها. فكان الدافع للتعليم فى الحقيقة سياسيا مذهبيا وكان لهذا أثره فى تضييق نطاقه، وكان للتدخل المذهبى من جانب الدولة فى التعليم تأثيره فى توجيه العلماء وفى العقائد الدينية.

كان للدين فى ذلك العصر سيطرة عظيمة على التعليم قد تقلل من قوة

---

(١) نجح الفاطميون على توالى الأزمان، فى بسط نفوذهم على شمال افريقية وصقلية والشام وآسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأحمر واعترف بنفوذها أئمة اليمن وأمراء الموصل وبلاد ما وراء النهر ومكة المكرمة والمدينة المنورة بل وبغداد حاضرة العباسيين أنفسهم. (راجع الفاطميون ص ٣١٥)

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٢٦.

التجديد والابتكار أو البحث والتنقيب . كما كان للعلوم النقلية الغلبة على العلوم العقلية فى أغلب دور التعليم ، الا أنه على الرغم من ذلك كان الدين عاملا مساعدا على القراءة والدرس والتجمل بالصفات الحميدة . وكانت التربية فى الديار المصرية فى عهد الفاطميين ديمقراطية ودور التعليم مفتوحة الأبواب للغنى والفقير معا ، وكانت الدولة تتعهد المعلم والطالب بعنايتها واعداد المأكل والمشرب والمسكن لهما . وأن عناية الدولة المصرية الآن بطلاب الأزهر واسكان الغرباء منهم فى الاروقة الملحقة به ومجانية التعليم به استمرار لما كان فى العهد الفاطمى الذى يرجع اليه الفضل فى تأسيس هذه الجامعة الازهرية التى وفدت اليها الجماهير الغفيرة من كل مكان . واستطاعت هذه الجامعة أن تحفظ للدين الاسلامى كيانه وأن تكون موئلا للثقافة الدينية وعنصرا هاما من عناصر الحركة الفكرية على مر السنين والأعوام .

ولقد أصيبت الحياة الفكرية فى مصر بكثير من الاضطراب والضعف فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ونكبت مصر بالشدة العظمى[1] وعانت عسف القحط والوباء أعواما طويلة (٤٤٦ — ٤٦٤ هـ) وشغل المجتمع المصرى حينا بما توالى عليه من الارزاء والمحن ، وشغل رجال الدولة بالتنازع على السلطان وفسدت الأمور واتصلت الفتن بين طوائف العساكر العبيد والاتراك ، ويئس من الرخاء والصلاح وبيع الرغيف غاليا واكل الناس الخيل والحمير والكلاب والقطط حتى أتوا على آخرها ثم انقلبوا يأكل بعضهم بعضا وصار

(١) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٠٣ ، الخطط ج ٢ ص ١٣٧ — ١٤١ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣ و١٧ و٥٩ و٧٤ و٧٩ و٨٤ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٤ ، راجع Lane. Poole : A Short His. of Egypt in the Middle Ages, pp. 145—150

لحم الآدمى يباع فى الاسواق . وفنيت ثروة المستنصر ونهب الجند من الاتراك قصره ونفائسه حتى لم يبق له غير سجادته التى يجلس عليها[١] . وكان لذلك أسوأ الاثر فى التعليم فقد عجزت الدولة عن الانفاق على معاهد العلم لنضوب مواردها وبددت خزائن الكتب النفيسة المنقطعة النظير[٢] . وقل تحصيل طلاب الجامعتين الأزهرية ودار العلم وانصرف الناس عن طلب العلم إلى طلب القوت . وظل الأمر على هذه الحال إلى أن قيض الله لمصر أمير الجيوش بدر الجمالى والى عكاء فقدم مصر سنة ٤٦٦هـ[٣] واستطاع هو وولده من بعده أن يعيدا النظام والرخاء إلى البلاد واستعادت الحياة العلمية والفكرية نشاطها فى مصر تبعا لذلك . وبدأ الانفاق على دور التعليم واستطاع الطلاب استئناف نشاطهم الدراسى .

وبعد وفاة المستنصر سنه ٤٨٧هـ لم يعد للخلفاء الفاطميين حول ولا قوة وأصبح الحكم فى مصر بيد وزراء متنازعين[٤] يريد كل منهم أن يصرف الأمور كما يهوى لا يتقيد برغبة الخليفة فى شىء، وكان الوزير هو سلطان[٥] مصر وصاحب الحل والعقد، وإليه الحكم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية . وأهملت طريقة الوراثة فى الخلافة وصار كل وزير يختار من بين سلالة

---

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٩٨ ، أبو الفدا ج ٢ ص ٢٠٥ ، الخطط ج ٢ ص ٢٣٦

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٥٤ ، راجع Lane Poole: A Short His. of Egypt in the Middle Ages, p. 149.

(٣) راجع ابن منجب الصيرفى — الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٥٥ و ٥٦ ، الخطط ج ١ ص ٦ ، ج ٢ ص ١٧١ و ٢١١ — ٢١٣

(٤) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٤٧

(٥) الخطط ج ٢ ص ٣٠٥

الفاطميين أصغرهم سنا او أضعفهم إرادة ليقيمه على عرش الخلافة كلما خلا ، وقد ظهر ذلك واضحا فى عهد الوزير الأفضل [١] بن أمير الجيوش بدر الجمالى الذى كان يتمتع بالسلطة المطلقة والذى كانت فى قبضة يده موارد الدولة الفاطمية الواسعة ، أما داره فقد غدت المحور الذى تدور عليه الأعمال الحكومية [٢] .

تبينا مما تقدم أن الخلفاء الفاطميين قد عنوا عناية عظيمة بحفظ رسومهم الدينية ونشر دعوتهم المذهبية وتلقين تعاليم الاسماعيلية ، لما فى ذلك من النتائج السياسية الباهرة والتأثير فى عقول أفراد الشعب وضمان إخلاصهم للخليفة الذى كان هو الامام الأكبر ، والعمل على حفظ كيان الدولة الفاطمية وبسط سلطانها فى سائر أنحاء البلاد . وظل الحال على هذا المنوال طوال أيام الفاطميين الزاهرة حين كان يتمتع الخلفاء بالقوة والسلطان ، فلما انتقل الحكم إلى الوزراء كان لهذا أثر كبير فى ضعف الدعوة للمذهب الإسماعيلى ، فقد كان من بين الوزراء من لا يميل إلى المذهب الشيعى ، مذهب الفاطميين ، فقلت أهميته ولم تعد التقاليد الدينية الفاطمية مرعية فى جميع الظروف والأحوال . وليس أدل على ذلك مما حدث فى زمن الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، أو ما حدث فى عهد ابنه أبى على أحمد الملقب بالأكمل . فقد اعتنق الأفضل مذهب الأمامة الإثنا عشر وكان يميل ميل السنيين ، فألغى الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد فاطمة وعلى رضى الله عنهما ومولد

---

(١) تولى الأفضل بن بدر الجمالى الوزارة بعد أبيه . وكان ذلك فى عهد المستنصر وظل الأمر بيده إلى عهد الآمر (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ) الذى تم له قتله (راجع وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢١ و ٢٢٢ .)

(٢) النظم الاسلامية ص ١٧٣ — ١٧٥ .

الخليفة القائم بالأمر[١] . أما ابنه وكان وزيراً للحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) فقد منع ذكر اسم الخليفة فى الخطبة وقضى على كثير من تقاليد المذهب الإسماعيلى وعين فى سنة ٥٢٥ هـ أربعة من القضاة ، اثنين من الشيعة واثنين من السنيين ، وكان القاضيان الشيعيان أحدهما إماميا والآخر اسماعيليا ، أما السنيان فكان أحدهما شافعيا والآخر مالكيا ، وأعطى لكل السلطة المطلقة فى إصدار أحكامه على وفق مذهبه[٢] . وقد أثارت هذه السياسة التى لا تمت بصلة إلى مبادىء الإسماعيلية والتى تعمل على تقويض دعائم حكم الفاطميين الذين يعنون بتأييد دعوتهم وأنهم من سلالة على — غضب الشيعيين وحنقهم فدبروا مؤامرة للتخلص من الأفضل ثم من ابنه الذى قتل سنة ٥٢٦هـ[٣] .

كان لهذا الضعف الذى سرى الى كيان الدولة الفاطمية وانتقال السلطة من ايدى الخلفاء الفاطميين الى الوزراء وعدم العناية باقامة التقاليد الاسماعيلية أو ابطالها أثر كبير فى التعليم ، فقد اضطربت شئونه وفتر نشاطه وأصبح يميل الى المذهب السنى والى علوم السنية ، وكان نصيب دار العلم لاتصالها اتصالا وثيقا بالمذهب الشيعى والدعوة الفاطمية الاغلاق على يد الافضل بن أمير الجيوش بدر الجالى فى زمن الآمر بأحكام الله كما تقدم ، وقد خشى الوزير من ابقائها نصرة المذهب النزارى ، ولما أعيدت بعد مقتله على يد الوزير المأمون البطائحى سنة ٥١٧ هـ كانت اعادتها على نمط جديد روعى فيه تخفيف صبغتها

---

(١) الفاطميون ص ٢٧٩

(٢) الخطط ج ٤ ص ٤٦ و ١٦٠ ، الفاطميون ص ٢٣٠ — ٢٣١ ، النظم الإسلامية ص ١٢٤ و ٣٤٩

(٣) الخطط ج ٤ ص ١٦٠ .

المذهبية والعناية بدراسة علوم القرآن الكريم[١] .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل زاد وهن الدولة الفاطمية وضعفها وكثرت المؤامرات السرية بالبلاد وارتفع الى كرسى الوزارة من لا يدين بالمذهب الاسماعيلى بل يعمل على هدمه والقضاء عليه ، فكان الوزير ابن السلار[٢] الذى تلقب بالملك العادل سيف الدين والذى وزر للخليفة الظافر الفاطمى (٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) سنيا مغاليا . وكان اعتلاؤه الوزارة مؤذنا بزوال سلطة الفاطميين الدينية ثم سلطتهم السياسية بعد ذلك وممهدا لسقوط دولتهم فى النهاية وانتقال العرش الى ايدى الايوبيين السنيين الغلاة .

ولقد تأثر التعليم فى مصر بازدياد سلطة السنيين[٣] واستطاع ابن السلار الوزير المتقدم الذكر أن يؤسس مدرسة للشافعية بالاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ ، وكانت هذه المدرسة على نمط جديد وتشبه فى كثير من الوجوه مدارس نظام الملك التى أسست للقضاء على المذهب الشيعى وللدعوة للمذهب السنى . وأسند ابن السلار عمادة هذه المدرسة الى الحافظ السلفى الفقيه الشافعى ، وكان منهجها دينيا لا يمت بأية صلة الى العلوم الطبيعية[٤] . ولقد مهدت هذه

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٣٣٥ — ٣٣٧

(٢) لما اعتلى الظافر العرش بدأ حكمه بطرد الوزير ابن السلار وجعل فى الوزارة نجم الدين بن مصال . فدارت بين الاثنين منافسة على تولى الوزارة الى أن قتل ابن مصال وأعترف الخليفة لابن السلار بالوزارة مرغما . وكان هذا النزاع الذى دار بين ابن السلار وابن مصال المغربى الاصل هو فى الواقع نزاعا بين السنيين والشيعيين . وكان ابن السلار ، ذلك الرجل السنى المتعصب يطمع فى نشر مذهب أهل السنة فى مصر بدل المذهب الشيعى .

(راجع الفاطميون ص ٢٩٣ — ٢٩٦ .)

(٣) راجع O'Leary : A Short His. of the Fatimid Khalifate, p. 228.

(٤) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣١ و ٣٧٠ ومايليها ، صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٤٥٨ ومايليها .

المدرسة السنية لظهور المدارس فى مصر على يد صلاح الدين بن أيوب الذى أبطل مذهب الشيعة وأحيا المذهبين المالكى والشافعى وكانت مدارسه تعمل على تعليمهما ونشرهما[١] .

وقد شجع المصريون هذا التغيير وأقبلوا على دراسة مذهب مالك ومذهب الشافعى لأن هذين المذهبين كانا قد حلا من قلب الجمهور محلا كريما وكان علماؤهما لا تزال لهم رغم الجهود الفاطمية العنيفة حلقات تدريس فى الجامع العتيق ، وساعد على ذلك ضعف سلطان الفاطميين ولان كثيرا من المصريين كانوا يسمون مذهب الاسماعيلية بميسم الكفر والالحاد ، وكانوا ينفرون منه لسرية الدعوة وما كان يحيط بها من غموض[٢] . فاستعاد بذلك المذهب السنى مكانته ، وعندما ولى صلاح الدين بن أيوب وزارة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين استطاع أن يزيل كل مظاهر الدولة الفاطمية والتقاليد الاسماعيلية ويصرف القضاة الشيعيين ويولى غيرهم ممن يدين بالمذهب السنى دون اية معارضة أو مقاومة من الشعب المصرى[٣] .

كان من جراء استئثار الوزراء بمناصب الخلفاء أن أخذت هذه الدولة الفاطمية فى الانحلال وأخذ نجمها فى الافول ولكن السبب المباشر لسقوطها انما يرجع فى الحقيقة الى الحروب الصليبية[٤] ، فهى التى عجلت زوال هذه الدولة العظيمة التى سيطرت ردحا من الزمن على جميع الولايات الغربية

---

(١) الخطط ج ٢ ص ١٧٥ ، ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٠ ، راجع Lane- Poole : A Short His. of Egypt in the Middle Ages, p. 204.

(٢) الخضرى — التشريع الاسلامى ص ٣٥٣ و ٣٥٤ .

(٣) الخطط ج ٢ ص ١٧٥ ، ج ٤ ص ١٦١ ، الخضرى — التشريع الإسلامى ص ٣٥٤ .

(٤) راجع أسباب سقوط الفاطميين بكتاب « الفاطميون فى مصر » ص ١٩٠ وما يليها .

للدولة العباسية الشاسعة الأرجاء . واستطاع صلاح الدين بن أيوب أن يدعو للخليفة المستضيء العباسى فى المحرم سنة ٥٦٧ هـ[١] ، فتم زوال الخلافة الفاطمية التى تأسست سنة ٣٥٨ هـ بعد أن تركت فى العالم الاسلامى أثرا عظيما من بهاء الملك وبسط السلطان واستبحار العمران وخدمة العلم ، واستطال أهل السنة على الشيعة بمصر وكان أشد الناس فجيعة فيهم عمارة اليمنى[٢] الشاعر العظيم . فرثاهم وأبكى الناس من أجلهم وبلغ من حبه للفاطميين أنه ائتمر مع نفر من دعاتهم وأرادوا العودة بدولتهم الاسماعيلية فكان نصيبهم الصلب والقتل .

هكذا كانت نهاية الدولة الفاطمية التى كانت من أعظم دول الإسلام ملكا وأرقاها حضارة وأدبا ، وقد صبغت البلاد المصرية بصبغة لا تزال باقية إلى اليوم نراها من المواسم والاعياد والحفلات الدينية ، هذا فضلا عما اشتهرت به من نظمها الإدارية المحكمة وجيوشها وأساطيلها ، وتشجيعها العلم والعلماء والتعليم والتثقيف ، ومعاملتها أهل الذمة معاملة تنطوى على العطف والرعاية . ولا شك أن إقامة الدعوة للخليفة العباسى بمصر بعد مضى قرنين وثمانى سنوات تقريبا هو انتصار السنة على الشيعة والقضاء على تعاليمهم .

---

(١) الفاطميون ص ٣١١ و ٣١٢

(٢) لم يكن عمارة على معتقد الشيعة بل فقيها شافعيا قدم مصر سنة ٥٥٠ هـ فى خلافة الفائز بالله الفاطمى (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا فى بره فأقام عندهم وتألف بهم وأتى فيهم من المدح بما يبهر العقول . ولم يزل مواليا لهم حتى زالت دولتهم فرثاهم بقصيدة طويلة كانت آخر أسباب حتفه . فصلب فيمن صلب بين القصرين من اتباع الدولة الفاطمية . وله عدة مؤلفات تاريخية منها تاريخ اليمن وكتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية وله أيضا ديوان شعر فائق . (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٣٠ وما يليها) .

مصادر الكتاب

نورد فى الثبت الآتى أهم المصادر التى رجعنا اليها وقد رتبت اسماء المؤلفين فى جميعها حسب أحرف الهجاء .

* * *

ابراهيم جلال :

١ — « المعز الفاطمى » (القاهرة ١٩٤٤ م) .

ابن الأثير : (+ ٦٣٠ هـ = ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبى الكرم .

٢ — « الكامل فى التاريخ » ١٢ جزءا (القاهرة ١٣٠١ هـ) .

أحمد أمين :

٣ — « فجر الاسلام » (القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م) .

٤ — « ضحى الاسلام » ٣ أجزاء (القاهرة ١٩٣٤ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ م)

أحمد عزت عبد الكريم : الدكتور

٥ — « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » (القاهرة ١٩٣٨ م)

أحمد عيسى : الدكتور

٦ — « تاريخ البيمارستانات فى الإسلام » (دمشق ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩م) .

أحمد فريد رفاعى : الدكتور

٧ — « عصر المأمون » ٣ أجزاء (القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م)

ابن أبى أصيبعة : (+ ٦٦٨ هـ = ١٢٧٠ م) أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة موفق الدين .

٨ — « عيون الانباء فى طبقات الأطباء » جزءان (القاهرة ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م)

أوليرى : دى ليسى O'Leary : De Lacy

٩ — "A Short History of the Fatimid Khatifate." (London. 1923.)

ابن بطوطة : (+ ٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) — أبو عبد الله محمد بن عبد الله .

١٠ — « الرحلة » جزءان (القاهرة ١٩٢٨ م)

البغدادى : (+ ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر

١١ — « الفرق بين الفرق » (القاهرة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م)

الجاحظ : (+ ٢٥٥ هـ = ٨٦٩) أبو عثمان عمرو بن بحر .

١٢ — « البيان والتبيين » (القاهرة ١٣١١ هـ)

ابن جبير : (+ ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى

١٣ — « رحلة ابن جبير » .

ed. by W. Wright. (Leiden, 1852.)

جرجى زيدان :

١٤ — « تاريخ التمدن الاسلامى » ٥ أجزاء (القاهرة ١٩٣٥ و ١٩٢٦ و ١٩٣١ و ١٩٢٧ و ١٩٣١ م) .

جريفز : ف . ب Graves : F. P.

١٥ — "A History of Education during the Middle Ages. (New York, 1914.)

جولد تسيهر : اجنتس Goldziher : Ignaz.

١٦ — "Muslim Education"

s. vol. 5, Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. by James Hastings.

حاجى خليفة : (+ ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م) مصطفى بن عبد الله ملا كاتب چلبى .

١٧ — « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » (القاهرة ١٢٧٤ هـ)

حسن ابراهيم حسن : الدكتور

١٨ — « الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجـــه خاص »
(القاهرة ١٩٣٢ م) .
١٩ — « تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى » ٣ أجزاء
(القاهرة ١٩٣٥ و ١٩٤٥ و ١٩٤٧ م) .
حسن ابراهيم حسن : الدكتور بالاشتراك مع على ابراهيم حسن . الدكتور
٢٠ — النظم الاسلامية » (القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م) .
ابن حزم : (+ ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) أبو محمد على بن أحمد .
٢١ — « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ٣ أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ)
الخضرى : محمد
٢٢ — « تاريخ التشريع الاسلامى » (القاهرة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م) .
ابن خلدون : (+ ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد
٢٣ — « مقدمة ابن خلدون » (القاهرة ١٣٢٧ هـ)
ابن خلكان : (+ ٦٨١ هـ = ١٢٨١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم
ابن ابى بكر الشافعى .
٢٤ — « وفيات الأعيان » جزءان (القاهرة ١٣١٠ هـ)
ابن دقمان : (+ ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م) ابراهيم بن محمد المصرى
٢٥ — « الانتصار لواسطة عقد الامصار » الجزءان الرابع والخامس (القاهرة
١٣٠٩ هـ = ١٨٩٣ م) .
الراغب الاصفهانى : (+ ٥٠٢ هـ)
٢٦ — « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » (القاهرة ١٩٠٢ م)
الزرنوجى : (+ ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م) برهان الدين .
٢٧ — « تعليم المتعلم طريق التعلم » (الاستانة ١٢٩٢ هـ) .
زكى حسن : الدكتور

٢٨ — « كنوز الفاطميين » (القاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م) .
٢٩ — « الفن الاسلامى فى مصر من الفتح العربى الى نهاية العصر الطولونى » (القاهرة ١٩٣٥ م)
زكى حسن : الدكتور بالاشتراك مع آخرين .
٣٠ — « فى مصر الاسلامية » (القاهرة ١٩٣٧ م) .
ابن سعيد : (+ ٦٧٣ هـ = ١٢٧٥ م) على بن موسى المغربى .
٣١ — « المغرب فى حلى المغرب » (ليدن ١٨٩٨ م)
سليمان رصد : الحنفى الزيانى .
٣٢ — كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر » (القاهرة ١٣٢٠ هـ)
السيوطى : (+ ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين .
٣٣ — « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » القاهرة ١٣٢٦ هـ)
٣٤ — « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » جزءان (القاهرة ١٣٢٧ هـ)
الشهرستانى : (+ ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) أبو الفتح بن عبد الكريم .
٣٥ — « الملل والنحل » ٣ أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ) .
طوطح : خليل .
٣٦ — « التربية عند العرب » (القدس ١٩٣٣ م) .
ابن عبد البر النمرى القرطبى : (+ ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) أبو عمر يوسف .
٣٧ — « مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » (القاهرة ١٣٢٠ هـ)
على ابراهيم حسن : الدكتور
٣٨ — « تاريخ جوهر الصقلى » (القاهرة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٣ م) .
على عبد الواحد وافى : الدكتور
٣٩ — « لمحة فى تاريخ الأزهر » (القاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م)

على مبارك :

٤٠ — « الخطط التوفيقية » ، ٢٠ جزءا (بولاق ١٣٠٦ هـ) .

عنان : محمد عبد الله

٤١ — « الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية » (القاهرة ١٩٣٧ م) .

٤٢ — « تاريخ الجامع الأزهر » (القاهرة ١٩٤٢ م) .

الغزالى : (+ ٥٠٥ هـ — ١١١١ م) الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد .

٤٣ — « فاتحة العلوم » (القاهرة ١٣٢٢ هـ)

٤٤ — « كتاب احياء علوم الدين » ، أربعة أجزاء (القاهرة ١٣٣٢ هـ) .

أبو الفدا : (+ ٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م) اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماة .

٤٥ — « المختصر فى أخبار البشر » ، ٤ أجزاء (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

ابن القفطى : (+ ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) جمال الدين على بن يوسف بن ابراهيم ابن عبد الوهاب .

٤٦ — « اخبار العلماء باخبار الحكماء » (ليبسك ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٣ م) .

القلقشندى : (+ ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .

٤٧ — « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » ، ١٤ جزءا (القاهرة ١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م) .

قنديل : أمين مرسى

٤٨ — « أصول علم النفس » ، جزءان (القاهرة ١٩٢٧ م) .

٤٩ — « أصول التربية وفن التدريس » (القاهرة ١٩٢٨ م) .

كبرلى : أ . ب Cubberly, E. P.

٥٠ — "Readings in the History of Education." (U. S. A.)

الكتبى : (+ ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م) محمد بن شاكر بن أحمد .

٥١ — « فوات الوفيات » ، جزءان (بولاق ١٢٩٩ هـ) .

كرد على : محمد

٥٢ — « الإسلام والحضارة العربية » جزءان (القاهرة ١٩٣٤ و ١٩٣٦م)

الكندى : (+ ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف .

٥٣ — « كتاب الولاة والقضاة » — به ذيل مأخوذ معظمه من كتاب « رفع الأصر » لابن حجر العسقلانى . (بيروت ١٩٠٨ م) .

ed. by Rhuvon Guest,
E. J. W. GibbMemorial Series, vol. XIX, 1912.

لينبول : ستانلى Lane.- Poole : Stanley.

٥٤ — «A History of Egypt in the Middle Ages» (London 1914)

٥٥ — «The story of Cairo .» (London 1918.)

الماوردى : (+ ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البغدادى البصرى .

٥٦ — « الأحكام السلطانية » (القاهرة ١٢٩٨ هـ) .

متز : آدم Mez: Adam

٥٧ — « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » جزءان — ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة (القاهرة ١٩٤٠ و ١٩٤١ م) .

أبو المحاسن : (+ ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م) جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى

٥٨ — « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ) .

محب الدين الخطيب :

٥٩ — « الأزهر »

محمد كامل حسين : الدكتور

٦٠ — « فى الأدب المصرى الإسلامى »

محمود عكوش :

٦١ — « تاريخ ووصف الجامع الطولونى » (القاهرة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م)

مصطفى أمين :

٦٢ — « تاريخ التربية » (القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م) .

مصطفى بيرم :

٦٣ — « الجامع الأزهر » (القاهرة ١٣٢١ هـ)

المقدسى : (+ ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى

٦٤ — « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » (ليدن ١٨٧٧ م) .

المقريزى : (+ ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .

٦٥ — « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ٤ أجزاء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

٦٦ — « اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا » (بيت المقدس ١٩٠٩ م) .

ابن منجب الصيرفى : (+ ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م) أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم على .

٦٧ — « قانون ديوان الرسائل » (القاهرة ١٩٠٥ م) .

٦٨ — « الاشارة الى من نال الوزارة » (طبع المعهد العلمى الفرنسى . القاهرة ١٩٢٥ م) .

ابن النديم : (+ ٣٨٣ هـ = ٩٩٣ م) محمد بن اسحق .

٦٩ — « الفهرست » (ليبسك ١٨٧١ م) .

نيكلسون : أ . رينولد Nicholson : A. Rynold

٧٠ — "A Literary History of the Arabs." (London, 1914.)

ياقوت : (+ ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .

٧١ — « معجم البلدان » ١٢ جزءا (القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٦ م) .

٧٢ — « معجم الأدباء » ٢٠ جزءا (القاهرة ١٩٣٦ م) .

يحيى بن سعيد الأنطاكى : (+ ٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) .

٧٣ — « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » جزءان (بيروت ١٩٠٩) .

يوسف أحمد :

٧٤ — « جامع سيدنا عمرو بن العاص » (القاهرة ١٩١٧ م) .

فهرست عام

(ا)

ابقراط : ٢٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤
أحمد بن طولون : ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٠٨ ، ١٨٠ .
الأخرم : ٢١٢
أرسطو : ٢٩ ، ١٣٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦
اسماعيل بن جعفر الصادق : ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
افرائيم بن الزفان : ١٩٢
الأفضل بن بدر الجمالى : ٧٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢١
افلاطون : ٢٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦
اقليدس : ٢٩ ، ١٣٢
الآمر باحكام الله : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢
انوجور بن الأخشيد : ٤٤ ، ٥٢

(ب)

بدر الجمالى : ١٠٧ ، ٢١٩ .
برجوان : ١٩١
ابن بطلان : ١٦٣
بطليموس : ٢٩ ، ١٢٩
ابو بكر بن جعفر الكتانى : ٥٢
ابو بكر الطرطوشى : ١٢٠
ابو بكر الثعالى : ١٠٥
ابن البواب : ١٩٣

(ت)

تميم بن المعز : ١٧٨ .

(ج)

جالينوس : ٢٩ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
الجامع الأزهر : ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩
جامع الحاكم : ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ .
جامع راشدة : ١١١ ، ١١٨ ، ١٤٢
جامع ابن طولون : ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ،

٥٠ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣٣ .
جامع العسكر : ١٠٣
جامع عمرو : ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ٢٢٣ .
جامع المقس : ٩٣ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٢ .
جامع القرافة : ١٠٣ ، ١٤٣ .
جعفر بن محمد الصادق : ٢٠٤ ، ٢٠٥
ابو جعفر المنصور : ٢٨
ابو جعفر النحاس : ٥٣ ، ٢١٦ .
جنادة بن محمد : ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ .
جوهر الصقلى : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٧ .

(ح)

الحافظ : ١٨٣ ، ٢٢١ .
الحاكم بأمر الله : ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
أبو حامد الأنطاكى : ١٧٩ ، ٢١٦ .
أبو الحسن الدارقطنى : ٥٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
الحسن بن زولاق : ١٠٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ٢١٦ .
الحسن بن الصباح : ١٦٥ .
الحسين بن على بن النعمان : ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٠ .
الحكم المستنصر : ١٩٤ .
ابن حمدان : ١٢٩ .
حمزة بن على الزوزنى : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
ابو حنيفة : ٣٨ ، ٤٩ .
حنين بن اسحق : ٢٨ ، ٢٩ .

(خ)

ختكين : ٢١٣ .

الخليل بن احمد : ١٩٠ .

(د)

دار العلم : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ . ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .

(ر)

الربيع بن سليمان : ٤٢ ، ٥٠

الرشيد : ٣٤ ، ١٦٥ ، ١٩٤ .

(س)

سعيد بن البطريق : ٥٤ .

سعيد التميمى المقدسى : ١٨١ .

ابو سعيد العميدى : ١٢٧ ، ١٨٨

ابن السلار : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

سعد بن ابراهيم الازدى : ١٢٠

سهلان بن كيسان : ١٨٢ .

(ش)

الشافعى : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ١٢٥ ، ١٥٤ ، ٢٢٣ .

ابو شاكر ميمون بن ديصان : ٢٠٧

(ص)

صالح بن على العباسى : ١٠٨

صلاح الدين بن أيوب : ٥٠ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(ط)

طاهر بن بابشاذ : ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٢١٦

ابو الطاهر البهركى : ١٨٧

ابو طاهر الذهلى : ٥٢ ، ١٢٤ .

ابو الطاهر السلفى : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٣

ابو الطيب المتنبى : ٤٣ ، ٤٤ .

(ظ)

الظافر : ١٤٦ ، ٢٢٢ .

الظاهر : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢١٣ .

(ع)

العاضد : ١٩٥ ، ٢٢٣ .

عبد العزيز بن النعمان : ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١
عبد الغنى بن سعيد : ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٧
عبد الله بن قتيبة : ٤١
عبد الله بن وهب : ٣٨
عبيد الله المهدى : ٥٩ ، ٦٦ ، ١٨٩ .
عثمان بن سعيد الدانى : ١٣٦ ، ١٤٤ .
العزيز : ٦٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١
على بن احمد الجرجرائى : ١٨٨
على بن حمزة الكسائى : ٨٣
على بن رضوان : ٧٣ ، ١٠٠ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤
على بن سعيد الحوفى : ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ٢١٦
على بن سليمان الانطاكى : ١٥٢ ، ١٦٢
على بن محمد الشابشتى : ١٠٠ ، ١٤٩ ، ١٩١
على بن النعمان : ٩١ ، ٩٥ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٩
على بن عبد الواحد البغدادى : ١٧٩ ، ٢١٦
على بن يونس : ١٦٢
عمارة اليمنى : ٢٢٤
عمر بن الخطاب : ٤٦ ، ٧٤
ابو عمر بن يوسف الكندى : ١٢٨
عمرو بن العاص : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٠٣ ، ١٠٨

(ف)

الفائز بالله : ٢٢٤ .
ابو الفتح منصور بن مقشر : ١٨١
ابو الفضل جعفر بن الفرات : ٤٤ ، ٥٣ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٥٠ .
الفضل بن صالح : ١٠٨ .

(ق)

ابو القاسم بن عبيد الله المهدى : ١٨٩
القضاعى : ١٠٠ ، ١٢٥ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢١٦

(ك)

كافور : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٥

٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ١٢٨

(ل)

الليث بن سعد : ٣٨

(م)

المارستان : ١٨٠
مالك : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ٢٢٣ .
المأمون : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٦٤
المبشر بن فاتك : ١٠٠ ، ١٦٤ ، ١٩١
محمد بن اسماعيل الدرزى : ٢١٠ ، ٢١١
محمد ابو بكر الأدفوى : ١٢٣
محمد بن جرير الطبرى : ٤٠ ، ٤١
محمد بن طغج الاخشيد : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١٢٨
محمد بن القاسم بن عاصم : ١٧٩
محمد بن المستنير : ٨٣
محمد بن النعمان : ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٤٩ .
المسبحى : ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ٢١٦
المستعلى بالله : ١٥٤ ، ١٥٥
المستنصر : ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
مسجد العسكر : ١٠٨
المعز : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٩
ابن مقلة : ١٩٣
منصور بن مقشر : ١٠٠
المهلبى : ١٢٩
موسى بن العازار : ١٨١
موسى الكاظم : ٢٠٥

(ن)

ناصرى خسرو : ١٦٥
نافع : ٤٠ ، ١٢٣
نجم الدين بن مصال : ٢٢٢
نزار بن المستنصر : ١٥٤ ، ١٥٥
نسطاس بن جريج : ٥٤ ، ٥٥
نظام الملك : ٣٦ ، ٨٠ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٢٣
النعمان بن محمد : ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٤٨ .
ذو النون : ٤١

(هـ)

ابن هانىء الاندلسى : ١٧٨

ابن الهيثم : ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠
١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ٢١٦

(و)

ابن ولاد : ٣٩ ، ٤٠
ولى الدين بن خيران : ١٨٧
عبد الوهاب بن نصر المالكى : ١٧٩

(ى)

يحيى بن خالد بن برمك : ١٩٠
يعقوب بن كلس : ٦١ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩١ .
يوحنا بن ماسويه : ٢٨ ، ٢٩
ابن يونس : ١٠٠ ، ١٥٨ ، ٢١٦ .

الأغلاط المطبعية وصوابها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٣	٢٣	Hisi	His
٧٤	٢	٢٧٠ م	٣٧٠ م
٨٢	١٩	العزب	العرب
٩٢	٧	جهدا	جهودا
١٠٣	٥	العام	العلم
١١٨	٧	قياس	قياسر
١٤٢٠	١٤	العلوم	العلم
١٤٦	٩	أوفى	أوقى
١٦٨	١٩	المدرجة	المدرسة
١٨٩	١٣	اقتاء	اقتناء
١٩١	٦	يحت	يحب
١٩٩	٣	الدعورة	الدعوة
٢١٩	٧	بد	بدر
٢٢٤	١١	من	فى

رسائل الصاحب بن عباد : نشر وتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام بك والدكتور شوقى ضيف — وثائق أدبية بديعة تفسر حياة النثر العباسى فى القرن الرابع على لسان أهم كتابه تفسيراً دقيقاً ، ثم هى وثائق تاريخية خطيرة تكشف عن كثير من النواحى السياسية والاجتماعية للدولة البويهية ، وإنها لتضيف إلى كتب التاريخ كثيراً من الحقائق ، وتعدل فيها كثيراً من الوقائع . مع مقدمة عن المؤلف وقيمة أثره من الناحيتين الفنية والتاريخية . وثمنه ٤٠ قرشا

كتاب الرد على النحاة : نشر وتحقيق الدكتور شوقى ضيف

ثورة على أوضاع النحو العربى وصعوباته وتعقيداته ، ودعوة إلى إصلاحه وبنائه على أسس جديدة تريح الناس من أثقاله ومشقاته . وثمنه ٢٠ قرشا

اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا : نشر وتحقيق الأستاذ جمال الدين الشيال

الكتاب القديم الوحيد فى تاريخ الدولة الفاطمية ، أول دولة استقلت بمصر استقلالا تاماً فى العصر الإسلامى ، تأليف مؤيد النسب الفاطمى وزعيم مؤرخى مصر الإسلامية تقى الدين المقريزى ؛ مع مقدمة إيضاحية، وتعليقات وافية ، وملاحق مكملة بقلم المؤلف نفسه وفهارس تفصيلية شاملة . وثمنه ٣٠ قرشا

المجالس المستنصرية لداعى الدعاة : نشر وتحقيق الدكتور محمد كامل حسين

أول كتاب ينشر فى الشرق لداع فاطمى ، يحوى خمسة وثلاثين مجلسا من مجالس الحكمة التأويلية التى كان يلقيها هذا الداعى والمجالس كلها تبحث فى فقه المذهب الفاطمى وبها كثير من التأويلات الباطنية . وثمنه ٢٥ قرشا

رسالة الرشد والهداية لداعى الدعاة منصور اليمن : نشر وتحقيق الدكتور محمد كامل حسين وهى أقدم نص اسماعيلى عثر عليه إلى الآن ومؤلفه صاحب الدعوة فى اليمن قبل ظهور الفاطميين وتبحث فى تأويلات باطنية كما ترينا تطور المذهب من بدء ظهوره . وثمنها ٥ قروش

[redacted]
على ،خطاب عطية
التعليم في مصر في العصر الفاطمي ال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022419